

DATE DUE

JAFET LTD.
30 DEC 1977

JAFET
- 3 MAY 1978



تجلید صالح الدقر
تلفون ۲۲۹۷۷

892.709

Kh83hA

C.1

الحياة الأدبية في العصر الجاهلي

تأليف

محمد عبد المنعم ضفاري

الأستاذ بكلية اللغة العربية

الطبعة الأولى

١٣٦٨ هـ = ١٩٤٩ م



عني بطبعه ونشره
محمد مؤد توفيق

صاحب مكتبة الحسين التجارية بالسكة الحديدية بمصر

تليفون ٥٥٦٤٧

77890

مطبعة حجازي بالقاهرة

في انوار المنار

الادب

أ - معنى كلمة أدب

الأهداء

إلى ابن مصر البار^{موسو}، وبطلها العظيم ؛ الذي تتجه إليه الآمال ،
وتسير برعايته النهضة ، ويدفع الأمة يديه إلى الحياة الحرة الكريمة ،
ويبذل ما يستطيع من جهد في تشجيع العلوم والآداب في بلادنا
العزيرة .

إلى حضرة صاحب الدولة إبراهيم عبد الهادي باشا المعظم

أهدى هذا الكتاب ؟
المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

هذه دراسة جديدة للحياة الأدبية في العصر الجاهلي ، جديدة في بحوثها وأفكارها ، جدتها في عرضها وأسلوبها ولا يعلم إلا الله مدى ما أخذت من جهد ، واستغرقت من وقت ، واستنفدت من عناء

والعناية بالمراجعة ، والاشارة إلى المصادر ، وتنظيم البحث واستقصاؤه ، كل هذه العناصر الضرورية للثقافة الحديثة تجدها كاملة في هذا الكتاب الجديد تناولت فيه العصر الجاهلي دراسة وبحثا ، ونقدا وتحليلا ، وعينت بتصوير الاتجاهات الأدبية ، والعوامل التي كان لها أثرها في الأدب شعرا أو نثرا ، وسقت الكثير من النصوص والتراجم التي لا غنى عنها للباحث والقارئ وأخيرا فأحمد الله على توفيقه وأضرع إليه أن يمدنا بروح من عنده ، وأن يرفع راية الأدب والثقافة والعلم عالية في وطننا الخالد وفي الشرق الاسلامي المجيد

وما توفيقى إلا بالله ؟

محمد عبد المنعم خفاجي

مارس سنة ١٩٤٩

مقدمات

الادب

١ — معنى كلمة أدب :

يطلق الأدب فنفهم منه بادی ذی بدء معناه ، الذى يدور حول الجيد البليغ من الكلام نثره ونظمه .

فالادب هو كل كلام عبر عن معنى من معانى الحياة ، وجلا صورة من صورها بأسلوب جميل ، ولفظ بديع ، فتثير معانيه العاطفة ، وتستثير بلاغته الأعجاب . فالكلام لا يكون أدبا إلا إذا اشتمل على : معان تبعث عواطف القارئ والسماع ، وعلى ألفاظ جميلة تؤدي بها هذه المعانى والأفكار ، وإلا إذا لام الذوق ، ووافق الطبع ، وأثر في النفس ، وصور لك الأشياء كما تجدها أنت حين تخلو إليها وتفكر فيها .

ومبعث الجمال في الكلام قد يكون في معانيه ودقتها وعمقها وروعها ، وقد يكون في ألفاظه وسحرها وفصاحتها وعدوبتها أو فخامتها ، وقد يكون في ألفاظه ومعانيه جميعا ، وذلك أتم لبلاغة الكلام ، وأجمع لسحره وتأثيره وأدعى لخلوده وبقائه على أمد العصور .

وبعد فجودة الأدب هي مقياس حظه من القبول والاعجاب والخلود ، وإنما تتأق الجودة بحسن المعانى وتخير ما يتصل منها بالموضوع وما يناسبه في دقة وحسن ترتيب ، وبحسن الألفاظ والأساليب والملاءمة بين الألفاظ والمعانى ؛ وعلى أى حال فإن أجود البيان نثره ونظمه ما صدر عن الطبع وجاء عفوا القريحة من غير تكلف ولا استكراه ولا إغراب .

ومتى كان الكلام جيدا على هذا النحو فهو الذى نسميه أدبا ونعني بحفظه وروايته وتدوينه .

٢ — الاطوار التاريخية لكلمة أدب (١)

- ١ — وردت كلمة أدب في الشعر والنثر المأثورين عن العصر الجاهلي :
- ١ — قال الأعشى : جروا على أدب منى بلائزق
- ٢ — قال عتبة بن ربيعة لابنته هند عن أبي سفيان : « يؤدب أهله ولا يؤدبونهم » ، وقالت له : « وسأخذه بأدب البعل » ، (٢)
- ٣ — وقال النعمان الخطباء العرب الذين أوفدهم إلى كسرى : فلا يكونن ذلك منكم فيجد في آدابكم مطعنا » (٣) ، وقال في رسالته إلى كسرى : « وقد أوفدت أيها الملك رهطا من العرب لهم فضل في أحسابهم وآدابهم » (٣)
- ٤ — وورد في شعر جاهلي لامرأة :
أبعد ستين عندي يبتغي الأدبا
وهي في كل هذه النصوص لا تخرج عن المعنى الخلق المعروف

(١) راجع الجزء الأول من العصر الجاهلي للرافعي ، ومقالات في الأدب للزيات ، والأدب الجاهلي لطفه حسين ، والرد عليه للغمراوي وخضر حسين — ولسان العرب مادة « أدب — خزانة الأدب في بيت سهم بن حنظلة : « حسن ذا أدبا » ، وكذلك ترجمته في الأغاني ، ٢/٢٧ أمالي المرتضى ، ٣/١٤٥ شرح الحماسة للتبريزي . قصيدة كعب بن سعد التي فيها « شب وهو أديب » في المفضليات ، و ترجمته في الخزانة وشرح أمالي المرتضى (مع ملاحظة أن القصيدة في الجهرة منسوبة لمحمد ابن كعب الغنوي - ص ٢٧٤ - وفي الخزانة والسيوطي والعيني لكعب بن سعد الغنوي) ، ترجمة مزاحم العقيلي في الخزانة والأغاني وبيته « الأديب المزال ، ١٣ شرح أدب الكاتب للنجوالي ، ٢/١٠٤ الأمالي في حديث عتبة مع ابنته هند ، حديث قيس بن زهير في الأغاني وأمالي المرتضى ١/١٤٩ ، ٧/١٦٠ ، ٧/١٦٠ شرح الكامل ، ٣/٦٢ شرح الكامل البيت « أبعد ستين عندي يبتغي الأدباء » من قصيدة جاهلية لامرأة ، ص ١٧ ج ٦ تاريخ الطبري « يؤدبني الحجاج » ، نهج البلاغة

(٢) ٢/١٠٤ الأمالي

(٣) ١/١٦٩ للعقد ط ١٩٣٥ القاهرة المطبعة التجارية

حيب إلى الزوار غشيان بيته جميل المحياشب وهو أديب

٣ - وقول سالم بن وابصة الأسدي الشاعر من قصيدته التي ذكرها

صاحب الحماسة (١) :

إذا شئت أن تدعى كريما مكرما أديبا ظريفا عاقلا ماجدا حرا

إذا ما أتت من صاحب لك زلة فسكن أنت محتالا لزلة عذرا

٤ - وروى صاحب اللسان (٢) في مادة « أدب » لمزاحم العقيلي - وهو

شاعر أموي - قوله في صفة الابل :

وهن يصرفن النوى بين عالج ونجران تصريف الأديب المزلل

٥ - وقال بعض الفزاريين :

كذلك أدبت حتى صار من خلقي أنى وجدت ملاك الشيمة الأدبا

٦ - وقال سهرم بن حنظلة ، ويظهر لي أنه أموي :

لم يمنع الناس مني ما أردت ولا أعطيهموما أرادوا حسن ذا أدبا (٣)

٧ - وألف ابن المقفع م ١٤٣ هـ كتابين له . سماهما : الأدب الكبير

والأدب الصغير ، وفي الأدب الصغير تتردد كلمة أدب كثيرا (٤) .

٨ - ومن خطبة للحجاج : هذا أدب ابن نهية أما والله لأؤدبنكم غير

هذا الأدب .

٩ - ومن رسالة لعبد الحميد الكاتب : أحب (أمير المؤمنين) أن يعهد

إليك عهدا . . يحملك منه أدبه ، ويشرع لك عظته .

(١) ١٦ ج ٢ ديوان الحماسة الطبعة الثالثة ١٩٢٧ مطبعة السعادة . وسالم بن وابصة

تابعي وأبوه وابصة صحابي جليل ، وبعض هذه الآيات في الأمل إلى ص ٢٢٤ / ٢

طبع دار الكتب .

(٢) ٢٠٠ ج ١ اللسان (٣) وينسب البيت لطفي الغنوي وهو جاهلي

(٣) شرح أدب الكاتب ط القدسي ١٩٣٥ ، ٢٧ شفاء الغليل ط ١٢٨٢

(٤) ص ٥٦ و ٥٣ و ٤٠ وسواها من الأدب الصغير ط ١٩١١ .

وهي في كل ذلك بالمعنى الخلقى العام المعروف .
ولكن وردت نصوص أخرى في هذا العصر منها :

١ - قال عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي لمعلم ولده أدهم برواية شعر الأعشى .

٢ - وقال معاوية : اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم (١) .

٣ - ووجدت طبقة المعلمين الذين كانوا يؤدبون الناشئين من أبناء الخلفاء والأمراء والولاة ويعلمونهم الأخبار واللغة والشعر وغيره فأطلق عليهم لقب « المؤدبين » ، مما يدل على أن الكلمة كانت تستعمل بمعنى التعليم .

٤ - وقال عبد الحميد الكاتب من رسالته للكتاب : « فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب » .

٥ - وفي الأدب الصغير لابن المقفع م ١٤٣ هـ « جل الأدب بالمنطق ، وكل المنطق بالتعليم ، ليس حرف من حروف معجمه ولا اسم من أنواع أسمائه إلا وهو مروي متعلم مأخوذ من امام سابق من كلام أو كتاب » .
٦ - وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس : كفاك من علم الأدب أن تروى الشاهد والمثل .

وهي في أغلب هذه النصوص كلها ليست بالمعنى الخلقى المعروف ، إنما هي تدل على ما كان يلقيه المعلم إلى طلبته من الشعر والقصص والأخبار والأنساب وكل ما من شأنه أن يثقف نفس الصبي ويهذبها من أنواع العلوم المختلفة الخاصة باللغة والشعر وما يتصل به .

فكلمة « أدب » في العصر الأموي كانت تطلق : على المعنى الخلقى المعروف ، وعلى التعليم والتأديب ، وعلى رواية أشعار العرب وأخبارها وأيامها وأنسابها أو تعليمها للناشئين والمتعلمين .

وثقافة الكتاب - وهو أخص من الأديب - تجدها مبسوطة في رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب .

د - وجاء عصر بني العباس ، فنشأت دراسات في النحو والصرف والعروض واللغة والبلاغة ، وشملت كلمة « أدب » هذه الدراسات جميعها أيضا ، قال الجواليقي في شرح أدب الكاتب (١) « اصطلاح الناس بعد الاسلام بمدة طويلة على أن يسموا العالم بالنحو والشعر وعلوم العرب « أدبيا » ويسموا هذه العلوم الأدب ، وذلك كلام مولد لأن هذه العلوم حدثت في الاسلام .

ولما اشتدت حركة التأليف وقويت النهضة العلمية استقلت هذه العلوم بنفسها وبحوثها وانعزلت عن الأدب ، وأصبحت كلمة أدب تدل على الكلام الجيد من المنظوم والمنثور وما يتصل به ويفسره من الشرح والنقد والأخبار والأنساب وعلوم العربية ؛ ثم شملت النثر الذي أجاد فيه فحول الكتاب في هذا العصر أيضا ، كما شملت النقد الذي بدأ ينمو فيه ، وكذلك الغناء . قال ابن خلدون : « وكان الغناء في الصدر الأول من أجزاء هذا الفن - الأدب - لما هو تابع للشعر ، إذ الغناء إنما هو تلحينه ، وكان الكتاب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصا على تحصيل أساليب الشعر وفنونه (٢) . وألفت في الأدب بهذا المعنى كتب مشهورة : كالبيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ٢٥٥ هـ ، والكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ٢٨٥ هـ ، وكتاب طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ٢٣١ هـ وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٧٦ هـ ، وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ٢٢٨ هـ ، والأمالى لأبي علي القالي ٣٥٦ هـ ، وكذلك

(١) ١٣ ، ١٤ شرح أدب الكاتب للجواليقي ، ٢٧ من شفاء الغليل للشهاب

الحفاجي ط ١٢٨٢ هـ

(٢) ٤٨٩ المقدمة ط ١٩٣٠ بالمطبعة الأزهرية

الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني م ٣٥٦ هـ ، وسواها من أصول كتب الأدب ومصادره الأولى . وكان الذين يقومون بدراسة الأدب يسمون « المؤدبين » إلى أن كان القرن الرابع الهجري وانتشرت العجمة وضعفت العصبية العربية فانتهى عهد المؤدبين حتى قيل : ختم تاريخ الأدب بالمبرد م ٢٨٥ هـ و ثعلب م ٢٩١ هـ (١) وصار لفظ الأديب يطلق على الشاعر أو الكاتب أو الناقد فحسب ، وأصبح الأدب يدل كما قدمنا حتى اليوم على الجيد من الكلام المأثور شعرا ونثرا وما يحتاج إليه من التفسير وتبيين مافيه من مظاهر الجمال أو القبح ؛ وأصبح النحوى أو العالم بأصول البلاغة أو بأوزان الشعر وقوافيه لا يستطيع أن يسمى نفسه أديبا (٢)

والخلاصة أن :

- ١ — كلمة أدب وردت فى نصوص جاهلية وإسلامية بمعنى الخلق الكريم
- ٢ — وأنها وردت فى العصر الأموى بمعنى الخلق الكريم ، والتعليم والتشقيف للذين يقودان إلى الكريم الفاضل من الأخلاق ، ثم استعملت فى رواية النثر والشعر لأنها يدعوان إلى الفضائل ومكارم الأخلاق
- ٣ — وأنها فى العصر العباسى استعملت بمعنى التعليم أيضا ، وأصبحت فيه كلمة أدب تطلق على : رواية الشعر وما يتصل به من الأخبار والأنساب وعلوم اللغة والعربية وعلى تعليمها ، ثم استقلت هذه العلوم فأصبح الأدب

(١) راجع ٥/١٢٢ معجم الأدباء فريد رفاعى

(٢) وذلك بعد أن كان اسم النحوى مرادفا لاسم الأديب حتى أن بعض العلماء قد ألف فى تراجم النحويين كتباً سميت باسم طبقات الأدباء كما فعل ابن الأنبارى فى كتابه « نزهة الألباء فى طبقات الأدباء » ولم يكن النحوى هو من عرف القواعد فحسب بل كان النحوى هو من عرف القواعد وحفظ أشعار العرب وعلم تخريجها وحفظ أيامهم وخطبهم وحكمهم ومساجلاتهم (راجع ص ٦٨ مشكلة اللغة العربية للاستاذ محمد عرفه ط ١٩٤٥)

لا يطلق إلا على الجيد المأثور من الشعر والنثر حتى العصر الحديث

* * *

ويجب أن يلاحظ مع ذلك أن كلمة أدب في العصر العباسي كانت تطلق أحياناً عند العظماء والسكبراء وحاشيتهم وعلى سبيل التجوز على ما يشمل الثقافة العامة : من غناء وسمير ، وحسن أدب المنادمة والحديث وخدمة الخلفاء والملوك ، والبراعة في الصيد وفي لعب النرد والشطرنج ، وكان الأديب يقابل لفظ المثقف . ومن هذا يمكننا أن نقول إن للأدب معنيين مختلفين : الأدب بمعناه الخاص وهو الكلام الجيد الذي يحدث في نفس قارئه وسامعه لذة فنية شعراً كان أو نثراً ، والأدب بمعناه العام وهو ما يشمل الثقافة العامة التي تسكون الرجل وترقى به إلى مستوى عقلي ممتاز

* * *

هذا ولقلة اطلاع بعض المستشرقين ومن تابعهم من أدبائنا ، زعموا أن كلمة الأدب لم ترد في نص جاهلي أو إسلامي ، ولما قيل لهم إن الحديث « أدبني ربي » ينفي ما ذهبتم إليه ، قالوا إنه حديث ضعيف . ثم قالوا : وإذا كانت كلمة « أدب » لم ترد في نص جاهلي أو إسلامي موثوق به وبصحة روايته ، وليست مع ذلك في اللغة العبرية والسريانية كما يؤيده الباحثون في اللغات فمن أين إذا اشتقت هذه الكلمة وكيف استعملت في اللسان العربي ؟ اختلفوا في الإجابة عن ذلك السؤال :

١ — فبعض الباحثين يذهبون إلى أن كلمة « أدب » بالفتح مأخوذة من كلمة « أدب » بسكون الدال بمعنى الدعاء يقال : أدب القوم يأدبهم أدباً : إذا دعاهم إلى المأدبة لتناول الطعام (١) ، واسم الفاعل منه « أدب (٢) » قال طرفة الشاعر الجاهلي الفحل :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر
ويجمع على « أدبة » ، ومنه قول الامام على رضى الله عنه : « أما إخواننا
بنو أمية فقادة أدبة (١) » ،

فقد تولدت كلمة « أدب » ، إذا من كلمة أدب بمعنى الدعاء (٢) ، فالآدب
يدعو إلى المحامد والآدب يدعو إلى الطعام ، وفي اللسان ما يؤيد ذلك قال
ابن منظور م ٧١١ هـ في اللسان : « والآدب : الذى يتأدب به الأديب من
الناس لأنه يأدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح (٣) »
وأخذ كلمة أدب من الآدب بالسكون رأى يعوزة الحجة ، فضلا عن
أن الكلمة لم تنقل بنصها وسكون دالها والمعهود استعمال الكلمة عند نقلها
من معنى إلى معنى بهيئتها وشكلها (٤) .

٢ - ويرى الاستاذ نلينو من المستشرقين أن كلمة « أدب » مشتقة من
كلمة « آداب » جمع « دأب » بعد أن دخلها القلب المكافى (٥) ، ومع مرور
الزمن تنوسى الأصل وتوهم أنها جمع « أدب » .
ويضعف هذا أن « دأب » لم تجمع على آداب ، وأن هذا رأى مجرد
حدس وظن .

(١) ٢٠١/٢ اللسان (٢) ويذكر ذلك الجواليقى في شرح أدب الكاتب
(ص ١٣) ، كما يذكر وجهها آخر لاشتقاق كلمة أدب وهو أنها مأخوذة من الآدب
وهو العجب فكأنه الشيء الذى يعجب منه لحسنه ولأن صاحبه الرجل الذى
يعجب منه لفضله (١٣ و ١٤ شرح أدب الكاتب)

(٣) راجع : ٢٠٠/١ اللسان . وجاء في اللسان : الآدب : الظرف وحسن
التناول (٢٠٠/١ اللسان)

(٤) وفي اللسان (٢٠١ ج ١) الادب مصدر قولك أدب القوم يأدبهم أدبا
إذا دعاهم إلى طعامه والآدب الداعى إلى الطعام ، وقال سيبويه : قالوا المأدبة كما
قالوا الدعاء وقيل المأدبة من الادب

(٥) ص ١٨ الأدب الجاهلى لطفه حسين

٣ - وقيل إن كلمة « أدب » أخذت عن بعض اللهجات العربية من غير اللهجة القرشية (١) وهي لهجات كانت لا تزال موجودة في العصر الاسلامي ثم ذاعت الكلمة بين الجميع ثم نقلت من المعنى الخلقى إلى المعنى الاصطلاحي المعروف في العصر الأموي المناسبة بين المعنيين ، قالوا : وهذا رأى قريب إلى العقل وهو أشبه بالصواب .

٤ - وهناك من الباحثين من يفرض أنها مأخوذة من لغة السومريين إذ كان معناها عندهم (إنسان) ، وبقيت في لغة العرب كما كانت في الأصل مراداً بها معنى الانسانية وغيرت في اللغات السامية الأخرى من أدب إلى آدم (٢) .

وكل هذه الفروض والتأويلات ترينا مدى تخطئ هؤلاء . هؤلاء .

لا .. لا .. لا

إن كلمة أدب قد وردت في نصوص جاهلية واسلامية وأموية بنصها حيناً وبمادتها حيناً آخر . وإذا كان بعض اللغويين لم يرووا هذه النصوص ولا هذه الكلمة عن العصر الجاهلي كابن منظور فإنها مبثوثة في كتب الأدب وسواها فارجعوا إليها أن شئتم .

ولا حاجة لنا - بعد وجود هذه النصوص في الأدب الجاهلي - إلى أن نبني على استنتاج لا يؤيده الدليل آراء هي من صنع الوهم والخيال . وحسبنا ذلك الآن .

٣ - أدب اللغة :

وأدب لغة أية أمم من الأمم هو ذلك الفن البليغ من مآثور شعرها ونثرها مما يصدر عن الطباع ، ويؤثر في النفوس ، ويشير العواطف ، ويدعو إلى

(١) ص ٢٠ من المرجع نفسه

(٢) راجع الفصل الاول من الباب الاول من كتاب أصول النقد الأدبي للشايب

الإعجاب والاستحسان ، وما يتصل بذلك من شرح ونقد وقصص وأخبار
وأنساب وثقافة عامة تعين على فهم الآثار الأدبية ونذوقها ، ولذلك يقول
ابن خلدون م ٨٠٨ هـ في مقدمته : الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها
والأخذ من كل علم بطرف (١) ، ويقول ابن قتيبة م ٢٧٦ هـ : « من أراد أن
يكون عالما فيلزم فنا واحدا ، ومن أراد أن يكون أدبيا فليتسع في العلوم
وأهم مصادر الأدب العربي : البيان والتبيين للجاحظ والسكامل للمبرد والأغاني
للأصفهاني ، والأمالى للقالى والعقد الفريد لابن عبد ربه . وزهر الآداب
للحصرى م ٤٥٢ هـ ، والمستطرف للأبشيهي من علماء القرن التاسع الهجرى
وثمرات الأوراق لابن حجة الحموى م ٨٣٧ هـ وسواها من الكتب والمصادر
هذا والآدب مظهر للبلاغة ، وصورة من صور التفكير والخيال والعاطفة
والاحساس والشعور والذوق والفهم والحياة ، وهو وسيلة للمصلحين والمرسلين
وأصحاب الدعوات العامة ، ولا يستغنى عنه إنسان في العصر الحديث ، فالصحافي
والقاضي والمحامي والنائب والوزير والأمير والسكران والمصلح والواعظ
والمرشد وغيرهم في حاجة ماسة إلى الأدب وتأثيره وقوته في التعبير والإقناع
وإثارة المشاعر في نفوس الجماهير والطبقات

هذا والآدب العربي من أغنى آداب الأمم جميعا ، ولا يزال كما كان حافلا
بأسباب القوة والبلاغة ، وعاملا كبيرا في المجتمعات العربية وإصلاحها

تاريخ أدب اللغة

علم جديد حديث النشأة ، ابتكره الإيطاليون في القرن الثامن عشر ،
وعنى به المستشرقون في القرن التاسع عشر ، ونقله عنهم المغفور له الأستاذ

(١) ٤٨٨ المقدمة ط المطبعة الأزهرية . وهو مسبوق بكلام عبد الحميد الكاتب
في رسالته إلى الكتاب حيث يقول منها في ثقافة الكاتب : « قد نظر في كل فن
من فنون العلم فأحكمه وإن لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفى به »

حسن توفيق العدل إثر عودته من ألمانيا وقيامه بتدريسه في دار العلوم، ثم سار على أثره جورجى زيدان في كتابه «تاريخ آداب اللغة العربية»، ثم ألف فيه بعد ذلك عدد من فحول الأدباء من أمثال الاسكندري في الوسيط الذى اشترك معه في تأليفه الشيخ مصطفى العناني، وفي غير الوسيط من كتبه في تاريخ الأدب التى كانت تدرس في دار العلوم، والشيخ علام سلامه والمرحوم أستاذنا محمود مصطفى والدكتور طه حسين بك في الأدب الجاهلى، واحمد حسن الزيات في كتابه «تاريخ الأدب العربى»، والمغفور له مصطفى صادق الرافعى في كتابه «تاريخ آداب لغة العرب» الذى طبع بعد وفاته في ثلاثة أجزاء، وأصحاب المفصل بجزئيه

كان منهج أدباء العرب في دراسة الأدب العربى ينحون نحو دراسة تراجم الأدباء والكتاب والشعراء ورواية آثارهم الأدبية ونقدها والموازنة بينها وبين غيرها من الآثار مع تدوين مآثور أدب العرب شعرا ونثرا وشرحه وتحليله ونقده والامام ببعض أصول الأدب والشعر في الأسلوب والطبع والروح والذوق، ومن هؤلاء: الجاحظ في البيان والمبرد في الكامل وابن سلام في طبقات الشعراء وأبو الفرج في الأغاني وأثقالى في الأمالى وابن عبد ربه في العقد والامدى م ٣٧١ هـ في الموازنة والقاضى الجرجاني م ٣٦٦ هـ في الوساطة وابن رشيق م ٤٥٦ هـ في العمدة وأبى هلال في الصناعتين. ومن هذه الكتب: وفيات الأعيان لابن خلكان م ٦٨١ هـ وقيمة الدهر للشعالبي ومعجم الأدباء لياقوت م ٦٢٦ هـ ونفح الطيب للمقرئ وقد تبع هذا المنهج في العصر الحديث الشيخان: المرصفي في الوسيلة الأدبية، وحمزة فتح الله في المواهب الفتحية.

ولكن المستشرقين (١) استمدوا من هذه الأصول والدراسات العامة المبثوثة المفرقة في أدبنا العربى ما أعانهم على بحث تاريخ الأدب العربى على (١) راجع مقدمة الأدب الجاهلى ومقدمة تجديد ذكرى أبى العلاء لطف حسين بك

ضوء بحوثهم في تاريخ آداب لغاتهم ، فأخذوا يبحثون عصور الآداب العربية وحالة اللغة والآدب في كل عصر وحلّلوا المؤثرات العامة التي أثرت في الآدب في كل فترة من هذه الفترات نهضة أو ضعفا ، وعنوا بتاريخ أعلام الآدب العربي في الشعر والنثر والكتابة والخطابة وترجموا لهم ودرسوا آثارهم الأدبية دراسة واسعة وذكروا الخلاف بين المدارس الأدبية المختلفة وأثر كل مدرسة في الأخرى ، والتجديد والتقليد في هذه المدارس المتنوعة ، إلى غير ذلك من من جديد الدراسات التي لم توجد بهذا اللون في الآدب العربي القديم والتي لا تعد دراسات العمدة والمثل السائر وفهرست ابن النديم بجانبها شيئا مذكورا وسميت هذه الدراسات « علم تاريخ آدب اللغة العربية » .

فهذا العلم جديد إذا ، وهو يبحث في أحوال اللغة نثرها ونظمها في شتى العصور المختلفة ، وفي المؤثرات العامة في الآدب العربي في كل عصر ضعفا وقوة ، وعمّا كان لأعلام الآدب العربي من الأثر فيه وفي اللغة ، وعن حياتهم وتحليل أديهم ونقده .

ولهذا العلم منزلة كبيرة في دراسات الآدب في العصر الحديث : فهو يوقفنا على الأسباب الأولى التي أثرت في الآدب العربي ارتقاء وضعفا في شتى العصور ، ويعرض علينا الآثار الأدبية لكل عصر حتى لنكاد نلص سمات كل عصر في التعبير والبيان ونقف على الفروق بين الآدب العربي وأساليبه في كل منها ، وهو فوق ذلك لا ينسى أعلام الآدب ورجاله فيؤرخ حياتهم ويدرس آثارهم ويحي ذكرهم على مرّ الأجيال

علاقة تاريخ الآدب بالتاريخ العام

والتاريخ الأدبي لآداب أمة من الأمم شديد الصلة بتاريخها الاجتماعي والسياسي :

- ١ - فهو يؤرخ حياة الأمم الأدبية والفكرية والخلقية .
- ٢ - ويعين المؤرخ السياسى فى فهم حقائق التاريخ وحالة الأمة التى يريد تدوين تاريخها العام . وإذا كان التاريخ الأدبى مؤثرا فى التاريخ العام فلا شك أنه يتأثر به إلى حد كبير أيضا ، فليس من السهل دراسة أدب الأمة إلا بعد دراسة تاريخها السياسى وأثره فى حياتها الأدبية ؛ وليس من السهل دراسة الأدباء من شعراء وكتاب ، إلا بعد دراسة عصورهم التى نشأوا فيها ، وأثر بيئاتهم وأحوال مجتمعاتهم فى حياتهم العامة والخاصة ، فضلا عن أن الأحداث السياسية الكبرى هى التى تؤثر فى حالة الأدب وحياته وضعفه أو قوته . فكلما التارخين فى الحقيقة متأثر بصاحبه مؤثر فيه .

تقسيمه إلى عصور

وتاريخ أدب اللغة العربية يمكنك أن تقسمه إلى عصور متعددة ، تختلف حالة الأدب العربى فى كل عصر منها عن حالته فى الآخر اختلافا واضحا ، لاختلاف الحياة السياسية فى هذا العصر عنها فى العصر الذى يليه أو الذى قبله وهذه العصور هى :

١ - العصر الجاهلى : يبتدىء باستقلال العدنانيين عن اليمنيين فى منتصف القرن الخامس للميلاد ، وينتهى بظهور الاسلام سنة ٦٢٢ م

٢ - العصر الاسلامى : ويبتدىء بظهور الاسلام وينتهى بقيام الدولة العباسية سنة ١٣١ هـ . وبعض الباحثين يقسم هذا العصر إلى قسمين :

أ - عصر صدر الاسلام : من ظهور الاسلام حتى قيام الدولة الأموية عام ٤١ هـ .

ب - العصر الأموى : من عام ٤١ إلى سقوط الدولة الأموية عام ١٣١ هـ

٣ - العصر العباسى : ويبتدىء بقيام الدولة العباسية عام ١٣١ هـ وينتهى

بسقوطها على أيدى التتار عام ٦٥٦ هـ

٤ — العصر التركي : ويبتدىء بسقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ وينتهى بحكم محمد على باشا مصر عام ١٢٢٠ هـ .

٥ — عصر النهضة الحديثة . من قيام حكم محمد على باشا عام ١٢٢٠ هـ حتى يومنا هذا .

ولعل من الجدير بالذكر أن ننوه هنا بأن الحياة الأدبية في أول عصر من العصور لا تكاد تختلف عنها في نهاية العصر الذى قبله في كثير ، ذلك أن حياة الأمة وحالتها الاجتماعية والخلقية والعقلية والفكرية لا تتغير إلا ببطء وبعد مدة كبيرة تؤثر فيها عوامل التغيير السياسى الجديد أثرها وتعمل عملها ، وفي بدء الانقلاب السياسى لا تكاد تشعر بفارق كبير بين الحياة الأدبية التى توجد في بدء الانقلاب وبينها قبيل الانقلاب ، فإذا ماضى الزمن وسارت الأيام ظهر أثر هذا التغيير السياسى الجديد في حياة الأمة وتفكيرها وتراثها الأدبى بجميع فنونه وألوانه .

* * *

هذا والمؤثرات السياسية ليست وحدها هى العامل الرئيسى في التغييرات الأدبية ، بل هناك عوامل كثيرة أخرى منها : نفس الأقليم الذى تعيش فيه الأمة ، ونوع الحضارة التى تحيا في ظلها ، ومقدار الثقافة التى تشيع فيها ، ومنها الدين الذى هو قوام الحياة النفسية والوجدانية للشعوب ومنها مدى الاتصال بين هذا الشعب والشعوب الأخرى التى تجاوره أو البعيدة عنه ، ومنها استعداد الأمة الفطرى الذى يلون ملامكتها العامة بألوان خاصة متميزة إلى غير ذلك من شتى المؤثرات في الحياة الأدبية

ومن ذلك نعلم أن الحياة السياسية لا يستلزم تحسينها نهضة الأدب والشعر في أى أمة من الأمة بل قد تسوء الحياة السياسية ومع ذلك ترتقى الآداب وتنهض كما حدث في القرن الرابع الهجرى فقد ارتقت الحياة الأدبية إلى حد كبير بتشجيع الملوك والأمراء للأدب والشعر واللغة .

الباب الاول

المؤثرات العامة

في الادب الجاهلي

١ - يتأثر الأدب عامة في شتى العصور بمؤثرات كثيرة ، أهمها : البيئة ، والدين ، وحياة الأمة السياسية ، ومقدار حظها من البداوة أو الحضارة ، وما يؤثر في عقول أبنائها من ثقافة ومعركة ، ومدى ما بينها وبين غيرها من الأمم المختلفة من اتصال وعلاقة ، وفطرة الأمة نفسها وما تدفعها إليه هذه الفطرة من اتجاهات وأهداف

٢ - وقد كانت هناك عوامل كثيرة تؤثر في الأدب الجاهلي ، منها هذه البيئة العربية ، وحياة العرب السياسية والاجتماعية والدينية ، ومعارفهم العامة ، ومدى اتصالهم بغيرهم من الأمم والشعوب ، ومنها هذه اللغة العربية نفسها إلى غير ذلك مما سنلّم به في هذا الباب في شيء من التفصيل .

العرب

موطنها - أصلها - أقسامها - مشهورات قبائلها

موطن العرب

وصف الجزيرة العربية

١ - والعرب هم سكان الجزيرة العربية . وتطابق على هذه البقعة اسم « جزيرة » مع أن الماء لا يحيط بها من كل حدودها . فبينما تجد أنه يحيط بها من الغرب بحر القازم « البحر الأحمر » ، ومن الجنوب بحر الهند أو بحر العرب « المحيط الهندي » ، ومن الشرق بحر عمان وفارس ونهر الفرات ، تجد حدودها من الشمال أرضا متسعة شاسعة تشمل الجزيرة وبلاد الشام وفلسطين مما هو خارج عن شبه الجزيرة ، وإن كان العرب قد سكنوا قبل الاسلام جزء كبيرا من سوريا والجزيرة وأرض فلسطين

٢ - تنقسم شبه جزيرة العرب إلى خمسة أقسام هي : تهامة . ونجد والحجاز . واليمن . والعروض

تهامة : هي الجزء الواقع غرب جبل السراة الذي يقسم شبه الجزيرة من الجنوب (اليمن) إلى الشمال (الشام) قسمين : وهي أرض منخفضة ، وتسمى الغور ، وتمتد على شاطئ البحر الأحمر ، وسموها تهامة لشدة حرها وركود ريحها ، من التهم وهو شدة الحر وركود الريح . ويسمى جبل السراة الحجاز لأنه حجز بين تهامة الواقعة غربيه وبين نجد الواقعة شرقيه ، ومن ذلك يقال أغار وأنجد وأتهم .

وتهامة أقسام : تهامة اليمن ، وتهامة الحجاز

وأما نجد : فهي الواقعة شرقي جبل السراة من أدنى حدود اليمن جنوبا إلى السماوة شمالا وتنتهى من الشرق إلى العروض ، وسميت نجدا لارتفاع أرضها .

وتقع اليمن جنوبى نجد إلى ساحل بحر الهند وتمتد شرقا إلى حضرموت والشحر وعمان . وتشمل قسما من تهامة وقسما من نجد

وأما العروض : فتشمل اليمامة والبحرين وما والاها وفيها مرتفعات ومنخفضات ومسائل أودية . وسميت عروضاً لاعتراضها بين اليمن ونجد والعراق .

* * *

٣ - وأرض شبه الجزيرة كثيرة الجبال الجرداء المختلفة اللون ومنها الحرار جمع حرّة ، وهى الجبال السوداء اللون . يتخلل هذه الجبال : بعض الأودية التى تجرى فيها السيول أحيانا ، والصحارى الواسعة الكبيرة . وأشهر الأودية بشبه الجزيرة وادى الدهناء بنجد ، وهو فى موطن تميم بالقرب من البصرة .

وتكثر فى بلاد اليمن الأودية والرياض (١) . من حيث تقل فى الحجاز ، فيعتمد أهلها على العيون أو ماء المطر الذى ينبت الكلا فى بعض الاراضى القريبة من الأودية . ولعدم نزول المطر فى مواعيد منظمة تعذر على العرب المكث فى مكان واحد ، ومن أجل ذلك أكثروا الرحلة والانتجاع لمواقع الماء ومنابت الكلاء والعشب .

٤ - وجو شبه الجزيرة شديد الحرارة فى تهامة مع رطوبة شواطئها الواقعة على « البحر الأحمر » ، شديدتها أيضا فى الجبال صيفا وإن اشتد البرد

(١) هى المواضع التى يستنقع فيها الماء

بالجبال شتاء . أما نجد فمعتدلة الهواء ، وحول الأودية أكثر ، لارتفاعها ووجود بعض الأودية والأعشاب والحشائش والمزروعات بها . وأما اليمن فمعتدلة شتاء ، شديدة الحرارة صيفا ، ينزل بها المطر بغزارة في الربيع . وأطيب الرياح بشبه الجزيرة ريح الصبا ، وأشدّها حرارة ريح السموم .

هـ - أهم مدن الحجاز : مكة وتقيم بها قريش وكنانة وبجنوبها هذيل . والمدينة وبها الأوس والخزرج وهم الانصار وبنو قريظة والنضير وقينقاع من اليهود وشمالها فدك وخيبر . وبمحاذاة فدك وادي القرى ويقول جميل

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة

بوادي القرى إني إذا لسعيد

ومن مدنه كذلك الطائف وتسكنها ثقيف وهي في الجنوب الشرقي لمكة ويقع شرقها سوق عكاظ ، وهي خصبة جيدة الجو والهواء تزرع بها الفاكهة . وتقع جدة على البحر الأحمر في امتداد مكة ، كما تقع ينبع عليه في امتداد المدينة .

وأشهر مدن اليمن نجران شمالا وقد اعتنق سكانها النصرانية ، واراد ذو نواس ارغامهم على اليهودية فأبوا فأحرقهم في الأخدود الذي ورد ذكره في القرآن الكريم . قتل أصحاب الأخدود ، وبنجران بنى أبرهة معبدا كبيرا ليصرف العرب عن الكعبة إليه ولكنه أخفق فيما أراد . ومن مدن اليمن : مأرب أو سبأ وكان في الجنوب الغربي منها السد الذي خربه سيل العرم عام ١٢٠ ق م وفيه يقول الأعشى :

وفي ذاك للوثقى أسوةٌ ومأرب عني عليها الغريمُ

مُرخامٌ بنته لهم حمير إذا جاءَ موارثه لم يرمِ

فأروى الزروع وأعناها على سعة ماؤهم إذ قُسم

فصاروا أيادي ما يقدر ن منه على شرب طفلِ فطمِ

ومن مدنها صنعاء وهي حاضرتها حتى اليوم ، وبها قصر غمدان وفي جنوبها خرائب مدينة « ظفار » حاضرة الحميريين . وفي المثل « من دخل ظفار حمر » أى تكلم باللغة الحميرية . وتشمل اليمن : حضر موت* ومهرة والشحر ، وشمال حضر موت الأحقاف مساكن عاد « واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف » ، وإلى مهرة تنسب الأبل المهرية وقيل ان نسبتها إلى مهرة حى من قضاة من عرب اليمن ولغة المهريريين حميرية مستعجمة لا تكاد تفهم . وأهم القبائل باليمن : همدان وكان لها فى الجاهلية صنمان يغوث ويعوق . وكذلك مذحج ومراد . والحضارمة ذو نشاط فى التجارة والرحلة

وبنجد مدينة الرياض ، ومن جبالها أجأ وسلى جبلا طيء . وبها كثير من القبائل العربية المشهورة كطيء وتميم وبكر وتغلب وقيس عيلان وغطفان ، ونجد إقليم صحراوى تكثر بها الدارات (الواحات) والأودية وجوها معتدل طيب الهواء ، وقد أشاد بها وبجوها الشعراء ، قال الشاعر :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

الا يا جبذا نفحات نجد ورياروضه بعد القطار (١)

ولا بن الصمة :

اقفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى وقل لنجد عندنا أن يودعا

بنفسى تلك الارض ما أطيب الربا وما أحسن المصطاف والمتربعا

وأما العروض فتنتظم اليمامة والبحرين وعمان

أما عمان فقطر جبل على شاطئ البحر فى الجنوب الشرقى للجزيرة وقد اشتهر أهله بالملاحة . وكان يسكنها قوم من طيء من أشهرهم قبيلة نبهان . واليمامة فى الداخل وتنسب إليها زرقاء اليمامة ، وتقع فى الجنوب الشرقى لنجد وكانت مسكنا لطيم وجديس . والجزء الممتد فى شرق الجزيرة

(١) العرار : نبت طيب الرائحة . القطار جمع قطر جمع قطرة

إلى حدود العراق على بحر فارس يسمى البحرين ومن أشهر مدنه : هجر^١ وتشتهر بالتمر وفي المثل : كناقل التمر إلى هجر . وخرابها القرامطة وبنوا مكانها الاحساء ، ومن مدنه كذلك قطر واشتهر أهلها بالغوص على اللؤلؤ . وقد كان يسكن البحرين قبائل من عيد القيس وتميم .

أصل العرب

العرب إحدى الأمم السامية التي تنتسب إلى سام بن نوح . ومن الأمم السامية البابليون والاشوريون والسبئيون والآراميون والانباط والأحباش والعبرانيون والفينيقيون .

وقد اعتمد العالم ايشهورن م ١٨٢٧ هـ هذا التقسيم وأقره وحشر هذه الشعوب كلها في زمرة واحدة .

وقد استخلصت هذه التسمية « السامية » من التوراة (١) فمجموعة الأمم التي كانت تقطن بلاد آسيا الدنيا هي التي كانت تكون هذه الوحدة الدموية واللغوية المستقلة .

ولكن هل كان لجميع الأمم السامية موطن واحد ومهد أصلي نشأت كلها فيه ثم تفرعت عنه وانتشرت في أنحاء المعمورة (٢) ؟ لم يتفق الباحثون من المستشرقين بعد على شيء في ذلك . فبعضهم يقول بالاجاب ، وبعضهم يحيب بالنفي ، والذين يقولون انه كان للأمم السامية

(١) سفر التكوين الاصحاح العاشر

(٢) راجع : كتاب « اتجاه الموجات البشرية لمحب الدين الخطيب ، وفي مجلة الرسالة عام ١٩٣٦ بحث لكاتب في أصل الحضارة العربية وهل نشأت في الجزيرة العربية أو في العراق أو الحبشة ثم انتقلت اليها ، وكتاب تاريخ اللغات السامية .

موطن أصلي واحد يزعم بعضهم أن المهد الأصلي للساميين هو أرض أرمينية بالقرب من حدود كردستان . والتوراة تؤيد أن هذا المهد الأصلي هو أرض بابل ، ويؤيد ذلك المستشرق الإيطالي جويدي . والبعض يرون أن مهد الساميين هو جزيرة العرب ، وآخرون يرونه في الحبشة . ومن الذين ينفون هذا الموطن الأصلي المشترك للساميين نولدكه ويؤيد رأيه باختلاف مسميات المشاهدات الأولى — من جبل وشجر وحيوان ونبات — في جميع اللغات السامية ومهما يكن فأقدم الهجرات السامية كانت هجرة سكان الجزيرة الذين اتجهوا نحو بابل وأسسوا لهم ملكاً كبيراً في وادي الفرات

الشعوب العربية

يجتمع رأى المؤرخين على أن العرب طبقتان :

أ - الطبقة الأولى وقد بادت وتلاشت وتسمى العرب البائدة أو العاربة وقد درست آثارهم وأخبارهم إلا القليل ، والمشهور منهم قبيلة عاد وكانت بلادها الأحقاف بين اليمن وعمان من البحرين إلى حضرموت والشحر ، وقبيلة ثمود وكانت منازلهم بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشام وكانوا ينحتون بيوتهم من الجبال ، وغير هاتين القبيلتين : كالعمالقة ، وطسم بالأحقاف ، وجديس . ويزعم بعض الباحثين أن الحواريين من العرب البائدة وهو خطأ في البحث والرأى .

ب - والطبقة الثانية : التي بقيت آثارها وأخبارها هي أولاد قحطان الذي يسمى في التوراة باسم يارح بن يقطان وأبوهم يعرب بن قحطان أول من نطق بالعربية من هذا الجيل ، ويزعم العرب أنه أصل لسانهم وبذلك يفخر حسان في قوله :

تعلمتم من منطق الشيخ يعرب أبينا فصرتم معربين ذوى نفرٍ
وكنتم قديماً ما لكم غير عجمة كلامٌ وكنتم كالبهايم في القفرِ

وقد سكنوا اليمن بعد المعينيين مهاجرين اليها من بابل أو الحبشة . وهذه الطبقة فرعان :

١ — العرب المتعربة وقد ورثوا صفات العرب القديمة . وهم السبئيون والحيريون .

٢ — العرب المستعربة وهم عرب الشمال أو الاسماعيلية أو العدنانية الذين استفادوا اللغة من عرب الجنوب ، ونقلوا العادات والأخلاق عنهم بمصاهرة اسماعيل لقبيلة جرهم الثانية اليمنية التي نزحت من الجنوب إلى الشمال وهي غير جرهم الأولى إحدى القبائل البائدة . والعدنانيون أهل الحجاز وأصحاب اللغة الفصحى ومظهر المدنية العربية إلى يومنا هذا . أما أهل الجنوب من ولد قحطان فقد بادت دولهم وطويت صحائفهم قبل البعث بعدة قرون ، ومن بقى منهم اندمج في عرب الشمال .

وينتهي نسب العدنانيين إلى اسماعيل عليه السلام الذي هاجر به أبوه ابراهيم إلى مكة بواد غير ذي زرع هو وأمه هاجر المصرية وتزوج من جرهم ثم كثر أولاده واستقلوا بهذه البلاد وطردها منها الجرهميين ، وأصبحوا عنصرا جديدا يخالف في الحياة والتقاليد واللغة عنصر القحطانيين .

ويبدأ تاريخ العدنانيين منذ القرن التاسع عشر قبل الميلاد . وسلسلة نسبهم إلى عدنان — من ذرية اسماعيل — معروفة أما ما بين عدنان واسماعيل فيختلف فيه علماء الأنساب اختلافا كبيرا .

القبائل العربية (١)

أولا :

القبائل القحطانية :

(١) راجع في هذا :

١ — كتب التاريخ كابن خلدون والطبري والكمال لابن الاثير وسواها

ب — الأنساب وهي كثيرة لا يحصها العد =

قحطان (١) هو الجد الأول للقبائل القحطانية ، وأبوهم هو يعرب بن قحطان وكان مهد شعب قحطان هو اليمن . وأشهر قبائلهم : كهلان وحمير .
أما كهلان : فكان لهم ملك باليمن حيث شاركوا الخيريين في ملك هذه البلاد ، ثم انفرد الحميريون بالملك وصارت بطون كهلان تحت إمرتهم ونفوذهم ثم تضاعل ملك حمير وبقيت الرياسة على العرب بالبادية لبني كهلان .
ومن بطون كهلان : «الأزد» ومنها : الأوس والخزرج سكان المدينة ، وغسان ملوك الشام ، و « طيء » وكانت منازلهم باليمن ثم هاجروا منها بعد سيل العرم وأقاموا بنجد بجبلى أجأ وسلمى (٢) ، و « كندة » باليمن ونجد ،

= ج — كتب الأدب : ومن أهمها : العقد الفريد (٢٠٨ - ٢٦٣ / ٢ العقد ط التجارية ١٩٣٥)

ملاحظة

قال ابن الكلبي : الشعب أكبر من القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة ثم الفصيلة ، والفصيلة . هي أهل بيت الرجل خاصة ، والعشيرة . هي رهط الرجل . وقال غيره : الشعوب العجم والقبائل العرب (راجع ٢٢٣ ج ٢ العقد ط ١٩٣٥ - وراجع ١١٢ الشهاب الراصد للطفي جمعه ط ١٩٢٦ - والأحكام الباطنية للماوردي ص ٣٥٣ بون ط ١٨٥٣ ، ولسان العرب مادة فخذ ، وبلوغ الأرب ١٩٠ / ٣ وما بعدها)

(١) راجع أنساب اليمن في العقد (٢٤٢ / ٢ ط ١٩٣٥) . وفي كتاب تاريخ سني الملوك لحزة الأصفهاني تفصيل لتاريخهم وأنسابهم

(٢) يقعان في الشمال الشرقي للمدينة ويخترقهما وادي الدهناء . ولما عتهما عاش بنو طيء في عز ومنعة قال شاعرهم عارق الطائي :

ومن مبلغ عمر بن هند رسالة إذا استحققتها العيس تنضي من البعد
أيوعدني والرمل بيني وبينه تأمل رويدا ما أمانة من هند ؟
ومن أجأ حولي رعان كأنها قبائل خيل من كيت ومن ورد

« و بجيلة » و « لحم » و « عاملة » شمالى الشام ، و « مذحج » باليمن و مراد و همدان بها أيضا ، و « جذام » على خليج العقبة .
و أما حمير : فكانت بلادهم مشارف اليمن فظفار و ما حولها . و من قبائلهم : « قضاة » و كان قضاة مال كالبلاد الشحر و قبره موجود بجبل الشحر و اليه نسبت القبيلة . و يزعم بعض النسابين أن قضاة من القبائل العدنانية و هذا خطأ واضح . و انقسمت قضاة إلى بطون من أشهرها : « بلى » شمالى الحجاز و « وجهينة » كذلك « و عذرة » جنوب الحجاز و « تنوخ » قرب المعرة .

هذا و كان اليمنيون يسمون مقاماتهم باليمن مخاليف جمع مخلاف ، و يضاف إلى اسم القبيلة التى تسكنه .
و قد أثر فى حياتهم الاجتماعية و السياسية سبل العرم تأثير كبيرا . فقد كانوا بنوا فى مأرب سدا كبيرا بمثابة [الخزانات الحديثة المعروفة عندنا] و أفادوا منه فى تجميع مياه السيول و الأمطار و خزنها فيه و تصرفها عنه على حسب الحاجة . و لما قلت العناية به و بالسهر عليه تصدعت جوانب هذا السد و لم يستطع مقاومة هجمات السيول المتواردة عليه و المياه الكثيرة المحجوزة خلفه فأنكسر و فاضت المياه على ما أمامه من القرى و المزارع فأتلقتها و كان ذلك على ما حققه الباحثون عام ١٢٠ ق م و أدى ذلك إلى هجرة أهل الجنوب إلى الشمال .

ثانيا : .

العدنانيون أو الاسماعيليون أو الحجازيون أو عرب أهل الشمال :

ينتهى نسبهم إلى اسماعيل بن ابراهيم الذى نزل مكة و جاور جدهم و صاهرهم و بنى هو و أبوه ابراهيم البيت الحرام ، ثم تناسل أبناؤه و كان منهم عدنان و ولده ، و من عدنان تبدى سلسلة نسب العدنانيين المعروفة .

وقد انقسمت القبائل العدنانية من نزار بن معد بن عدنان . ومن بطونه :
إياد وربيعة ومضر وأنمار . وأشهرهم وأكثرهم ربيعة ومضر .
أما ربيعة فمنها قبائل كثيرة لها شهرة وذكر عظيم في تاريخ العرب حيث
كانوا ينافون مضر في الشرف والسيادة ومنهم كان أكثر الخوارج في الاسلام
ومن ربيعة : عبد القيس ، ومنها بكر وتغلب ابنا وائل ، ومن بكر حنيفة
وعجل ابنا لجيم .

وأما مضر (١) فانقسمت إلى جذمين كبيرين :

١ — قيس عيلان بن مضر . ولها بطون كثيرة أشهرها : سليم وهو ازن
وغطفان . وعبس وذبيان ، وأشجع ، وعدوان ، وغنى ، ومن قيس :
عامر بن صعصعة ومنه تفرعت بطون كثيرة .

٢ — الياس بن مضر وقد تشعبت منه بطون كثيرة منها . تميم بن مر ،
وهذيل بن مدركة ، وبنو أسد بن خزيمه وبطون كنانة بن خزيمه . ومن
كنانة قريش وهم أولاد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة .

وانقسمت قريش إلى قبائل كثيرة أشهرها : جمح ، وسهم ، وعدى ،
ومخزوم ، وتيم ، وزهرة بن كلاب ، وعبد الدار بن قصي ، وأسد بن عبد العزى
بن قصي ، وعبد مناف بن قصي .

وكان من عبد مناف أربع فصائل : عبد شمس ، ونوفل ، وعبد المطلب ،
وهاشم . وببيت هاشم هو الذي كان منه سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
بن هاشم صلوات الله عليه ، ومنه العباسيون أولاد عباس بن عبد المطلب .
وأما الأمويون فليسوا من بني هاشم وإنما هم من بني عبد شمس أخيه

(١) وبمجد مضر يفتخرهم شاعرهم ويقول .

إذا مضر الحمراء كانت أرومتي وقام بنصري حازم وابن حازم

عطست بأنف شامخ وتناولت يداي الثريا قاعدا غير قائم

وبالجملة فهمد شعب عدنان مكة وما جاورها من أرض الحجاز وتهامة .
ولما تكاثرت أولاد عدنان هاجروا إلى بلاد كثيرة .

فهاجرت عبد القيس - من ربيعة - وبطون من بكر بن وائل إلى
البحرين وكان معهم بطون من تميم ومنهم كان أمير هذه الجهة من قبل
الفرس حين مجيء الاسلام وهو المنذر بن ساوى التميمي .

وهاجرت بنو حنيفة - من بكر - إلى اليمامة ونزلوا بحجر حاضرتها
وكان أميرهم حين مجيء الاسلام هو هودذة الحنفى وفيه يقول الأعشى :

من ير هودذة يسجد غير سائب إذا تعمم فوق التاج أو وضعها
له أكاليل بالياقوت فصلاها صراغها . لا ترى عيبا ولا طبعها
وأقامت سائر بكر بن وائل ما بين اليمامة والبحرين حتى أطراف

سواد العراق

وأقامت تغلب بالجزيرة الفراتية . وسكنت بنو تميم ببادية البصرة .
وأقامت بنو سليم بالقرب من المدينة . وسكنت ثقيف بالطائف . وهوازن
في شرقي مكة . وبنو أسد شرقي تيماء وغربي الكوفة وأقام بمكة وضواحيها
بطون قريش .

حياة العرب الاجتماعية والسياسية والدينية

حياتهم الاجتماعية :

١ - العرب بدو وحضر : فالبدو هم الذين يقيمون بالبادية ، والحضر هم سكان المدن .

وكان بالجزيرة العربية مدن كثيرة أكثرها ببلاد اليمن : كما رب وصنعاء وزبيد وعدن . ومن أشهر مدن الجزيرة العربية : مكة والمدينة والطائف .
وفرق كبير بين حياة البدو وحياة الحضر :

فالبدو قوم رحل ، يرتادون منابت الكلاء ومواقع الغيث ، لا يستقر بهم مقام ، يرحلون بأغنامهم وأنعامهم إلى حيث تطيب لهم الإقامة حيناً ، غذاؤهم لحوم أنعامهم وألبانها ولباسهم من أصوافها وأوبارها ، وحياتهم كفاف وقناعة . اللبن والتمر واللحم هي مأكولاتهم ، ومن أجل هذا الفقر والشقاء كثرت بينهم الغارات والحروب ، يأبون أن يكونوا أصحاب حرقة ويرون في ذلك عارا كبيرا . أهم ما يفتخرون به البطولة والقوة على النضال والنزال .

أما أهل المدن فعيشتهم مستقرة ، يعتمدون على الزراعة والصناعة في اليمن أو على التجارة في الحجاز ، يأوون إلى بيوت ومساكن ، ويعيشون في ظل أمن وسلام غالبا وكانوا أقل شجاعة وأشد حبا للمال وأكثر توفرا على وسائل الترف والنعيم . وكان اليمنيون أمعن في الحضارة وقد نقل المؤرخون كثيرا من أحوالهم يدل على إفراط في الترف من النسيج الفاخر وأطباق الذهب والفضة وتزيين قصور أغنيائهم بأنواع الزينة ، وقد أوصلهم إلى ذلك كثرة الأموال في أيديهم من طريق التجارة والزراعة .

وكان أكثر الحجازيين تحضرا قریش في مكة فقد أغنتهم التجارة ومن يأوى اليهم من الحجاج فنعموا بما لم ينعم به غيرهم من سكان الحجاز .

٢ — والقبيلة هي الوحدة التي بنيت عليها حياتهم وأفراد القبيلة ينتسبون إلى أب واحد (١) وقل أن ينتسب إليها من لم يشاركها في نسبها إلا عن طريق الحلف (٢) أو الولاء .

والقبيلة تسمى غالبا باسم الأب كربيعة ومضر والأوس والخزرج ، وقليل ما تنتسب إلى الأم كحننوف وبجيلة ، وقد تعرف القبيلة بحادث حدث كغسان وهو اسم للهاء الذي نزلت به هذه القبيلة . ولكن الكثير الذائع نسبة القبيلة إلى الأب .

ويسود أفراد القبيلة العصبية والتناصر والتعاون ، وكل فرد يتعصب لقبيلته أصابت أم أخطأت :

وما أنا إلا من « غزية » ، إن غوت

غويت وان ترشد غزية أرشد

والقبيلة تحميه من العدوان وتطالب بدمه ان جنى أحد عليه ؛ وإذا خرج فرد منها على تقاليد القبيلة أو جر عليها المغارم تخلت عنه وأعلنت براءتها منه وسمى « خليعا » . وقد يلتجئ فرد إلى غير قبيلته فيسمى « حليفا » .

(١) ١٢٠ / ٣ المخصص .

(٢) وكما كان الفرد يصير حليفا لقبيلة غير قبيلته فقد كانت القبيلة تحالف قبيلة أخرى تحتّمى بها ، وإن بقيت بعض القبائل معتزة بعصبيتها متجمرة بنفسها لا تحالف غيرها ، وجرات العرب ثلاثة : ضبة ونمير وعبس ، والبعض يزيد رابعة وهي بنو الحارث بن عبد المطلب .

ولكل قبيلة رئيس هو سيدها ومرجعها وملاذها في الشدائد (١)؛ ولها شاعر أو أكثر يتغنى بمفاخرها وشرفها ومجدها ويذود عنها أعداءها وخصومها وعلاقة القبيلة بالقبائل الأخرى علاقة عداة غالبا، إغارة وسلب وحرب وانتقام وأخذ بالثار :

يغار علينا واثرين فيشتقى بنا إن أصبنا ، أو نغير على وتر
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا فما ينقضى إلا ونحن على شطر
وكانت القبيلة تنقسم إلى أسر ، والأسرة تخضع للأب خضوعا مطلقا في كل شيء .

٣ — وللرأة شأن في الأسرة العربية . يبدأ بذكرها الشعراء قصائدهم ، ويتغنون بحماها ويكنسونها بكنيتها ، ويحترمونها ، ويفخرون بنسبتهم إلى أمهاتهم كما يفخرون بالنسبة إلى الأب ، ويستمعون لمشورة زوجاتهم ونسائهم ، وحسبك أن الحارث بن عوف أحد أشراف العرب كانت زوجته الصغيرة بنت أوس بن حارثة بن لأم الطائي هي التي أشارت عليه بأن يسعى في الصلح بين عبس وذبيان ففعل فاستحق بذلك حمد الناس ومدح الشعراء . وكانوا يستشيرونها في الزواج ويقبلون رأيها (٢) .

(١) وكان لرئيس القبيلة حق معلوم في الغنائم ، قال الشاعر يخاطب بسطام ابن قيس سيد شيبان :

لك المربع منا والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول
المربع : ربع الغنيمة . والصفايا : ما يصطفيه الرئيس لنفسه قبل القسمة ، والنشيطه : ما أصابه الرئيس في الطريق قبل الوصول إلى دار العدو . والفضول : ما فضل من الغنيمة مما لا يقبل للقسمة على عدد الغزاة .

(٢) راجع في ٢٠٤/٢ الأمالى أخذ عتبة بن ربيعة لرأى ابنته هند في زواجها وكانت قد شرطت عليه ذلك ، وبرأيها وموافقتها تزوجت أبا سفيان ابن حرب .

كانوا يتزوجون ويعددون بين الأزواج كما كانوا يطلقون ، قال الأعشى
أيا جارتى بينى فانك طالقة كذاك أمور الناس غاد وطارقة

وكانوا يحبون أولادهم ويحنون عليهم :

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرض
وإذا كان بعض العرب قد وأدوا البنات خشية الفقر أو العار فانما كان
ذلك فى طبقة منحطة منهم فى بعض بطون من تميم وأسد . وقد كان بعض
العرب يكره أن تلد امرأته بنتا (١) .

وعلاقة الرجل باخوانه من قبيلته علاقة محبة وتناصر وكما فى المثل : انصر
أخاك ظلما أو مظلوما .

ويقول الشاعر :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ما قال برهانا
٤ — وكان يلهون بالخمر (٢) وغناء القيان والقمار ، ويصيدون الوحوش
بالخيل أو بالكلاب المعلمة ، وقد قالوا إن كليب بن وائل أول من اصطاد
بالفهد - ويرد فى شعرهم كثير من الآيات يصفون فيها صيد بقر الوحش
وحمار الوحش وغيرهما . والجود والكرم أهم خصائص العربى (٣) .

(١) وفى ذلك تقول زوجة عربى ولدت بنتا ففغضب زوجها وتحول إلى

بيت جاره :

ما لآبى حمزة لا يأتينا يظل فى البيت الذى يلينا

غضبان ألا نلد البنينا والله ما ذلك فى أيدينا

وإنما نأخذ ما أعطينا ونحن كالأرض لزارعينا

(٢) ومن العرب من حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية (راجع ١/٢٠٤ الأمالى)

(٣) راجع أجواد أهل الجاهلية فى العقد الفريد (١٤٥ / ١ ط ١٩٢٨) =

وكانوا يتمدحون بالبرورة والأخلاق والشرف والشجاعة والكرم والوفاء (١) .

وللكرم في حياة العربي حظ كبير ، ومن العرب أناس اشتهروا بالجود والسخاء وصاروا مضرب الأمثال كحاتم وسواه والأبل هي عماد الحياة في جزيرة العرب ، وكان يعنون بالخيـل للطعان والنزال

٥ - وأشهر صناعاتهم الغزل ، وفي المدينة والطائف واليمن قامت الزراعة وكذلك حول المياه والعيون . (٢)

= وراجع حديث حاتم وما اشتهر به من الجود والنجدة وما وقع له مع زوجته ما وية في ذيل الأمالى ص ١٥٢ . ومن أجواد العرب : كعب بن مامة الأيادي وأوس بن حارثة بن لأم الطائي وهرم بن سنان (راجع بلوغ الأرب) (١) وقصة وفاء السموأل معروفة ، ومن وفاتهم انهم قتلوا اخاهم وفاء بعهد الجار قال الشاعر

قتلنا أخانا للوفاء بجارنا وكان ابونا قد تجبر مقابره

(راجع ١/٥٩ تاريخ الامم الاسلامية للخضري بك ط ١٩٢٦) . وكذلك قصة وفاء هانيء بين قبيلة لأمانات النعمان بن المنذر التي اودعها عنده والتي تعرض بسببها هو وقومه والعرب لحرب كسرى في يوم ذي قار قصة معروفة مشهورة (راجع ٣/٢٧٤ من العقد الفريد ط ١٩٢٨)

(٢) والبيت الذي رواه سيديويه في شواهد (١/٣٥٩) الكتاب لسيدويه) وهو

الارجلا جزاه الله خيرا يدل على محصلة تبليت

يدل على أنهم كانوا يعرفون استخراج الذهب ولا شك أن ذلك كان في اليمن إذا صح أن هذا البيت جاهلي . والمحصلة : المرأة التي تحصل الذهب من قراب المعادن وتخلصه منه وطلبها للتبليت لغرض التحصيل طبعاً

وكانت التجارة دأب القرشيين الذين كانوا يغدون ويروحون في الجزيرة العربية آمنين مطمئنين ، وكان لبني عبد مناف رحلات إلى الشام واليمن والحبشة وفارس لأخذ اليهود من ملوكها وتأمين السبل لتجار قريش (١) .

وامتدت تجارة قريش إلى اليمن والشام وكانت لهم رحلتان رحلة إلى اليمن شتاء ورحلة إلى الشام صيفا . وقد تقسم أولاد عبد مناف البلاد التي يتاجرون معها ، فكان هاشم يذهب إلى الشام ونوفل إلى فارس وعبد شمس إلى الحبشة والمطلب إلى اليمن ، ولم يكن يتعرض لهم أحد لأنهم أهل بيت الله وحماته .

وأمدت هذه الرحلات الهاشميين بثقافة واسعة وصقلت أفكارهم وأذواقهم وأسلوبهم وجعلتهم أرقى عرب الشمال فكرا وأبعدهم نظرا وأحصفهم عقلا .

حياتهم السياسية

(١) - المجتمع العربي يتحكم فيه رؤساء القبائل وساداتها ، فكل قبيلة تأتمر بأمر سيدها وتخضع لأرادته في السلم والحرب جميعاً :

دعانا والأسنة مشرعات فكنا عند دعوته الجوابا
وهو الحكم والمرجع في كل ما شجر بين أفرادها من خلاف . وللقبيلة بجانب رئيسها حكام امتازوا بأصالة الرأي وحصافة العقل وصدق النظر يفرع

(١) ١٩٩ النوادر ملحق بكتاب الأمل . ويقول الشاعر :

يا أيها الرجل المحول رحله هلا نرات بآل عبد مناف
الاخذون العهد من آفاقها والراحلون لرحلة الأيلاف
والخالطون غنيهم بفقيرهم حتى يكون فقيرهم كالكافي

اليهم في الخصومات الأدبية كالمفاخرة في النسب ونحوها (١) .

وهذا النظام هو الذى كانت تسير عليه أغلبية العرب من البدو في نجد والحجاز وتهامة . ويستثنى من ذلك مكة والأمارات التى على التخوم واليمن .

(٢) — والقرشيون لثرائهم من التجارة ، ولا تصالهم بالأمم المتحضرة كفارس والروم ، ولنضوج عقليتهم وثقافتهم وتفكيرهم ، كانوا يحكمون مكة حكما أدق وأنضج من هذا النظام البدوى السائد ، وقد وضع قصى في القرن الخامس الميلادى أساس هذا النظام الجديد ، فقد جمع شتات القرشيين ووحد كلمتهم وأخذ ولاية البيت الحرام وجدد بناء الكعبة وبني دار الندوة ليجتمع فيها الرؤساء الذين لا تقل أعمارهم عن الأربعين ليتشاوروا ويعقدوا أنسكتهم وألويتهم ويفصلوا في خصوماتهم .

وأصبح لقصى السيادة التامة في مكة ، كما صار الرئيس الدينى للبيت ؛ وكان له رئاسة دار الندوة ، واللواء فلا تعقد راية الحرب الا بيده ، والحجابه وهى حجاب الكعبة لا يفتح بابها إلا هو وهو الذى يلى أمر خدمتها ، وسقاية الحاج ورفادته ، والسقاية هى الحياض التى كانوا يملأونها بالماء ويحلوونها بشيء من التمر والزبيب ليشرب منها الناس إذا وردوا مكة ، والرفادة هى الطعام الذى كان يصنع للحجاج على سبيل الضيافة ، وكانت قريش تساعد قصيا على ذلك بما تقدمه من خرج سنوى .

وورث أولاد قصى هذه المآثر والمفاخر ، وتنافسوا عليها ، ثم استقر رأيهم على اقتسامها بينهم (٢) :

١ — فكانت السقاية فى بنى هاشم ويقوم بها العباس بن عبد المطلب .

٢ — والعُقاب - راية قريش - كانت فى بنى أمية عند أبى سفيان بن حرب

(١) وكان عمرو بن حممة الدوسى أحد حكام العرب (راجع ١٤٣/٢ الأمالى)

(٢) راجع العقد الفريد ، ١/٢٤٩ بلوغ الأرب

وإذا كانت عند رجل آخر جها إذا حميت الحرب فاذا اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب وإلا رأسوا صاحبها فقدموه .

٣ — والرفادة كانت في نوفل عند الحرث بن عامر ، والرفادة هي ما كانت تخرجه من أموالها وترفد به منقطع الحاج .

٤ — والسدانة لبني عبد الدار يقوم بها الحرث بن طلحة وكان إليه السدانة مع الحجابة . والسدانة خدمة الكعبة وحجابتها ويبد صاحبها مفتاح الكعبة ولها المقام الأول عندهم .

٥ — والمشورة لبني أسد وصاحبها يزيد بن زمعة بن الأسود وكان يستشار في الأمور الكبيرة .

٦ — والندوة في بني عبد الدار أيضا . وهي الاشراف على دار الندوة

٧ — والأشناق وهي الديات والمغارم وهي في بني تيم ونهض بها أبو بكر الصديق ، وكان صاحبها اذا احتفل شيئا فسأل فيه قريشا صدقوه وأمضوا حمالة من نهض معه وان احتملها غيره خذلوه .

٨ — القبة والأعنة . والقبة هي الخيمة التي كانوا يضربونها ويجمعون اليها أدوات الحرب ، والأعنة هي تولى أمر الخيل في الحرب . وكان ذلك لبني مخزوم ونهض بهما خالد بن الوليد ، وقيل ان الأعنة كانت في بني عدى .

٩ — السفارة وهي لبني عدى ونهض بها عمر بن الخطاب وكانت إليه السفارة في الجاهلية وهي التوسط بين قريش وغيرها في الحرب وفي السلم معا .

١٠ — الايسار وهي تولى أمر الازلام وكانت في بني جمح وقام بها صفوان بن أمية .

١١ — الحكومة والاموال المحجرة التي سموها لأهلهم وهي لبني سهم ويقوم بها الحارث بن قيس ... ومما وضعته قريش « حلف الفضول » فقد

اجتمعت بطون قريش وتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان على رد المظالم بمكة وألا يظلم أحد الا منعه وأخذوا للمظلوم بحقه ، وحضره الرسول صلى الله عليه وهو في الخامسة والعشرين من عمره وقال فيه : « لقد شهدت حلف الفضول وما أحب أن لي به حمر النعم »

(٣) - وقامت في اليمن دول متحضرة منظمة من أشهرها :

١ - دولة (١) المعينيين : ما بين ١٢٠٠ - ٨٠٠ ق م .

نزحوا من العراق الى اليمن واستوطنوا بها وشادوا القصور والمحافد .

ب - دولة سبأ : من القرن الثامن قبل الميلاد حتى أواخر القرن الثاني قبل الميلاد أيضا وقد ورد ذكرها في التوراة ، وفي القرآن الكريم ما يدل على ترف أهلها ، وقد ازدهرت مدينة سبأ قبل الميلاد بقرون وتدل النقوش والآثار التي عثر عليها على انها كانت في القرن الثامن قبل الميلاد .

وحاضرة هذه الدولة هي مأرب وكانت تمر بها التجارة بين الهند والحبشة والعراق ومصر والشام في بعض العصور ، فازدهرت المدينة والدولة . ووجدت صلات تجارية بين بلقيس ملكة سبأ والملك سليمان بن داود ملك أورشليم . إلا أنه أثر في حياة دولة سبأ أمران .

أولاهما انتقال التجارة الى الطريق البحري وانقطاع مرورها بسبأ . وثانيهما سيل العرم الذي حطم سد مأرب فأغرق البلاد . وهاجر أهلها منها وتفرقوا في أرجاء الجزيرة العربية .

ج - الدولة الحميرية : ١٢٠ ق م - ٥٠٠ م

وعاصمة هذه الدولة ظفار . وامتازت بالفتوحات ومحاربتها الفرس

(١) راجع ص ٢٢٧ وما بعدها من كتاب تاريخ اللغات السامية لولفغسون ط القاهرة سنة ١٩٢٩ في الحديث عن اليمن ودولها وتاريخها والمصادر التاريخية التي تتحدث عنهم . وراجع كتاب تاريخ التمدن الاسلامي

والحبشة . وتضاربت المؤرخون في أسماء ملوكهم (١) وعددهم ومدة حكمهم .
وتنقسم هذه الدولة إلى طبقتين :

١ - الاولى ينتهى حكمها فى أواخر القرن الثالث الميلادى (٢)

٢ - والثانية مدت سلطانها على الشحر وحضرموت ويسمى ملوكها
التبابعة (٣) وآخرهم ذو نوواس (٥١٥ - ٥٢٥ م)

وذو نواس صاحب الاخدود الذى عذب فيه أهل نجران لعدم تركهم
النصرانية واتباعهم دينه الرسمى (اليهودية) وأحرق الكتاب المقدس مما
دعا إلى غضب الحبشة فقامت بحملة حربية على اليمن دفاعاً عن النصرانية (٤)
وكانت بقيادة أرياط وأبرهة فاستولوا على اليمن عام ٥٢٥م وحكمها أرياط
ثم أبرهة ، وأبرهة هو الذى بنى كنيسة عظيمة بصنعاء لصرف العرب عن
الكعبة اليها ثم غزا مكة ليهدم الكعبة فأهلكه الله ، وملك بعده ابنه
يكسوم ؛ ثم قام سيف بن ذى يزن وحارب الحبشيين وأخرجهم من

(١) راجع اجتماع العرب عند ملك من ملوك حمير (٢ / ٢٧٦ الأمالى) .
وتعزية وفود العرب لسلامة ذى فائش فى ابنه (٢ / ٩٩ الأمالى)

(٢) ومن ملوكها : ربيعة وهو الذى قص رؤيته على شق سطيج وأقام
بعض أبنائه بالحيرة ومنهم النعمان بن المنذر

(٣) فتبع الاول اسمه زيد ، وتبع الآخر هو أسعد أبى كرب وكان ملكه
قبل ملك ربيعة بن مضر ، وذلك من ٣٨٥ — ٤٢٠ م ، وقالوا إنه غزا المدينة
وكسا الكعبة فى مكة وأنه أول من تهود من العرب

(٤) ويعمل المؤرخون اليونانيون هذه الحملة الحربية بتعليل آخر (١١٦)
الشهاب الراصد)

اليمن بمساعدة الفرس له الذين أمدوه بجيش بقيادة وهرز (١)
وكانت مدة حكم الحبشة لليمن اثنتين وسبعين سنة ، وكتاب الإلكيل
للهمداني أحسن مرجع قديم عن اليمن وتاريخها

(٤) — إمارة الحيرة : من القرن الثالث الميلادى إلى ٦٣٢ م

وهى إمارة عربية أقامها الفرس على حدود بلادهم بالقرب من السكوفة
لتحميمهم من غارات العرب وليحاربوا بها أعداءهم الروم . فقد وضع
أردشير يده على هذه البلاد واستولى عليها وحكم العرب المقيمين فيها مما
أدّى الى هجرة قضاة عنها الى الشام ، ورأى أردشير أنه يستحيل عليه أن
يحكم العرب مباشرة ويمنعهم من الاغارة على تخوم ملكه إلا بأن يملك عليهم
رجلا منهم . فاختر جزيمة الوضاح ملكا على الحيرة وسائر من
ببادية العراق والجزيرة من ربيعة ومضر ، وجزيمة هو الذى قتلته الزباء نحو
عام ٢٦٨ م انتقاما منه لقتله والدها ، فاحتال ابن اخت له اسمه عمرو بن عدى
حتى قتلها (٢)

(١) راجع ٧٥ / ١٦ الاغانى ، ٥٣ / ٢ الاغانى أيضا . وراجع وفود قریش

على سيف بن ذى يزن فى العقد الفريد (ص ١٧٥ ج ١ ط ١٩٢٨)

(٢) المصادر الافرنجية تذهب إلى أن الزباء كانت ملكة تدمر من قبل
الرومانين ، ثم حاربها الرومان وأسروها وماتت فى روما نحو عام ٢٧٣ م ،
وكان اسمها عندهم زنوبيا . وكان سابور قد هاجم تدمر بعد أن أسر الامبراطور
فالريان امبراطور الروم ، ولكن ملكة تدمر قاومتها بما سارت عليه من
حرب العصابات حتى هزمتها ومنحت روما ملك تدمر لقب « أمير الشرق وملك
تدمر » وكان اسمه « اودناتوس » ثم قتل وتولى الملك بعده ابنه الطفل وقامت
زوجته وصية على ولدها وكانت تلك الزوجة هى زنوبيا . أرادت زنوبيا التوسع
فأرسلت جيشا ليفتح مصر ويخرج الرومان منها فأفلح فى ذلك ثم غزت الاناضول
واستولى جيشها عليها عام ٢٧٠ م واعترف بها الامبراطور شريكه فى الامبراطورية =

ثم ولى على الحيرة عمرو بن عدى بن نصر اللخمي أول ملوك اللخمين بالحيرة، وملكهم ما بين عامي (٢٦٨ — ٦٣٢ م) أى حتى فتح خالد ابن الوليد للحيرة .

ومن ملوكها : النعمان بن امرئ القيس صاحب الخورنق والسدير (١) ، والنعمان بن المنذر الذى مدحه النابغة وقد قتله كسرى وقامت من أجله موقعة ذى قار عام ٥٨٠ م (٢)

وولى على الحيرة بعد النعمان بن المنذر إياس بن قبيصة الطائي ، وحارب هانىء بن مسعود الشيباني طلبا لودائع النعمان بن المنذر التى أودعها عنده وانتصر بنو شيبان وهزموا الفرس هزيمة منكرة ، ثم عاد الملك إلى آل لخم .

— وأصبحت تدمر عاصمة مهابة . ثم تولى « كولوديس » امبراطورية الرومان تخف لمحاربة زنوبيا فهزمها فى الاناضول ثم على حدود تدمر وحاصر عاصمتها تدمر . ثم أخذوها أسيرة هى وابنها واستولوا على تدمر وخربوها عام ٢٧٢ م (١) بناهما له سنار الذى قتله الملك خوفا أن يبني مثلهما فقيلا فى المثل « جزاء جزاء سنار »

(٢) راجع خطبة هانىء بن قبيصة فى قومه يحرضهم على الحرب فى يوم ذى قار فى الامالى (١ / ١٦٩)

وراجع فى الامالى (١٩٥ النوادر الملحق بالامالى) خبر المنذر بن ماء السماء وقتله نديمه وجعله لنفسه فى كل سنة يوم بؤس ويوم نعيم وقتله عبيد بن الابرص يوم بؤسه .

ولهند بنت النعمان بن المنذر لرجل أولاهها يدا فدعت له : شكرتك يدناتها خصاصة بعد ثروة ، وأعناك عن يدناتها ثروة بعد فاقة (٢٧ / ٤ زهر الآداب) وراجع اجتماع وفود العرب عند النعمان فى العقد (٢٥٦ / ١ ط ١٩٢٨) ، ووفود العرب على كسرى فى العقد ، (١ / ١٦٦) ، ووفود حاجب بن زرارة على كسرى (١٧٤ / ١ العقد) ، ووفود أبى سفيان على كسرى (١٧٤ / ١ العقد) ووفود حسان بن ثابت على النعمان (١٧٥ / ١ العقد)

وقد تأثرت إمارة الحيرة بحضارة الفرس وثقافتها ومعارفها تأثرا كبيرا
وكان ملوكها في استقلال داخلي .

(٥) — إمارة غسان :

هاجرت قبائل من قضاة إلى مشارف الشام وسكنت بها لخصبها ، وكانت
هذه البلاد تحت حكم الرومان فاصطنعهم الرومان لينعوا غارات العرب عن
ملكهم وليكفوا نوا عدة لهم ضد الفرس واللخميين ، ثم تغلب على هذه البلاد
بنو جفنة الغسانيون ورؤسهم جفنة بن عمرو فولته الروم ملكا على عرب
الشام ، وشمل حكمهم مقاطعتي حوران والبلقاء ، وعاصمة ملكهم هي جولة لان
أو الجابية أو جلق بالقرب من دمشق .

وقد تأثرت هذه الإمارة بالحضارة الرومانية ، ومن أشهر (١) ملوكها
الحارث بن جبلة وقد عينه الامبراطور جوستينيان عام ٥٢٩ م أميرا على
جميع قبائل العرب في الشام ومنحه لقب بطريق وكان الحارث نصرانيا على
مذهب اليعاقبة وقد سافر إلى القسطنطينية عام ٥٦٣ م وهو الذي توسط
لامرىء القيس في الذهاب إلى قيصر في القسطنطينية ليستعين به . وآخر
ملوكهم هو جبلة بن الأيهم ، وقد اشتهر الغسانيون بالكرم ومدحهم الشعراء
كحسان والأعشى والنابغة وعلقمة الفحل .

وقد حارب الغساسنة الفرس واللخميين وكانت لهم أيام انتصروا فيها
على اللخميين .

الحياة الدينية عند العرب :

١ — الحياة الدينية عند العرب مختلفة الألوان والمظاهر والعقائد فمن

(١) ومن ملوكها الحارث بن أبي شمر الغساني . وراجع حديثه مع قيس بن
رقاعة في الامالي (٢٥٧ / ١)

وثنية إلى يهودية ونصرانية إلى حنيفية وتحت . ويهمننا هنا أن نلم بكل هذه الألوان المختلفة من التدين عند العرب .

٢ — كانت الوثنية هي الدين السائد في جزيرة العرب ، وهي عبادة الأصنام والأوثان .

والأصنام هي تماثيل الانسان من المعادن أو الخشب ، والأوثان هي تماثيل الانسان من الحجر .

وكان بدء عبادة الأصنام عند العرب أنهم كانوا يعظمون الكعبة تعظيما شديدا فلما تكاثروا وضاعت بهم مكة وهاجروا منها كان لا يظعن ظاعن إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما له وحبا لمكة فحيثما حل وضعه وطاف به كما كان يطوف بالكعبة . واستمروا على تعظيم هذه الحجارة حينما تأصل فيه حبهم لها وتعظيمهم إياها ثم استحال هذا التعظيم عادة لعبادة ، ثم عمت هذه العبادة حتى وصلت إلى مكة مقر التوحيد .

وكان أول من غير دين ابراهيم واسماعيل فوضع الأصنام في الكعبة « عمرو بن لحي » وكان حاجب البيت الحرام ، شاهد أهل البلقاء يعبدون الأصنام فنصب صنما في الكعبة سماه « هبل » وجعل عبادته إليه ،

ومن أشهر الأصنام عند العرب :

مناة : وكان منصوبا على ساحل البحر بين المدينة ومكة وكانت العرب تعظمه وتذبح حوله وكان الأوس والخزرج يعظمونه وقد ذكرت « مناة » في القرآن الكريم « ومناة الثالثة الأخرى » . وكان من أسماء العرب « عبد مناة » و « زيد مناة » . قيل كان يعبد مناة خزاعة ، قيل : وهذيل أيضا ، وقيل انها كانت لبني كعب . والصحيح أنها كانت للأوس والخزرج . وفي سنة ٨ هـ وهي عام الفتح بعث الرسول (ص) عليا رضي الله عنه فهدمها .

واللات وهي صخرة مربعة بنت عليها ثقيف بناء بالطائف وكانت
ثقيف تعبدوها ومن سدتها عتاب بن مالك ، ومن أسماء العرب : زيد
اللات وتيم اللات . وورد ذكرها في القرآن الكريم : أفرأيتم اللات والعزى .
ويقول عمر بن الجعيد

فاني وتركي لكأس لكالذي تبرأ من لات وكان يدينها

وبقيت إلى أن أسلمت ثقيف فبعث رسول الله المغيرة بن شعبه فهدمها
وحرقها بالنار ، وفي ذلك يقول شداد بن عارض ينهى ثقيفا عن العودة
إلى عبادتها :

لا تنصروا اللات ان الله مهلكها وكيف نصركم من ليس ينتصر
ان التي حرقت بالنار فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها هدر
إن الرسول متى ينزل بساحتكم يظعن وليس بها من أهلها بشر
ويقول أوس بن حجر :

وباللات والعزى ومن دان دينها وبا لله ان الله منهن أكبر

والعزى وهي شجرة وكانت أعظم الاصنام فكانت قریش تخصصها
بالزيارة والهدايا والنحر عندها . وكانت العزى بواد من نخلة بأرض الشام
يقال له حراض وقيل بالقرب من مكة وسدتها من بني مرة من ساسيم ،
ومن أسماء العرب عبد العزى . وبعد ظهور الاسلام أرسل الرسول
صلوات الله عليه خالد بن الوليد وذلك عام الفتح فقطعها .

وكان من العرب من يقولون ان الثلاث - اللات والعزى ومناة -
بنات الله .

ومن أصنامهم : ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر . وكان ود
للكلب ، وسواع لهذيل . ، قال الشاعر :

تراهم حول قبلتهم عكوفاً كما عكفت هذيل على سواع

ويغوث لمذبح ، ويعوق لهمدان وقيل لمراد ، ونسر لحمير قبل أن يدينوا باليهودية . ومن أصنامهم : « هبل » وهو أعظم الأصنام التي كانت حول الكعبة وكانوا يستقسمون عنده بالازلام ، « وذو الخالص » وهو خثعم وهو مروة بيضاء منقوش عليها مثل هيئة التاج وقد بنى له بيت بين مكة والمدينة على مسيرة سبعة ليال من مكة ، وروى أن امرأ القيس استقسم عنده في الأخذ بشأر أبيه فنهى عن ذلك فرمى بالقدح في وجهه وقال :

لو كنت يا ذا الخالص الموتورا مثلي وكان شيخك المقبوراً
لم تنه عن قتل العداة زورا

وقيل إنه وجد حول الكعبة بمكة يوم الفتح ستون وثلاثمائة صنم حطمها الرسول (ص) بيده كلها . وكان لأهل كل بيت صنم في بيتهم يعظمونه . وكان لغير قريش بيوت عبادة كالـكعبة وتسمى الطواغيت وكانوا يضعون فيها الأصنام ويطوفون بها ويهدون إليها الهدايا ويذبحون الذبائح ويستقسمون عندها بالقداح ولها سدنة وحجاب .

وهكذا كانت حياة العرب متأثرة بهذه الأصنام أيما تأثر (١) . إلا أن الشعر العربي الذي يصور هذه الناحية الدينية من نواحي حياة العرب العامة غير كثير ، وقد يكون ذلك لأن رواة الشعر الجاهلي بعد الإسلام قد قد أهملوا ما ظهرت فيه الوثنية تديناً وارضاء لله .

٣ — ودخلت اليهودية الى جزيرة العرب فانتشرت في يثرب وحولها

(١) ومن القرابين - الذبائح - التي كانوا يذبحونها عندها : البحيرة والسائبة

والوصيلة والحمام . وهي مذكورة في القرآن الكريم .

في فدك وخيبر ، وفي اليمن ومن أول ملوكهم الذين تهودوا « ذونواس » ، وقد تعصب لليهودية وحاول جعلها الديني الرسمي وأحرق نصارى نجران في الاخدود تعصبا ليهوديته مما أثار الحبشة النصرانية فغزت اليمن وملكها وكان ذلك في أوائل القرن السادس الميلادي كما تقدم .

وتهود كذلك بعض أناس من كندة وكنانة وأشهر شعراء العرب من اليهود السموأل بن عاديا .

٤ — ودخلت النصرانية الى الجزيرة أيضا حيث استقرت في ربيعة وغسان وبعض قضاة وطىء لتردهم على الروم وفي قبائل « العباد » بالخيرة وكان بنو تغلب من نصارى العرب أيضا ، وأشهر مواطن النصرانية في اليمن « نجران » وكان أهلها على مذهب اليعاقبة كالحبشة .

وكانت اليهودية والنصرانية قليلتين بالنسبة الى الدين السائد في الجزيرة وهو الوثنية . وكان القسوس والرهبان يردون أسواق العرب ويدعون الى دينهم ويذكرون البعث والحساب والجنة والنار وأشهر شعراء النصرانية قس بن (١) ساعدة وأميه بن أبي الصلت وعدى بن زيد ،

٥ — ومن العرب من كان يعبد الكواكب ، فقد كان بين اليمنيين من عبد الشمس ، وعبدت كنانة القمر ، وعبد قوم من لخم وخزاعة وقريش نجم الشعري ، وروى أن قوما من قریش اعتنقوا الزندقة أخذوها عن بعض أهل الخير الذين أخذوها عن الفرس ، والزندقة تسير على مذهب ماني وتقول بالهين : اله النور وهو أصل كل خير وإله الظلام وهو منبع كل شر

ووجد من العرب من أنكر هذه الأديان كلها وقالوا ما حكاها الله عز وجل عنهم ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر .

وكانت قریش لها ولاية البيت وبعض ميزات دينية كعدم الوقوف بعرفة أو الأفاضة منها وسوى ذلك . وكان بعض قليل من العرب يعبدون الله على ما يتصورون من دين الخنيفية البيضاء دين ابراهيم واسماعيل

وبعضهم أنكروا الأديان وغابت عنهم حقيقة الخنيفية فتفرقوا في البلدان يلتمسونها ويطلبون التوحيد . ومن هؤلاء ورقة بن نوفل الأسدي وزيد بن عمرو بن نفيل العدوي وعثمان بن الحويرث بن خزيمة وعبيد الله بن جحش الأسدي . فأما ورقة فتنصر ، وأما زيد فاعتزل الأديان كلها وقال أعبد رب ابراهيم ، وأما عثمان بن الحويرث فقدم على ملك الروم وتنصر ، وأما عبيد الله فأقام على ما هو عليه من الشك حتى جاء الاسلام فأسلم ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة فلما قدمها تنصر فيها .

٦- وكان في العرب كهان مشهورون ، لهم قصص كثيرة وكان العرب يأخذون رأيهم في المشكلات .

ومنبهم : سطيح ، وطريفة . وزبراء الكاهنة (١) ، وسواد بن قارب (٢) .

وكان منهم الطوارق بالخصى (٣)

وراجع وفود عبد المسيح على سطيح في العقد (٤) . ومن الكهان ابنة

الخنس (٥)

(١) راجع حديث زبراء مع بني رثام من قضاة في الامالي (١/١٢٦)

(٢) ٢٨٩ / ٢ الامالي

(٣) راجع الامالي (١/١٤٢)

(٤) ١٧٨ / ١ ط ١٩٢٨

(٥) راجع حديثها مع أبيها في (ذيل الامالي ص ١٠٧)

(٤ - الأدب)

معارف العرب في الجاهلية

وحياتهم العقلية

١ - كان التبابعة في اليمن والمناذرة والغساسنة في الحيرة والشام على حظ من المعرفة والثقافة يدننا على ذلك ما وصلوا إليه من بناء السدود وحفر المجارى المائية وتخطيط المدن وتنظيم الجيوش وهندسة الأمواه ، ولا شك أنهم تأثروا بالفرس والروم وسواهم من الأمم المتحضرة وأخذوا عنهم الطب والحساب والزراعة .

ب - أما سواد العرب فأميون بدو لا عهد لهم بعلم أو ثقافة ولا بتعليم أو تدريس ، وإنما كانت لهم معارف وصناعات أفادوها بتجارهم أو باتصالهم بالأمم الأخرى عن طريق التجارة أو الامارات القائمة على الحدود أو البعوث الدينية . ومن أشهر معارفهم :

١ - النجوم والمطر والرياح :

ففى اللغة العربية أسماء متعددة للنجوم ، وللرياح على اختلاف أنواعها وللمطر . وتشابه أسماء البروج والكواكب فى العربية والسكندانية كثير . وبعض هذا وصلهم عن السكندانيين أهل بابل القديمة ، وبعضه اهتموا إليه بفطرتهم لحاجتهم إلى معرفة الوقت والعلم بزمان الخصب والمحل وأوقات الرياح والمطر سواء كانوا فى البر أو البحر . وساعدهم على ذلك صفاء جو الصحراء وحدة فطنتهم ، وحاجتهم إلى المطر والسحاب .

ويتصل بهذا ما كان عليه بعض عرب السواحل كأهل اليمن والبحرين

من معرفة بالملاحة البحرية وسير المراكب في البحار وفي اللغة العربية ألفاظ كثيرة لذلك . ويقول طرفة :

كأن حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية أو من سفين ابن يا من يحور بها الملاح طوراً ويهتدى
يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفايل باليد
٢ — الطب

وقد وصلهم بعض معلومات عنه من الفرس والروم واليونان وكان الحارث بن كلدة طبيب العرب في الجاهلية م ١٣ هـ قد تعلم في بلاد الفرس وكان من ثقيف وعاش حتى جاء الاسلام وكان الرسول (ص) يشير على المرضى أن يذهبوا إليه . ويضرب المثل بابن حذيم الطبيب قال الشاعر
فهل لكمو فيها الى ، فاني طبيب بما أعيان النطاسي حذيم
وتروى عنه الحكمة المشهورة « البطننة بيت الداء والحمية رأس الدواء »
وهو من تيم وكان يقال « أطب من ابن حذيم »
كما استمدوا بعضه من تجاربهم العامة . وكان للكي بالنار حظ كبير في علاجهم . وكانوا يعالجون إبلهم وخيلهم بالكي وبالقطران إلى غير ذلك من العلاج .

وفي اللغة العربية أسماء لكثير من الأمراض ولكثير من الأدوية النباتية وسواها ، ولكثير من أوصاف الابل والخيول
٣ — الأنساب والأخبار (١) :

(١) أشهر النسابين

١ - دغفل ، وابن الأشقر (الرافعي - الفهرست - أديان العرب - ٢٢٦ ج ١ و ٩٦ ج ٣ البيان والتبيين - الميداني)

ب - ابن لسان الحجر وهو من علماء زمانه من بني تيم ومن أنسب العرب كان في الكوفة أيام المغيرة بن شعبه (١٣٨ - ج ١٤ الأغاني)

أما الأخبار فمصدرها عندهم قصص التوراة والانجيل وأساطير الفرس والروم والأخبار المتوارثة عن آبائهم وأجدادهم وعن الأمم الأخرى المجاورة لهم

وأما الأنساب فكانوا على جانب كبير من النبوغ فيها لأنهم كانوا شديدي العناية بحفظ أنسابهم لا عزازهم بعنصرهم ودمهم وكان في كل قبيلة نسابون يعرفون الكثير من أنساب العرب وقبائلهم وبطونهم ومفاخرهم وتاريخهم وأيامهم ووقائعهم

ومن أشهر النسابين : « دغفل » السدوسي وقد ضرب به المثل وأدرك زمن الرسول وعاش إلى زمن معاوية ، ومن أشهرهم أيضا : ابن لسان الحمرة من بني تميم اللات ابن ثعلبة ، ومن أشهرهم أيضا « زيد ابن الكيس النمرى » وسيدنا أبو بكر الصديق

ويقول الجاحظ في البيان والتبيين :

ومن رؤساء النسابين : دغفل بن حنظلة وزيد بن الكيس النمرى (٣) ويذكر أسماء بعض النسابين (٢) ، وفي مختصر العقد ذكر لأخبار عن أبي بكر الصديق ودغفل في هذا الباب (٣)

٤ - الفراسة والقيافة :

والفراسة هي الاستدلال بالأمور الظاهرة على الخفية كالاستدلال بشكل المرء ولونه وقوله على خلقه ، وللعقل فيها نصيب كبير والقيافة قسمان : قيافة الأثر وهي الاهتداء إلى الهارب بآثار أقدامه ، وقيافة البشر وهي الاستدلال بهيئة الرجل وشكل أعضائه على نسبه

(١) ٢١٠ ج ١ البيان والتبيين

(٢) ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١١ ج ١ البيان

(٣) ٢٠١ - ٢٠٤ مختصر العقد

اشتهر بنو لهب بالقيافة وكذلك بنو مدلج ، كما اشتهروا أيضاً بالزجر وهو الاستدلال بصوت الحيوان وحركته على الحوادث ، وكانوا يتفاملون بالطير الذى يمر من ميا من الانسان ويتشاءمون بالطير الذى يمر من مياسره ويسمون الاول سانحا والثانى بارحا ، ويقول النابغة

زعم العواذل أن رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغراب الأسود
وفى بنى لهب يقول الشاعر :

خبير بنو لهب فلاتك ملغيا مقالة لهبى إذ الطير مرت
ه — السكهانة والعرافة :

وهما الاخبار عن الأمور المغيبة ماضية كانت أو مستقبلية . وقيل السكهانة الاخبار عن الماضى والمستقبل والعرافة خاصة بالماضى . وكان فى العرب كهان ولهم فيهم اعتقاد . ومن أشهرهم (١) : سطيح الذئبى ، وطريفة الخير ، ومن أشهر العرافين الأبلق الأسدى عراف نجد ، ورباح بن عجلة عراف اليمامة ويقول عروة بن حزام :

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد إن هما شفيانى
وكان العرب يفتزعون إلى كهنتهم فى كل ما يطرأ لهم من أمر أو يستعصى عليهم من مشاكل وأزمات وشدائد

٦ — ومن معارفهم الخط والكتابة وسنتحدث عنهما بتفصيل
وكان الشعر ديوانهم ومظهر معرفتهم وأهم ثقافة لهم

٧ — وفوق ذلك فقد كان العرب يعرفون بعض الصناعات كالغزل وصناعة الرماح وكانت تصنع فى الخط بالبحرين . أما السيوف فكانوا يجلبونها من العراق والأبلة وكانوا يسمون الأبلة الهند ولذلك يقولون سيوف هندية ، إلى غير ذلك من صناعاتهم الصغيرة . واشتهرت اليمن والحيرة ومشارف الشام بألوان كثيرة من الصناعات

الخط العربي^(١) في الجاهلية

١ - كان العرب أميين لا يقرأون ولا يكتبون، كان ذلك هو الغالب عليهم والذائع فيهم والمشهور عنهم . ذلك أن الكتابة أثر من آثار الحضارة والعرب كانوا لا يزالون يعيشون على الفطرة والبداءة كما كانوا من قديم الأزمان والعصور .

٢ - وأول الخطوط المعروفة وأقدمها هو « الخط المصرى ، القديم ، وهو مبدأ سلسلة الخط العربى . وقد استمد الفينيقيون منه « خطهم الفينيقى » والفينيقيون هم سكان ساحل الشام ، وكانوا يترددون على مصر للتجارة وغيرها كما خضعوا لحكم الفراعنة قديما . وعن الخط الفينيقى أخذت أمم كثيرة أصول خطوطها كالأراميين (سكان فلسطين والشام والعراق) وكالحميريين (سكان اليمن)

فكان اليمن من معينين ثم سبشيين ثم حميريين قد أخذوا خطهم عن الفينيقيين وأدخلوا عليه شيئا من التنقيح والتحوير فسمى بالخط المسند أو الحميرى .

وهذا محل اتفاق بين المؤرخين من العرب والمستشرقين وبعد ذلك يختلف الفريقان اختلافا كثيرا :

١ - فقورخو العرب :

(١) راجع ١٩٦ وما بعدها من تاريخ اللغات السامية ط القاهرة ١٩٢٩ - ص ٥٨ وما بعدها ج ١ من تاريخ آداب اللغة العربية لمحمد بك دياب - وكتاب الخط الخط لعرفان بك - ٤٣٠ ج ٢ صبح الأعشى وج ٣ ص ٥ من صبح الأعشى أيضا - و ٢١٤ - ٢٢٢ ج ٢ المزهرة للسيوطى طبع صبيح

يرون أن النبط (١) أخذوا خطهم من الخط الحميري (المسند) مستبدلين على ذلك بالآثار التي عثر عليها في بلادهم وعليها خطوط حميرية ، ويشرح ذلك أن النبط كانوا متصلين باليمن تجارياً وكانت اليمن على جانب كبير من الحضارة وعن النبط وعن كندة التي ترجع إلى أصل حميري أخذ أهل الحيرة والانباء خطهم المعروف بالخط الحميري وعنه أخذ الحجازيون خطهم وهو الخط العربي وعن الخط الحجازي أو العربي أخذ الخط السكوفي مع شيء من التحسين

فلسلسلة الخطوط المعروفة على هذا الرأي هكذا :

الخط المصري — الفينيقي — الأرامي والحميري — النبطي وهو مأخوذ من الخط الحميري — الحميري — الحجازي فالسكوفي . وعلى هذا الرأي يسير الأستاذ محمد هاشم عطية في كتابه تاريخ الأدب الجاهلي (٢)

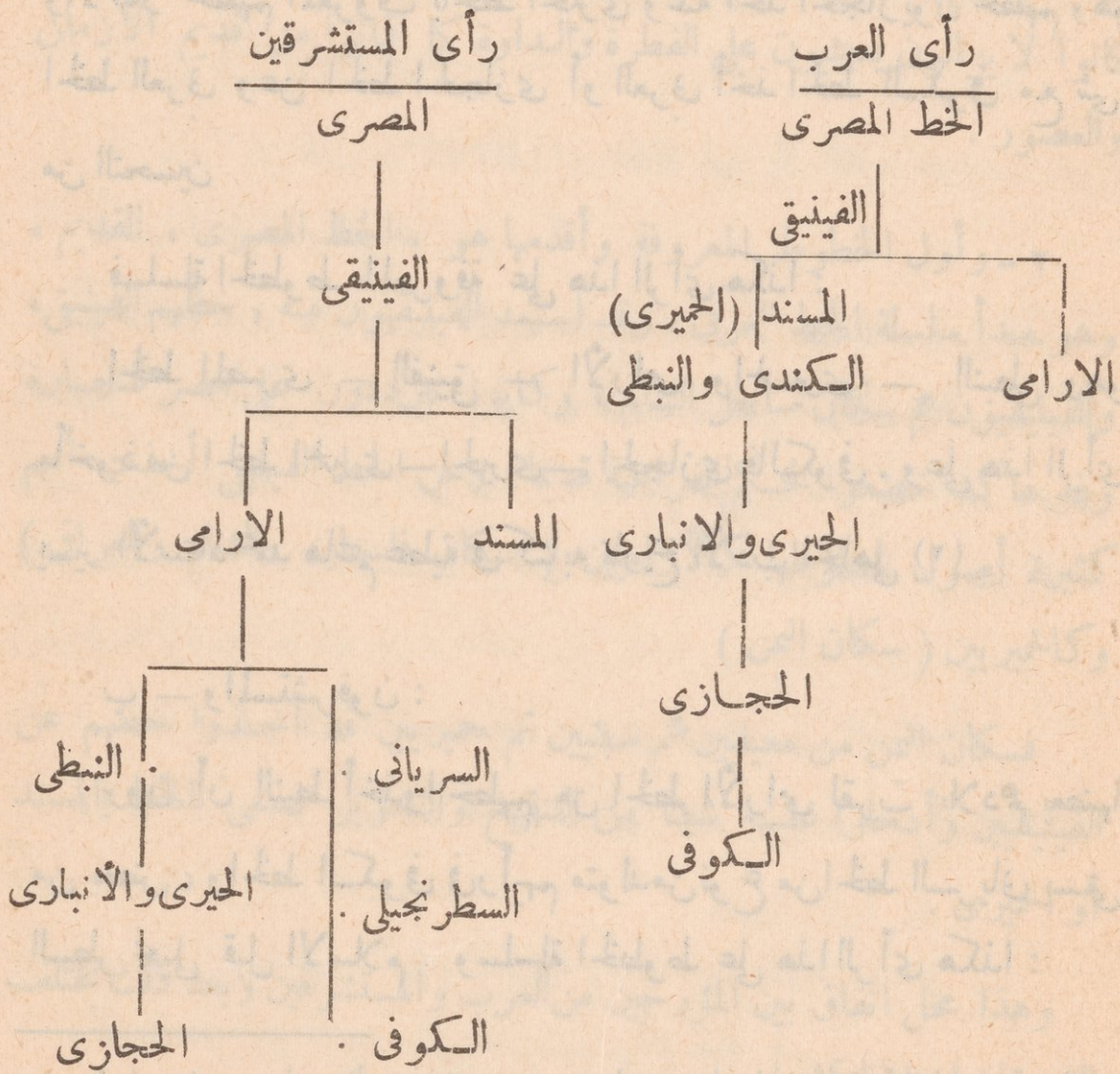
ب — والمستشرقون :

يرون أن النبط أخذوا خطهم من الخط الأرامي لقرب بلادهم بعضها من بعض ، والخط السكوفي في رأيهم متولد من نوع من الخط السرياني يسمى السطر نجيلي قبل الاسلام . وسلسلة الخطوط على هذا الرأي هكذا :

(١) عنصر سامي ظهر في شبه جزيرة طور سيناء وامتد إلى صحراء سوريا حتى شملت دولتهم دمشق وتوغوا في بلاد الحجاز نحو عام ٨٠٠ ق م ثم استولى الرومان على بلادهم عام ١٠٦ ب م (راجع ١٣٤ تاريخ اللغات السامية ط ١٩٢٩) ويرى المستشرقون أن النبط ليسوا آرميين خالصين وهناك ميل عند طائفة من المستشرقين إلى أن النبط من سلالة العرب وكانوا يستعملون الكتابة الآرامية في النقوش وسائر الشؤون العمرانية

(٢) مقتبساً ذلك عن تاريخ الأدب لحفني ناصف (٤٢ ط ١٩٣٦ محمد هاشم)

المصرى - الفينيقي - المسند والارامى - النبطى وهو مأخوذ من الارامى
- الحيرى - الحجازى . وعلى هذا رأى يسير الزيات فى كتابه تاريخ الأدب
العربى (١)



٣ - وجاء الاسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير بضعة عشر رجلا (٢)

(١) ص ٧٦ ط ١٩٣٥

(٢) ص ٣/٤ العقد

وفى غزوة بدر جعل الرسول فداء الأسير تعليم عشرة من صبيان المدينة وشجع الرسول (ص) الكتاب واتخذ كتابا له وكان زيد بن ثابت يعرف الفارسية والحبشية والقبطية والرومية (١). وكان عدد كتابه ثلاثة وأربعين كتابا وكان العرب يكتبون فى الرق والعظام والاحجار حتى انتشر بينهم الورق عام (٢) ١٢٠ هـ والظاهر أن انتقال الخط الحيرى إلى الحجاز كان على يد التجار من الحيرة

ويروى أن الذى نقل الخط الحيرى إلى الحجاز هو حرب بن أمية وأنه كان قد صادق فى رحلاته التجارية بشر بن عبد الملك أخا أكيدر صاحب دومة الجندل واستصحبه إلى مكة وزوجه بنته الصهباء فأقام بشر بمكة مدة علم فيها نفرا من أهلها الكتابة منهم حرب وقيل إن الذى علمه هو عبدالله بن جدعان وقيل غير ذلك . ويقول بعض الشعراء : من دومة الجندل من كئدة يمن على قریش بذلك :

ولا تجحدوا نعماء « بشر » عليكم

فقد كان ميمون النقيية أزهر

أتاكم بخط الجزم (٣) حتى حفظتم

من المال ما قد كان شتى مبعثرا

(١) (راجع ص ٦ ج ٣ العقد الفريد ط ١٩٣٥). وفى العقد يروى أن ثلاث نفر من طيء اجتمعوا ببقعة وهم : مرامر بن مرة . واسلم بن سدره . وعامر ابن جدرة ، فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فنقله قوم من الأنبار (٣ ج ٣ العقد) وذلك رأى جد خطير

(٢) أسس امير سمرقند العربى مصنعا للورق فى سمرقند اشرف عليه بعض الاسرى الصينيين وذلك سنة ٧٥١ م . وفى سنة ٧٩٣ م استقدم الرشيد بعض صناع سمرقند إلى بغداد فأسسوا مصنعا آخر للورق . وانتقلت الصناعة إلى دمشق التى صارت تورد إلى العالم الغربى الورق

فأجريت الأقاليم عودا وبداة

وضاهيتهمو كتاب كسرى وقيصرا

وخط الجزم هو الخط الذي تفرغ من الخط المستند الحميري (١)

أو قل هو الخط الحميري ، وبشر هو بشر بن عبد الملك الذي ذكرنا قصته
فيما سبق آنفا .

عظائم أيام العرب^(١)

ذوات الأثر في اللغة

— ١ —

١ — كانت العرب تعيش قبائل وشعوبا متنافرة متخاصمة ، تعتز كل قبيلة بشرفها وكرامتها وعصبيتها . وتحاول أن تقيم على مواقع الغيث ومنابت الكلاء ولو اغتصبته بالرماح والسيوف من قبيلة أخرى ؛ وكانوا يقدسون الحرية ويعيشون في ظلال الفوضى . وكما يقول حافظ :

ولذيد الحياة ما كان فوضى ليس فيه مسيطر أو أمير

وأسباب الحرب عند العرب كثيرة : ترجع إلى التنازع حول الرياسة ، وعلى أما كن المياه والعشب ؛ أو إلى الاعتزاز بالعصية والانتصار لها ، أو إلى المحافظة على الشرف والكرامة والذود عنهما . أو إلى الأخذ بالتأثر وحماية الجار ومساعدة الحليف . أو إلى الدفاع عن الملك والتعصب لذي سلطان أو إلى التنازع في مفاخرة من المفاخرات أو منافرة من المنافرات . أو إلى الفقر الذائع الذي يدفع إلى النهب والعدوان

ونفس العربي وما فطرت عليه من شجاعة وإباء وشمم وفروسية كانت تجعل الحرب قريبة منه مألوفة لديه بل محبوبة عنده في كثير من الأحيان .

(١) راجع في ذلك كتب التاريخ العامة وراجع العقد الفريد (٣٠٣ - ٣٧٨ ط ١٩٢٨ م) والجزء الأول والثاني من تاريخ ابن الاثير ، وأمثال الميداني . والجزء الاول والثاني من تاريخ الطبري ، والاغانى . وبلوغ الارب وتاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان . ومعجم البلدان في الكلام على أسماء البلدان ، والنقائض

وكانوا يغيرون على أعدائهم فإن لم يجدوا لهم أعداء أغاروا على الأقرباء :

أغرَنَ (١) من الضباب على حلال وضَبَّةٌ إنه من حان حانا
وأحياناً على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

٢ - وأيام العرب كثيرة جداً (٢)؛ منها ما كان بين العرب والفرس كيوم
ذى قار . ومنها ما كان بين النزاريين واليمنيين كيوم خزازى . وما كان
بين اليمنيين بعضهم مع بعض كبعث بين الخزرج والأوس . وما كان بين
النزاريين ربيعة ومضر . ومنها ما كان بين الربعيين بعضهم مع بعض كحرب
البسوس بين بكر وتغلب . وما كان بين المضريين كحرب داحس والغبراء
بين عبس وذبيان .

٣ - وهذه الأيام كانت أكبر ميدان تتسابق فيه العقول والبلاغات
والملكات .

فشعراء القبائل المختلفة طالما نظموا الشعر للتمدح بشجاعة الأبطال
وظفرهم فى الحزب ، ووصفوا المعارك المختلفة وأحوالها . والقتال وأدواته
وأسلحته . والأسرى وذلمهم . ورثوا القتلى .

كما كانوا ينظمونه طلباً لئلاخذ بالشار ، أو دعوة إلى السلام ومدحاً
لدعاة السلم والعاملين على إنهاء الحرب كما فعل زهير ، مع ما اتصل بذلك من
صلح ووثام ومغارم ومحامل فى الديات .

فليس بعجيب إذا أن تقول إن شعر الحماسة وهو أغلب فنون الشعر
عند العرب فى جاهليتهم وكذلك جزء كبير من شعر الرثاء والفخر والمدح
كان أثراً لهذه الأيام التى اشتعلت فيها الحروب وتصارولت الأبطال من شتى

(١) الضمير يعود إلى الافراس المذكورة فى بيت سابق

(٢) ويروى أن أبا الفرج الاصفهاني صاحب الاغانى ألف كتاباً فى أيام
العرب يشمل ألفاً وسبعمائة يوم .

القبائل في الجاهلية . كما يشغل ذلك جزء كبيراً من النثر الجاهلي أيضاً ، كما تجد في خطبة هانيء بن قبيصة في قومه يحرضهم على الحرب يوم ذي قار (١) وسواها .

وعناية العرب بأنسابهم وبخيولهم وأسلحتهم وبأنواع الحيوان المشهورة بالبطش والقوة كالأسد والذئب ، كل ذلك من آثار شعورهم بالحاجة إليها حين الخصام والنضال وفي المعارك والحروب .

وبعد فسننتحدث عن أهم هذه الأيام وأكثرها أثراً في اللغة والأدب والشعر ، مما يسكون قد اشتمل على خطبة بليغة أو قصيدة رائعة أو حكمة سائرة أو شعر قيل في أثناء النضال والخصام .

- ٢ -

حرب داحس والغبراء (٢)

بين عبس وذبيان من مضر

وكان السبب الذي هاجها أن قيس بن زهير وحمل بن بدر ، تراهما على فرسيهما : « داحس » و « والغبراء » أيهما يكون له السبق وكان داحس لقيس وكانت الغبراء لحمل بن بدر وجعلا الرهان مائة بعير وجعلا منتهى الغاية مائة غلوة (٣) .

ثم قادوهما إلى رأس الميدان بعد أن اضمروهما أربعين ليلة وفي طرف

(١) ١/١٦٩ الامالي

(٢) راجع ٢/٣٨ الميداني . و ٢٠ > ١٦ الاغانى . والجزء الثالث من خزانة الادب . ومعجم البلدان . والنقائض . والجزء الثاني من العقد . ١/٤٥٣ امالي المرتضى . والجزء الاول من ابن الاثير . والروض الانف . وتاريخ ابن كثير (٣) توازي أربعائة ذراع

الغاية شعاب كثيرة فأكمن حمل بن بدر في تلك الشعاب فتيانا على طريق
الفرسين و امرهم ان جاء داحس سابقا ان يردوا وجهه عن الغاية، فأرسلاهما ،
فلما جرى سبقت الغبراء فقال حمل بن بدر : سبقتك يا قيس ، فلما أوغلا في
الجرد (١) وخرجوا إلى الوعث (٢) برز داحس عن الغبراء فقال قيس : جرى
المذكيات غلام (٣) ، فذهبت مثلا ، فلما شارف داحس الغاية ودنا من الفتية
وثبوا في وجه داحس فردوه عن الغاية ففي ذلك يقول قيس بن زهير :

وما لاقيت من حمل بن بدر واخوته على ذات الأصايد
همو فحروا على بغير فخر وردوا دون غايته جوادى

وثارت الحرب بين عبس وذيبيان ابني بغيض أربعين سنة لم تنتج لهم
ناقة ولا فرس لاشتغالهم بالحرب ، بعث حذيفة بن بدر ابنه مالكا إلى
قيس بن زهير يطلب منه حق السبق ، فقال قيس : كلا . لا مطلتك به .
ثم أخذ الرمح فطعن به فوق صلبه ، ورجعت فرسه غائرة فاجتمع الناس
فاحتملوا دية مالك مائة عشاء ، وزعموا ان الربيع بن زياد حملها وحده
فقبضها حذيفة وسكن الناس ، ثم ان مالك بن زهير أخا قيس نزل اللقطة
من أرض الشرية فأخبر حذيفة بمكانه فعدا عليه فقتله . ففي ذلك يقول
عنتر الفوارس :

فله عينا من رأى مثل مالك عقيرة قوم ان جرى فرسان
فليتهما لم يحريا قيد غلوة وليتهما لم ير سلا لرهان

فقالت بنو عبس : مالك بن زهير بمالك بن حذيفة وردوا علينا مالنا ،
فأبى حذيفة أن يرد شيئا . وكان الربيع بن زياد القيسي عم قيس مجاورا
لبنى فزارة ولم يكن في العرب مثله ومثل اخوته وكان يقال لهم الكلمة .

(١) القضاء نبات به (٢) الطريق تغرق فيه الاقدام

(٣) ويروى غلاب . والمذكية من النخيل المسنة

وكان يدينه وبين قيس بن زهير بغضاء وخصام ، فلما قتل مالك بن زهير قامت بنو فزارة يسألون ويقولون : ما فعل حماركم قالوا اصدناه ، فقال الربيع : ما هذا الوحي ؟ قالوا : قتلنا مالك بن زهير قال : بئس ما فعلتم بقومكم ، قبلتم الدية ثم رضيتم بها وغدرتم ، قالوا : لولا أنك جارنا لقتلناك ، وكانت خفرة الجار ثلاثا فقالوا له : بعد ثلاث ليال اخرج عنا ، فخرج واتبعوه فلم يلحقوه حتى لحق بقومه واتاه قيس بن زهير فعاقده وفي ذلك يقول الربيع

فإن تك حربكم أمست عوانا فإنى لم أكن بمن جناها

ولكن ولد سودة أرثوها وحشوا نارها لمن اصطلاها

فأنى غير خاذلكم ولكن سأسعى الآن اذا بلغت مداها

ورثى الربيع مالك بن زهير فقال :

من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

ثم نهضت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان إلى بنى فزارة وذيان ورئيسهم الربيع بن زياد ورئيس بنى فزارة حذيفة بن بدر واستعرت الحرب بين الفريقين وظلت أربعين سنة . ومن أشهر أيامها :

يوم المريقب : لعبس على ذيان ، وفيه قتل عنتره ضمضا المرى فتوعدده

وقال في ذلك عنتره من معلقته :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم

الشامي عرضي ولم أشتمهما والناذرين إذ لقيتهما دمي

إن يفعلوا فلقد تركت أباهما جزر السباع وكل نسر قشعم

ويوم ذى حسا : لذيان على عبس

ويوم الهبابة : لعبس على ذيان ، وقتل فيه حمل بن بدر وأخوه حذيفة

ولما اشتد الكرب بحمل قال : ناشدتك الله والرحم يا قيس ، فقال : لبيكم

لبيكم ، فعرف حذيفه أنه لن يدعمهم ، فانتهر حملا وقال : « إياك والمأثور
من الكلام ، فذهبت مثلاً ، وقال لقيس : لنن قتلتني لا تصلح غطفان بعدها
فقال قيس : أبعدها الله ولا أصلحها ، ولما قتل قال قيس يرثي حمل
ابن بدر :

تعلم ان خير الناس ميت على جعفر الهبابة ما يريم
ولولا ظلمه ما زلت أبكى عليه الدعر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر بغى والبغى مرتعه وخيم
أظن الحلم دلّ على قومي وقد يستضعف الرجل الحليم
وما رست الرجال وما رسوني فمعوج على ومستقيم
ومثلوا بحذيفة .

فما أصيب أهل الهبابة واستعظمت غطفان قتل حذيفة تجمعوا ،
وعرفت بنو عبس ان ليس لهم مقام بأرض غطفان ، فخرجوا الى
اليامنة ، فنزلوا باخوانهم بني حنيفة ، ثم رحلوا عنهم فنزلوا ببني سعد بن
زيد مناة .

وقال قيس أيضا يرثي حذيفة وأخاه :

شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني
فان أن قد بردت بهم غليلي فلم أقطع بهم إلا بنائي

ويوم الفروق

ولما امتد هُلب الحرب وطال أمدّها ، سعى الحارث بن عوف
وهرم بن سنان المريان في الصلح وتحملاً ديات القتلى ، وفي ذلك قال
زهير معلقته :

أمن أم أو في دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فامشتم
ومنها :

لعمرى لنعم السيدان ووجدتما على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم (١)

(١) ويروى ان الحارث بن عوف قال لصديق له أتراني أخطب إلى أحد
فيردني قال نعم قال ومن ذلك قال : أوس بن حارثة بن لام الطائي فقال الحارث
لغلامه ارحل بنا ففعل فركبنا حتى أتينا أوس بن حارثة في بلاده فوجداه في منزله
فلما رأى الحارث بن عوف قال مرحباً بك يا حارث وقال ربك ما جاء بك
يا حارث قال جئتكم خاطباً قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه . ودخل أوس على
امراته مغضباً وكانت من عبس فقالت من رجل وقف عليك فلم تطل ولم تكلمه
قال ذاك سيد العرب الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري قالت فالك لا تستنزل
قال : انه استحمق قالت وكيف ؟ قال جاءني خاطباً قالت أفتريد أن تزوج ببناتك
قال نعم قالت فاذا لم تزوج سيد العرب فمن ؟ قال قد كان ذلك قالت فتدارك
ما كان منك قال فهاذا ؟ قالت تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط مني ما فرط اليه
قالت تقول له انك لقيتني مغضباً بأمر لم تقدم مني فيه قولا فلم يكن عندي فيه من
الجواب إلا ما سمعت فانصرف ولك عندي كل ما أحببت فانه سيفعل فركب
في أثرهما . قال خارجة بن سنان (الظاهر انه غلام الحارث) فوالله إني لأسير
إذ حانت مني التفاتة فرأيتها فأقبلت على الحارث يكلمني غما فقلت له هذا أوس بن
حارثة في أثرنا . قال وما نصنع به امض فلما رأنا لا نقف عليه صاح : يا حارث ،
أربع على ساعة فوقفنا له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسروراً فبلغني ان
أوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعى لي فلانة لا كبر بناته فأتته ، فقال يا بنية
هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب قد جاءني طالبا خاطباً وقد
أردت أن أزوجك منه فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل ، قال : ولم ؟ قالت : لأنني
امرأة في وجهي ردة وفي خلقي بعض العهدة ولست بابنة عمه فيرعى رحي وأيس
بجارك في البلد فيستحي منك ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون على

(م — ه الأدب)

في ذلك ما فيه ، قال : قومي بارك الله فيك وادعي لي فلانة لابنته الوسطى فدعتها
ثم قال لها مثل ما قال لأختها ، فأجابته بمثل جوابها وقالت إني خرقاء وليست
بيدي صناعة ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون على في ذلك ما تعلم
وليس بابن عمي فيرعى حق ولا جارك في بلدك فيستحييك قال قومي بارك الله
فيك ادعي لي بهيمة يعني الصغرى فأتى بها فقال لها كما قال لهما فقالت أنت وذاك فقال
لها إني قد عرضت ذلك على أختيك فابتاه ولم يذكر لها مقالتيهما فقالت : لكفى
والله الجميلة وجها الصناعات يدأ الرفيعة خلقا الحسبية أبا فان طلقني فلا أخلف الله
عليه بخير فقال بارك الله عليك . ثم خرج الينا فقال قد زوجتك يا حارث بهيمة بنت
أوس قال قد قبلت فأمر أمها أن تهيتها وتصلح من شأنها ثم أمر بيت فضرب
له وأنزله إياه فلما هيئت بعث بها إليه فلما أدخلت إليه لبث هنيئة ثم خرج فقالت
أفرغت من شأنك قال لا والله قلت وكيف ذلك ؟ قال لما مددت يدي إليها
قالت مه عند أي واخلوتي هذا والله ما لا يكون قال فأمر بالرحلة فارتحلنا بها
معنا فسرنا ما شاء الله ثم قال لي تقدم فتقدمت وعدل بها عن الطريق فلما لبث أن
ان لحق بي فقالت أفرغت قال لا والله . قلت ولم ؟ قال قالت لي اكما يفعل بالامة
الجليلة أو السبية الاخيذة ؟ لا والله حتى تنجر الجزر وتنبح الغنم وتدعو العرب
وتعمل ما يعمل لمثلي قلت والله إني لأرى همة وعقلا وأرجو أن تكون المرأة
منجبة ان شاء الله فرحلنا حتى جئنا بلادنا فاحضر الابل والغنم ثم دخل عليها وخرج
إلي فقالت أفرغت قال لا والله قالت لي لقد ذكرت لي من الشرف ما لا أراه فيك
قلت وكيف قالت أفرغت لنسكاح النساء والعرب تقتل بعضها وذلك في أيام حرب
عبس وذبيان قلت فيكون ماذا قالت أخرج إلى هؤلاء القوم فاصلح بينهم ثم ارجع
إلي أهلك فلن يفوتك فقالت والله إني لأرى همة وعقلا ولقد قالت قولا . قال
فاخرج بنا فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا فيما بينهم بالصلح فاصطلحوا على أن
يحتسبوا القتلى فيؤخذ الفضل ممن هو عليه فحملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة
آلاف بمير في ثلاث سنين فانصرفنا بأجل الذكر قال محمد بن عبد العزيز فمدح
بذلك وقال فيه زهير ابن أبي سلمى .

وفيه يقول طرفة :-

سائلوا عنا الذي يعرفنا مالمقوا يوم تحلاق اللمم
وفيه أسر الحارث عباد المهلهل وهو لا يعرفه ، فقال الحارث له : دلني
على عدى (اسم المهلهل) وأخلى عنك ، فقال له عدى : عليك العهود بذلك إن
دللتك عليه ، قال : نعم ؛ قال : فأنا عدى ، فجزنا صيته وتركه
ثم ان المهلهل فارق قومه ونزل في بني مذحج ، فخطبوا إليه ابنته فمنعهم ،
فأجبروه على تزويجها وساقوا إليه في صداقها جلودا من آدم ، فقال في ذلك :
أعزز على تغلب بما لقيت أخت بني الأكرمين من جشم
وعاش مهلهل باليمن (١) ومات هناك بنواحي هجر أسيرا في يد عمرو بن

امن ام أوفى دمنه لم تكلم

ومنها :

تداركتما عبساً وذييان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
فاصبح يجرى فيهم من نلادكم مغانم شتى من أقال مزنم
ينجمها قوم لقوم غرامة ولم يهريقوا بينهم ملء محجم
وذكر قيامهم في ذلك فقال :

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو

وفي قصيدة يقول فيها :

تداركتما الاحلاف قد نل عرشها وذييان قد ذلت بأقدامها النعل
وهذا لهم شرف الى الآن . ورجع فدخل بها فولدت له بنين وبنات

(١) راجع أخذ المهلهل بشار أخيه كليب وقصيدته « أليتنا بنى جسم أنيرى ،

في الأمالى ص ١٢٩ / ٢

مالك اليشكري . أما جساس فيروى أن ابن جليلة من كليب هو الذى قتله

٦ — هذا ولما خرجت جليلة من تغلب بعد قتل كليب قالت لأخته :

يا ابنة الأقوام إن شئت فلا تعجلى باللوم حتى تسألى
فاذا أنت تبيت الذى يوجب اللوم فلومى واعذلى
ان تسكن أخت امرى . ليمنت على شفق منها عليه فافعلنى
جل عندى فعل جساس فيا حسرتى عما انجلى أو ينجلي

— ٣ —

— حرب البسوس بين بكر وتغلب من ربيعة —

١ — مجد كليب :

لم تجتمع معد كلها إلا على ثلاثة رهط من روسا العرب ، وهم : عامر
وربيعة ، وكليب ، فالأول عامر بن الظرب ، والثانى ربيعة بن الحارث ،
والثالث كليب بن ربيعة ، وهو الذى يقال فيه أعز من كليب وائل ، وقاد
معدا كلها يوم خزازى ففض جموع اليمن وهزمهم ، فاجتمعت عليه معد كلها ،
وجعلوا له قسم الملك وتاجه ونجيته ، واطاعته معد بذلك حيناً من دهره ،
ثم دخله زهو شديد ، وبغى على قومه لما هو فيه من عزه وانقياد معد له ، حتى
بلغ من بغيه أنه كان يحمى مواقع السحاب فلا يرعى حماءه ، ويجير على الدهر
فلا تخفر ذمته ، ويقول : وحش أرض كذا فى جوارى فلا يهاج ، ولا تورد
إبل أحد مع ابله ، ولا توقد نار مع ناره ، حتى قالت العرب أعز من كليب
وائل . وكانت بنو چشم وبنو شيبان فى دار واحدة بتهامة ، وكان كليب قد تزوج
بنت مرة بن ذهل بن شيبان ، وأخوها جساس . وكانت البسوس بنت منقذ
التميمية خالة جساس ، وكانت نازلة فى بنى شيبان مجاورة لجساس ، وكان لها

ناقة يقال لها سراب ، ولها تقول العرب أشام من سراب وأشام من البسوس
فمرت ابل لكليب بسراب ناقة البسوس وهي معقولة ، فلما رأت سراب
الابل نازعت عقالها حتى قطعتة وتبعث الابل ، واختلطت بها ، حتى أتت
إلى كليب وهو على الحوض معه قریش وكنانة ، فلما رآها انكرها فشد
عليها بسهم فحزم ضرعها ، فنفرت الناقة وهي ترغو ، فلما رأتها البسوس
قذفت خمارها عن رأسها وصاحت : واذللاه واجاراه

٢ - مقتل كليب :

فأحسست جساسا ، فركب فرسالة مغرورا به ، وأخذ آله ، وتبعه عمرو
ابن الحرث بن ذهل على فرسه ومعه ربحه ، حتى دخلا الحى على كليب فقال
له : يا أبا الماجدة . عمدت الى ناقة جارتى فعقرتها ، فقال له : ما مانعى عن
أن أذب عن حمای ؟ فأحسسه الغضب ، فطعنه جساس فقصم صلبه ، وطعنه
عمرو بن الحارث من خلفه فقطع بطنه ، فوقع كليب وهو يفحص برجله ،
وقال لجساس : أغثنى بشربة ماء فقال : تجاوزت شبيثا والاحص ، وأجهز
عليه . وفى ذلك يقول الشاعر :

المستجير بعمر و عند كربتہ كالـمستجير من الرمضاء بالنار

فلما قتل كليب ارتحلت بنو شيبان حتى نزلت بماء يقال له النهى ، وتشمر
المهلل أخو كليب واسمه عدی بن ربيعة ، واستعد لحرب بكر ، وترك النساء
والغزل وحرم القمار والشراب على نفسه نفسه ، وجمع إليه قومه فأرسل
رجلا منهم إلى بنى شيبان يعذر إليهم فيما وقع من الأمر ، فأتوا مرة بن
ذهل وهو فى نادى قومه ، فقالوا له : انكم أتيتم عظيمًا بقتلكم كليبًا بناب
من الابل فقطعتم الرحم ، وانتهكتم الحرمه ، وإننا كرهنا العجلة عليكم دون
الاعذار اليكم ، ونحن نعرض عليكم خلا لا أربعا ، لكم منها مخرج ، ولنا
فيها مقنع ، فقال مرة : وما هي ؟ قال : تحي لنا كليبيا ، أو تدفع إلينا جساسا

قاتله فنقتله به ، أو هماما فانه كفء له ؟ أو تمسكتنا من نفسك فان فيك
وفاء من دمه

فقال : اما إحيائي كلييا فهذا ما لا يكون ، واما جساس فانه غلام
طعن طعنة على عجل ثم ركب فرسه فلا أدري أى البلاد احتوت عليه وأما
همام فانه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وكلهم فرسان قومهم فلن يسلموه
لى فأدفعه اليكم يقتل بجريرة غيره . وأما أنا فهل هو إلا ان تجول الخيل
جولة غدا فأكون أول قتيل فيها فما اتعجل من الموت ؟ ولكن لكم عندي
خصلتان : اما احدهما فهو لاء بنى الباقون فعلقوا فى عنق أيهم شئتم
نسعة فانطلقوا به إلى رحالكم فاذبحوه ذبح الجزور ، وإلا فألف ناقة
سوداء المقل اقيم لكم بها كفيلا من بنى وائل فغضب القوم وقالوا : لقد
أسأت ، تبذل لنا ولدك وتسومنا اللبن من دم كليب .

٣ — اشتعال الحرب :

ووقعت الحرب بينهم ، ولحقت جميلة زوجة كليب بأبيها وقومها واعتزلت
قبائل بكر بن وائل وكرهوا معاونة بنى شيبان ومساعدتهم على قتال اخوتهم
وأعظموا قتل جساس كلييا بناب من الابل ، وانقبض الحارث بن عباد
فى أهله ، وهو أبو بجير وفارس النعامه ، وقال المهلهل يرثى كلييا

بت ليلي بالأنعمين طويلا أرقب النجم ساهرا أن يزولا
كيف اهدا ولا يزال قتيل من بنى وائل ينسى قتيلا
إلى أن قال :

قتلوا ربهم كلييا سفاها ثم قالوا : ما إن نخاف عويلا
كذبوا والحرام والحل حتى يسلب الخدر بيضه المحجولا
ويموت الجنين فى عاطف الرحم وتروى رماحنا والخيولا

وقال أيضا يرثيه :

كليب لا خير في الدنيا ومن فيها	إذا أنت خليتـها فيمن يخليها
نعي النعاة كليباً لي فقلت لهم	مالت بنا الأرض أوزالت رواسيها
الحزم والعزم كانا من طبيعته	ما كل آلائه يا قوم احصيتها
القائد الخيل تردى في أعنتها	زهوا إذا الخيل لجت في تعاديا
من خيل تغلب ما تلقى أسنتها	الا وقد خضبوها من أعاديا
ليت السماء على من تحتها وقعت	وانشقت الأرض وانجابت بمن فيها
لا اصلح الله منا من يصالحكم	ملاحت الشمس في أعلى مجاريها

٤ — يوم النهي :

وأول وقعة بينهم كانت على ماء يقال له النهي كانت بنو شيبان نازلة عليه ، ورئيس تغلب المهمل ، ورئيس شيبان الحارث بن مرة ، فكانت الدائرة لبني تغلب وكانت الشوكة في شيبان ، واستمر القتل فيهم إلا أنه لم يقتل في ذلك اليوم احد من بني مرة

يوم عنيزة :

ثم التقوا بعنيزة فظفرت بنو تغلب . ثم كانت بينهم معارك ووقائع كثيرة وكانت الدائرة لبني تغلب على بني بكر فيها كلها . وقال مهمل يصف هذه الأيام وينعى على بكر في قصيدة طويلة أولها

اليلتنا بنى حسم أنيرى إذا انت انقضيت فلا تحورى
وإن يك بالذنائب طال ليلي فقد أبكى من الليل القصير

وفيها يقول

فلو نبش المقابر عن كليب
كأنا غدوة وبني أينا
واني قد تركت بواردات
هتكت به بيوت بني عباد
على أن ليس عدلا من كليب
ولولا الريح اسمع من بحجر
وقال مهلهل لما أسرف في الدماء
أكثرت قتل بني بكر برهم
آليت بالله لا أرضى بقتلهم
حتى أبهرج بكرا اينما وجدوا

قال أبو حاتم : أبهرج ادعهم بهرجا ، لا يقتل فيهم قتيل ، ولا يؤخذ لهم دية ، وقال : البهرج من الدراهم من هذا . وقال المهلهل :

يال بكر انشروا لي كليب
يال بكر اين اين الفرار
وقال

قتلوا كليباً ثم قالوا اربعوا
كذبوا ورب الحل والأحرام
حتى تبید قبيلة وقبيلة
ويعض كل مشقف بالهام
وتقوم ربات الخدور حواسرا
يمسحن عرض ذوائب الأيتام
حتى يعض الشيخ بعد حميمه
عما يرى ندما على الأهام

٥ — يوم قضية :

ثم ان مهلهلا أسرف في القتل ولم يبال بأى قبيلة من قبائل بكر ، وكان

أكثر بكر قعد عن نصره بنى شيدان لقتلهم كليب بن وائل ، فكان الحارث ابن عباد اعتزل تلك الحروب حتى قتل ابنه بجير ، فلما بلغ الحارث قتله قال : نعم للقتيل قتيلا أصليح بن ابني وائل ، وظن أن المهمل لم قد أدرك به نأركليب وجعله كفؤا له فقتل له إنما قتله بشسع نعل كليب ، وذلك ان المهمل لما قتل بجيرا قال : « يؤبشسع نعل كليب » ، فغضب الحارث بن عباد ، وكان له فرس يقال لها النعامة . فركبها ، وتولى أمر بكر ، فقتل من تغلب حتى هرب المهمل ، وتفرقت قبائل تغلب ، فقال في ذلك الحرث بن عباد .

قربا مربط النعامة منى لقت حرب وائل عن حيال لم أكن من جناتها علم الله واني بجرها اليوم صالى قربا مربط النعامة منى ان قتل الكريم بالشسع غالى وكان اليوم الذي شهده الحارث بن عباد يوم قضة وهو يوم تحلاق اللهم وفيه يقول طرفة :

سائلوا عنا الذي يعرفنا بقوا وانا يوم تحلاق اللهم وفيه أسر الحارث بن عباد المهمل وهو لا يعرفه ، فقال الحارث له : دلى على عدى (اسم المهمل) وأخلى عنك فقال له عدى . عليك العهود بذلك إن دلتك عليه ، قال نعم ، قال فأنا عندي ، فجز ناصيته وتركه

ثم إن المهمل فارق قومه ونزل في بنى مذحج فخطبوا إليه ابنته فمنعهم ، فأجبروه على تزوجها وساقوا إليه في صداقها جلودا من آدم ، فقال في ذلك أعزز على تغلب بما لقيت اخت بنى الأكرمين من جشم وعاش مهمل باليمن (١) ومات هناك بنواحي هجر أسيرا في يد عمرو

(١) راجع أخذ المهمل بشار أخيه كليب وقصيدة (أليستابذى حسم أنيرى)

بن مالك البكري . أما حساس فيروى أن ابن جليمة من كليب هو
الذى قتله .

٦ — هذا ولم يخرج جليمة من تغلب بعد قتل كليب قالت لأخته :

يا ابنة الأقوام إن شئت فلا تعجلي باللوم حتى تسألى
فاذا أنت تبينت الذى يوجب اللوم فلومى واعدلى
إن تكن أخت امرء ليمت على شفق منها عليه فافعللى
جل عندى فعل حساس فىا حسرتى عما انجلمت أو تنجلى

— ٤ —

يوم بعث

بين الأوس والخزرج

قبيل الهجرة بنحو خمس سنوات

وبعث اسم موضع فى ديار بنى قريظة من اليهود ، وكان بنو النضير
وبنو قريظة يساعدون الأوس على الخزرج وذلك حينما قتل عمرو بن النعمان
البياضى رهائن اليهود التى كانت عند الخزرج

والتقت الأوس وحلفاؤها من اليهود بالخزرج فى بعث ، وعلى رأس
الأوس حضير الكتائب ، وعلى رأس الخزرج عمرو بن النعمان ، فهزمت
الخزرج ، ومات حضير بسبب جراح أصابته ، وفى رثائه يقول خفاف
ابن ندبة :

فيا عين بسكى حضير الندى حضير الكتائب والمجلس

يوم حليلة

بين المناذرة والغسانيين

كثرت الحروب بين ملوك الحيرة وملوك غسان تبعاً للخصومات السياسية التي كانت بين الفرس والروم :

ومنها يوم حليلة وحليمة هي بنت الحرث بن أبي شمر الغساني وكانت من أجمل النساء ، أمرها أبوها أن تطيب فرسان الغسانيين الذين أرسلهم ليفتكوا بالمنذر بن ماء السماء ، وكان لتحميم حليمة لهم أثره في حماسهم وقتلهم للمنذر ملك الحيرة في مدينته اغتيالاً ، فنسب هذا اليوم إلى حليمة . وقيل سمي هذا اليوم يوم حليمة لأنه كان في مكان اسمه مرج حليمة ، ويضرب المثل بهذا اليوم ، قالوا : « ما يوم حليمة بسر » . وقال النابغة يصف سيوفاً :
تخيرن من أزمان يوم حليمة إلى اليوم قد جربن كل التجارب

يوم الزويزين

بين ربيعة ومضر

سببه اعتداء بكر على أرض تميم وعيشتهم ببلادهم وهتكهم لعوراتهم فتحمس بنو تميم ، والتقوا ببني بكر ، وكان على بكر عمرو الأصم سيدها وكانت تميم قد أقبلت بحملين مقرونين مقيدتين وقالت : لا نبرح حتى يبرح هذان الزويران .

ودارت الدائرة على بني تميم ، وأخذت بكر الزويرين ، وفي ذلك يقول شاعرهم :

يا سلم إن تسألني عنّا فلا كشف عند اللقاء ولسنا بالمقاريف (١)
نحن الذين هزمنا يوم صَبَّحْنَا جيش الزويرين في جمع الأحاليف
ظلوا وظلنا نكر الخيل وسطهم بالشيب منا وبالمرد الغطاريف

- ٧ -

يوم شَعْب جَبَلَة

لعامر وعبس على ذبيان وتميم

وهو أعظم أيام العرب وأكثر جمعا ، كان قبل الاسلام بنحو
الأربعين عاما .

أب لقيط بن زرارة الكلبي جموع العرب على بني عامر وبني عبس ،
وكان في جيشه : ابنا الجون الكلبي ملك حجر ، وحسان أخو النعمان بن المنذر
لأمه ، وسنان بن أبي حارثة ، وسواهم من سادة العرب .

وكان الأحوص بن جعفر سيد هوازن وشيخها وبطلها فأظما إبلا لقومه
ومنعها المرعى وحبسها في الشعب ، فلما اقتحم لقيط ومن معه عليهم فم الشعب
أطلق الأبل من عق لها فانتقلت ثائرة إلى الماء والمرعى تحطم كل شيء أمامها ،
فهزم لقيط وأحلافه ، وقتل في هذا اليوم ، وأسر أخوه حاجب بن زرارة
كما قتل معاوية بن الجون الكلبي . ورثت بنت لقيط - دختوس - أباهما .

فرت بنو أسد فرا ر الطير عن أربابها

عن خير خندق كلها من كملها وشبابها

وأتمها حسبا إذا ضمت إلى أحسابها

(١) مقاريف جمع مقرف وهو : من أمه عربية وأبوه غير عربي . والكشف

جمع أ كشف وهو : من يهزم في الحرب .

ويقول جرير :
ويوم الشعب قد تركوا لقيطا كأن عليه حلة أرجوان

- ٨ -

يوم خزّازى

بين نزار واليمن

ولى ابرهة الحبشى زهير بن جناب السكلي على العدنانيين فامتنعوا عن دفع الأتاوة له ، ووقع بعض العدنانيين أسرى عنده ، فذهب وفد من وجوه معد إليه ليطلق سراحهم ، فأطلقهم ولكنه احتجز بعض أعضاء الوفد ، فثارت معد ، وقادهم كليب وسار بهم إلى خزّازى وهو جبل بين البصرة ومكة فأوقد عليه النار ، وأقبلت مذحج إلى خزّازى ، فاقتتل الفريقان قتالا شديدا هزمت فيه مذحج . وفى ذلك يقول عمرو بن كلثوم .

ونحن غداة أوقد فى خزاز رفدنا فوق رفد الرافدين

- ٩ -

أيام الفجّار (١)

وهى أربعة أيام ، وكانت قريش ومعها بكر على هوازن فى هذه الأيام وأهم هذه الأيام هو الفجّار الرابع والذى أشعل الحرب فيه أن البراض السكتاني قتل عروة الرحال الذى أجار لطيمة (٢) النعمان بن المنذر ، وكان عروة سيدا شجاعا شريفا ، والبراض خليعاً ماجناً ، فثارت الحرب

(١) الأغاني ج ١٩ ، والجزء الأول من تاريخ ابن الأثير ، والجزء الثانى

من العقد ، واديان العرب ، ومعجم البلدان .

(٢) غير تحمل تجارة المنذر إلى أسواق العرب لتباع فيها

وسميت حرب الفجار ، لأنها حدثت في الأشهر الحرام - ذى القعدة والحجة ومحرم ورجب - التي كان القتال فيها محرماً .
وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الحرب واشترك فيها مع قومه وسنه أربع عشرة سنة ، وكان ينبل على أعمامه .

- ١٠ -

يوم ذى قار (١)

بين الفرس والعرب

كان عدى بن زيد العبادى أستاذا للنعمان بن المنذر ، ثم التحق عدى بخدمة أنوشروان ، فمات المنذر (٢) ، فأشار على كسرى بتولية النعمان على الحيرة مكان أبيه ، ثم وشى خصوم عدى به إلى النعمان فأرسل إليه يطلب أن يزوره في الحيرة فقدم عدى عليه فأمر بحبسه ، وفي ذلك يقول عدى يستعطفه بشعره :

أبلغ النعمان عني مألكا أنه قد طال حبسى وانتظارى
لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى
فأطلقه النعمان ، ثم خاف منه فقتله ، واحتل زيد مكان أبيه عدى في خدمة كسرى ، ثم أخذ زيد يحرض كسرى على النعمان فاستدعاه من الحيرة فلجأ إلى هاني بن قبيصة مستجيراً به ووضع عنده أمواله وسلاحه وبنته خرقه ، وذهب إلى كسرى فحبسه حتى مات في السجن ، وولى مكانه على الحيرة إياس بن قبيصة الطائي ، وأمره أن يأخذ أمانات النعمان من هاني ،

(١) راجع ٣٧٤/٣ العقد الفريد ط ١٩٢٨

(٢) راجع خبر المنذر بن ماء السماء وقتله نديميه وجعله لنفسه في كل سنة يوم رأس ويوم نعيم وقتله عبيد بن الأبرص يوم رأسه (١٩٥ النوادر ملحق الأمل) .

فطلبها منه فرفض ، فثار كسرى وانتظر على بنى شيبان حتى أنزلهم الحر بذي
قار وأرسل اليهم جيشاً كثيفاً يحاربهم به ، ولما كن بنى شيبان وأحلافها من
العرب صمدوا لجيش الفرس وهزموه هزيمة منكرة ، وانتصر العرب انتصاراً
مؤزراً .

وفي هذا اليوم خطب هانيء خطبته المشهورة (١) : يامعشر بكر : هالك
معذور خير من ناج فرور الخ . وكان هذا اليوم بعد بعثة الرسول صلوات
الله عليه ، وقال فيه : « ان هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم
وبى نصرنا » .

وقد افتخر الشعراء بهذا النصر العظيم ، قال الأعشى :
لو أن كل معد كان شاركننا في يوم ذي قار ما أخطأهم الشرف
وقال عبد الله العجلي :

ما أوقد الناس من نار لمسكرمة إلا اصطلينا وكنا موقدى النار
وما يعدون من يوم سمعت به للناس أفضل من يوم بذي قار
وقال أبو تمام :

وأنتم بذي قار أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

(١) تاريخ العرب لابن الأثير ١/ ٢٧٣ : في فتنة بني شيبان .

فيه لم يزلوا يقاتلون حتى استسلموا له في سنة ٧٢٢ هـ .

في سنة ٧٢٢ هـ : في فتنة بني شيبان .

في سنة ٧٢٢ هـ : في فتنة بني شيبان .

اللغة العربية (١)

أصلها — نشأتها — خصائصها — عوامل نموها —

اختلاف لهجاتها — أطوار تهذيبها — أثر الأسواق فيها

أصل اللغة العربية :

١ — هي إحدى اللغات السامية المشهورة الباقية إلى يومنا هذا ، وهي لغة الجنس العربي الذي تحدثنا عنه وعن موطنه وحياته العـامة وصفاته وأخلاقه في العصر الجاهلي .

واللغات السامية هي — حسب ترتيبها ترتيبا زمنيا مطابقا لانتشار آدابها — كما يأتي :

- ١ — اللغة البابلية والآشورية (من ٣٠٠٠ إلى ٥٠٠ ق م)
- ٢ — العبرية ظهرت من (١٥٠٠ ق م) واستمرت إلى يومنا هذا
- ٣ — السبئية أو الحميرية أو العربية الجنوبية (٢) وجدت منها نقوش

(١) راجع الكلام على أصلها وخصائصها وعوامل نموها في :
الخصائص — المزه — الصاحبي — كتب فقه اللغة — الأدب العربي للرافعي
وراجع نشأة اللغة في : ٤٣٣ / ٤ شرح نهج البلاغة و ٣ / ٨٠ بلوغ الأرب ،
والميسر والقذاح لابن قتيبة ، وكتاب الأدب للرافعي .

(٢) راجع الكلام عليها في ٢٢٧ وما بعدها من كتاب تاريخ اللغات السامية
لاسرائيل ولفنسون ط ١٩٢٩ القاهرة . ويرجع ولفنسون معلوماتنا عن اليمن
ولغاتها إلى : القرآن وكتب السيرة وكتاب الأكليل للهمداني ، وبعض مصادر
عبرية يهودية ، ومصادر تاريخية يونانية ورومانية لهيرودوت وسثرابو الروماني
وسواهما ، ونقوش وكتابات جميع الرواد الأوربيون خلال القرن
التاسع عشر .

يرجع تاريخها إلى القرن الثاني بعد ميلاد المسيح وقد تلاشى السبتيون نهائيا من صفحات التاريخ حينما أخذ العدنانيون في الظهور والقوة

٤ - اللغة الآرامية وهي كاللغة الحميرية (نقوش وجدت منها منذ سنة ٨٠٠ ق م) .

٥ - اللغة الفينيقية وترجع النقوش التي عثر عليها منها إلى القرن السابع قبل المسيح .

٦ - اللغة الحبشية (٣٥٠ ق م حتى يومنا هذا) .

٧ - العربية العدنانية (١) ، وهي لغة الشعر والنثر الجاهليين ولغة القرآن الكريم ، وهي من أحدث اللغات السامية عهدا وأقربها ظهورا ، وكل ما ألف ودون عنها وما روى من آثارها فهو ليس بعيدا عن البعثة المحمدية بأكثر من مائة عام تقريبا .

والعدنانية هي أقرب لغات الساميين إلى اللغة السامية القديمة (٢) لأن الجنس العربي عاش في عزلة تامة بعيدا عن العالم ولم يختلط بغيره اختلاطا كاختلاط الأجناس الأخرى بسواها ولم تخضعهم أمم أخرى لحكمهم (٣) فلم تتأثر لغتهم تأثرا كبيرا بغيرهم .

(١) راجع تاريخ الأدب العربي للمستشرق الانجليزي رينولد نيكلسون .
و ص ١٠٧ الشهاب الراصد للظفي جمعه ط ١٩٢٦ .

(٢) راجع ٧ - ٢ من كتاب تاريخ اللغات السامية طبع القاهرة ١٩٢٩ .

(٣) وقد يكون السبب في قرب اللغة العربية من الأصل الأول للغات السامية أنها كانت موجودة في مهد اللغات السامية أو في ناحية قريبة منه أو أن العناصر التي نزلت إلى بلاد العرب كانت من أقدم الأمم السامية

ب - وتمتاز اللغات السامية عن أنواع اللغات الأخرى (١) بميزات وخصائص (٢) منها :

١ - كثرة عدد حروفها

ب - أغلب الكلمات فيها يرجع في اشتقاقه إلى أصل ثلاثي الحروف وهذا الأصل هو الفعل ؛ والرأى الذى يذهب اليه بعض علماء العربية من أن أصل الاشتقاق هو المصدر مخالف لأصل الاشتقاق في باقى اللغات السامية ولعله تسرب إلى اللغة العربية من العلماء الفرس الذين بحثوا فى اللغة العربية بعقليتهم الآرية إذ الأصل فى الاشتقاق عند الآريين هو المصدر الاسمى ج - ليس فى اللغات السامية أثر لأدغام كلمة فى أخرى حتى تصير الكلمتان كلمة واحدة تدل على معنى مركب من معنى كلمتين مستقلتين كما هى الحال فى غير اللغات السامية .

د - اقتصارها فى الكتابة على الحروف دون حركاتها

هـ - كثرة اشتقاق صيغ متعددة من المادة الواحدة

(١) اللغات الأخرى تشمل مجموعتين : اللغات اليافقية أو الآرية ، واللغات الحامية :

أما الآرية فقد انتشرت فى الهند وسارت منها إلى الافغان وفارس ثم إلى أوروبا . وهى قسمان :

١ - الآرية الشمالية وهى لغات أوروبا القديمة والحديثة

ب - الآرية الجنوبية وهى السنسكريتية (الهندية القديمة) وفروعها الهندية الحالية والفارسية والآرمنية والافغانية .

وأما الحامية فقد انتشرت شمالى افريقية وتشمل الزنجة والبربرية (لغة سكان المغرب) والمصرية القديمة (قبل فتح الهكسوس لمصر)

أما اللغات السامية فقد انتشرت غربى آسيا

(٢) راجع ص ١٤ وما بعدها من كتاب تاريخ اللغات السامية ط ١٩٢٩

و - اشتراكها في كثير من الكلمات مع اختلاف قليل - أحيانا ويظهر ذلك من التشابه بين العربية والعبرية ، فبعض الكلمات بالسين في العربية وهي بالشين في العبرية ، والألف في العربية واو في العبرية ، فسلام في العربية هي شلوم في العبرية ، وكذلك الثاء في العربية شين في العبرية كثور وشور ، وما كان في العربية بالضاد فهو في العبرية بالصاد كأرض وأرض وهكذا .

وهذا الاشتراك دليل على أن اللغات السامية من أصل واحد (١) .
وأوجه الشبه بين أغلب اللغات السامية تظهر في بعض أسماء الأشياء التي كانت معروفة لهم جميعا كأسماء أعضاء الجسم وكالصمائر فانها متقاربة فيها جميعا .
ج - تنقسم اللغة العربية بوجه عام - لا اللغة العدنانية خاصة - إلى لهجتين :

- أ - لهجات القبائل العدنانية شمالي الجزيرة
ب - لهجات القبائل القحطانية جنوب الجزيرة وتسمى اللغة الحميرية (٢)

(١) يخلف الباحثون في ذلك : فالبعض يذهب إلى أن اللغات السامية تفرعت من أصل واحد مجهول والبعض يذهب إلى أن إحداهن أصل لأخواتها ؛ فقليل البابية هي الأصل وقيل العربية . والراجح أن اللغات السامية تفرعت من أصل واحد مجهول وأيد ذلك جورجى زيدان بك في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية .
ملاحظة :

- اللغات السامية من الوجهة الجغرافية تنقسم إلى ثلاث مناطق :
- أ - شرقية وتشمل البابلية والاشورية
ب - غربية وتشمل الكنعانية والعبرية والآرامية
ج - جنوبية وفيها اللهجات العربية في جميع بلدان الجزيرة العربية واللهجات الحبشية

(٢) وتشمل اللغة المعينية واللغة السبئية واللغة الحميرية ولغة قتيبان وحضر موت وفي تاريخ اللغات السامية لولففسون حديث طويل عنها (٢٢٧ - ٢٥٢ ط

وهي أقدم من لغة الشمال ، وقد عثر في اليمن على نقوش مكتوبة بهذه اللغة ولها حروف تخالف الحروف العربية المعروفة كما أن لها صيغا في التنوين وجمع المذكر السالم وجمع التكسير وأداة التعريف وغيرها تخالف لغة أهل الحجاز وكذلك في حروف الكلمات فهمزة أفعل في بعض الكلمات الحيرية هاء .

أما لغة الشمال أو لغة الحجاز أو اللغة العدنانية فهي أحدث من لغة الجنوب ، وما روى إلينا من شعر جاهلي فهو لها لأن الشعراء الذين نظموا هذا الشعر إما من ربيعة أو مضر وهما فرعان عدنانيان وإما من قبائل يمنية رحلت إلى الشمال كطي وكندة وتنوخ .

واللغة العدنانية هي التي يعيننا البحث عنها ، وهي التي ينصرف إليها الحديث عند إطلاقنا لفظ « اللغة العربية »

نشأتها :

١ — اللغة العربية الباقية - التي هي العدنانية - هي مزيج من لهجات مختلفة اختلطت بعضها ببعض وصارت لغة واحدة بعد أن في أصحاب اللهجات الأولى وبادوا بالحروب والمهاجرة والامتزاج بغيرهم (١)

على أن امتزاج هذه اللهجات وتدخل بعضها في بعض لم يتم مرة واحدة أو في زمن واحد بل حدث شيئا فشيئاً وسار تدريجياً أرمنة طويلة أثناء الجاهلية إلى ما قبل الإسلام بقليل وهكذا كانت لغة الشمال اللغة العدنانية ذات سلطان قوى ونفوذ واسع في العصور القريية من ظهور الاسلام فابتلعت اللهجات الجنوبية والتهمتها الواحدة منها تلو الأخرى ، وسادت هي في أغلب أقاليم الجزيرة العربية ، وكونت لنفسها أدبا جديدا وشعرا فنيا . (٢)

وأخذت اللهجات في بلاد اليمن تندهور وتتلاشى حتى كادت تنفى في القرن السادس الميلادى ، وخاصة لفقدان اليمن لحريتها بخضوعها الأحماس طوراً ثم للفرس طوراً آخر فتدهورت حضارتها وتقلص ظل اللهجات اليمنية . ويسر ذلك السبيل أمام اللغة العدنانية للنصر في المعركة . وبقي من اللهجات اليمنية في اللغة العربية صدى قليل لا يكاد يكون شيئاً مذكوراً (١)

٢ — ووجود بعض ألفاظ عبرية ، آرامية ويونانية (٢) اندمجت في العربية بواسطة السريانية ، وفارسية (٣) ، من الخطأ أن نستدل به على إفادة اللغة العربية من هذه اللغات في طور نشأتها ، لأننا لا نعلم متى دخلت هذه الألفاظ في اللغة العربية ، ولو سلمنا أنها دخلت في العصر الجاهلي فيكون المعقول أن تعد أثراً من آثار تهذيب اللغة العربية أو طوراً من أطواره

٣ — ولا شك أن اللهجات الى امتزجت باللغة العربية قسمان :

- ١ — لهجات سكان شمال الجزيرة كشمود (٤) وغيرها من القبائل العربية القديمة البائدة ، ومنها قبائل معين (٥) التي استوطنت في شمال الجزيرة العربية .
- ب — ولهجات سكان جنوب الجزيرة وتتمثل في اللغة المعينية القديمة

(١) وفي ص ٣٤٠ من المزهري للسيوطي أن بعض اللهجات عربية حمير كانت شائعة في اليمن للقرن الثامن الهجري .

(٢) مثل . اجميل واسطوانه ، وأسقف وناموس وميل وبستان وصراط وخندريس وفردوس

(٣) مثل . مجوس وجيش وأستاذ (راجع في ذلك ١/١٥ من تاريخ آداب اللغة لمحمد بك دياب)

(٤) راجع موطنها وأخبارها في ١٧١ وما بعدها من كتاب تاريخ اللغات السامية .

(٥) راجع ص ١٧٦ وما بعدها تاريخ اللغات السامية

للقديمة (١) ، واللغة السبئية التي خلفت اللغة المعينية (٢) ، أما اللغة الحميرية فهي السبئية مع خلاف قليل وقد نشأت مع اللغة العدنانية في وقت واحد (٣) ثم تغذت بها العدنانية ثم التهمتها وقضت عليها ، ومن المرجح أن ظهورهما بدأ قبل الميلاد بقرن واحد أي قبل البعثة بسبعمئة عام (١٣٤ الشهاب)

٤ — ورحل إبراهيم بابنه اسمعيل إلى الحجاز وأقام بمكة وخالط قبيلة جرهم الثانية اليمنية وصاهرها وتعلم لغتها فكان لهذا العنصر الذي يرجع إلى العبرية أثر في اللغة العربية العدنانية . (٤)

٥ — ثم بدأت عوامل تهذيب اللغة العربية العدنانية تعمل عملها : باختلاط القبائل العربية بعضها ببعض ، ورحلات القرشيين في البلاد واتصالهم بالأمم الأخرى ، ثم نزل القرآن الكريم فأضفى على العدنانية ثوب القوة والخلود (٥)

٦ — وهكذا نشأت العدنانية ونضجت ، وقبل أن تختم هذا البحث نعرض أمامكم هذا النص ، قال الأستاذ محمد لطفي جمعه في كتابه الشهاب الراصد (٦) :

(١) والمعيثيون قدموا من العراق إلى اليمن واغتتهم بألمية وبإقامتهم في اليمن أخذت تتباعد عن أصلها شيئاً فشيئاً حتى صار لغة مستقلة (راجع ١٢٤ الشهاب الراصد) .

(٢) والسبئيون أو القحطانيون قدموا إلى جنوب شبه الجزيرة من الحبشة أو من العراق في القرن الثامن قبل الميلاد واقتبسوا لغة المعينين (١٢٤ الشهاب الراصد) وأولهم هو حطان رأس العرب العاربة وابنه يعرب هو الذي نطق بلغة المعينيين وبدأ يهذبها

(٣) ١٢٥ الشهاب الراصد

(٤) وراجع ما كتبه الجاحظ في البيان والتبيين عن اسمعيل ونطقه بالعربية

دون تلقين (٣/١٦٨)

(٥) راجع ٢١٥ تاريخ اللغات السامية

(٦) ١٢٥ الشهاب الراصد

« ومن المجمع عليه لدى علماء أصول اللغات وعلماء المشرقيات أن هذه العربية المحضة - العدنانية - هي الغاية التي انتهت إليها تلك اللغات وكانت جميعها وافتغذى نهرها العظيم ، فالحبشية والسبئية والحميرية والعبرانية والنبطية وما تخلف عنها من لهجات متنوعة خدمت كلها تلك المضربة الفصحى الخالصة ،

أطوار تهذيب اللغة

١ - سبق (١) أن ذكرنا أن المعينين بعد هجرتهم من العراق إلى اليمن انحرفت لغتهم البابلية ثم استقلت فسميت اللغة المعينية وتوارثها السبئيون وتحولت فصارت لغة جديدة هي اللغة السبئية ، وكانت هي لغة الحميريين إلا أنها اكتسبت صفات جديدة بفعل الزمن وتبدل الحياة والمعيشة ؛ ثم هاجر اسماعيل إلى مكة وأقام بها وكان لسانه عبرانيا ، وجاور جرهم الثانية القحطانية وخالطها وصاهرها وتكلم بلغتها - وهي اللغة القحطانية أو السبئية - ، وتكلم بهذه اللغة أحفاده ، وبذلك نشأت اللغة العدنانية ، وكان نشأتها هي واللغة الحميرية في وقت واحد على الأرجح وذلك قبل الميلاد بقرن واحد أو قبل البعثة بسبعمئة عام ، ثم أفادت العدنانية من الحميرية وصارعتها حتى طوتها وتغلبت عليها . وذلك هو الدور الأول من أدوار تهذيب اللغة العربية .

٢ - ثم كان لاجتماع القبائل واختلاطهم بعضهم ببعض أثر في تهذيب اللغة ورقيتها .

ولا شك أن: الحروب ، والتجارة ، والحج ، كان لها أثر كبير في اختلاط القبائل بعضها ببعض وتفاهمها وتقارب لغاتها ، مما يشبه الأثر الذي أحدثه سيل العرم - الذي حدث حوالي ميلاد المسيح (٢) - وأدى إلى هجرة القبائل

(١) راجع ١٣١ الشهاب الراصد

(٢) راجع ١١٩ الشهاب الراصد . ويخطئ الزيات في جعل تاريخ سيل العرم

واختلاط القحطانيين بالعدنانيين وتأثرت لغاتهم بذلك الاختلاط .
والحج له - من بين هذه العوامل - أثر كبير في تهذيب اللغة ، فقد كان العرب
يحبون إلى السكبة وكانت قريش تتصل بهم ويتصلون بها ، وكان القرشيون
على قسط من المعرفة والرقى الفكرى وفيهم ذوق ولهم ملكات ناضجة في
النقد اللغوى ، فكانوا يميزون بين اللهجات والألفاظ ، ويقتبسون من لهجات
القبائل أعذبها ومن ألفاظهم أسهلها وأفصحها ، ويضيفون ذلك إلى لغتهم ،
فهدبوا لغتهم حتى خلت من السقيم والمستبشع من الألفاظ واللهجات . كما
كانوا في رحلاتهم التجارية إلى الشام واليمن وفارس والحبشة يأخذون من
لغات هذه الأمم بعض ألفاظها ويدخلونها في لغتهم بعد أن ينطقوا بها نطقاً
عربياً فصيحاً - وهو ما نسميه التعريب - ، وبذلك زادت ثروة اللغة العدنانية
القرشية ، وقلدت القبائل الأخرى قريشاً في ذلك وحاكتها في لغتها وأخذت
عنها فكان بذلك لقريش أثر كبير في تهذيب اللغة ، بل كانت تقوم بما تقوم
به مجامع اللغة الآن ، وصارت لغة قريش أعذب اللغات لفظاً وأبلغها أسلوباً
وأوسعها مادة .

أثر الأسواق (١) : ومن العوامل الأخرى - التي ظهر فيها اختلاط
العرب وكان لها أثر في تهذيب اللغة - الأسواق .

والأسواق العربية كانت ميداناً لاجتماع العرب وتبادلهم التجارة ، كما
كانت سبباً في دعم الوحدة والتفاهم بينهم وفي مزجهم بعضهم ببعض وفي
التقريب بين لغاتهم ولهجاتهم وكانت مع ذلك مجمعاً أدبياً كبيراً حيث كان يجتمع
فيها الشعراء والخطباء فينشدون ويخطبون .

هو عام ٤٤٧ م (راجع ص ١٣ تاريخ الادب العربى للزيات)

(١) راجع الكلام على عكاظ والمربد في مجلة الرسالة العدد ١٢ و ١٣ و ١٥

و ١٦ و بلوغ الأرب ٤٦٤ / ١ و معجم البلدان والكلام على عكاظ في العقد الفريد

ومن أهم هذه الأسواق : عكاظ ومجنة وذو المجاز .
أما عكاظ : فهي قرية بين نخلة والطائف ، كانت تقام بها سوق تجارية عامة ، وتاريخ إقامة هذه السوق يبدأ من عام ٥٤٠ هـ ، وكانت تعقد في أول ذي الحجة إلى عشرين منه ، وبقيت في الاسلام ، إلى أن نهى الخوارج عام ١٢٩ هـ . وكانت ميدانا للمنافرة والمفاخرة والتجارة وفداء الأسرى وإنشاء القصائد ، وجاء ذكرها في الشعر العربي ، قال طريف بن تميم :

أوكلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلى عريفهم يتوسم
وقال النابغة :

أرأيت يوم عكاظ حين لقيتني تحت العجاج فما شققت غباري
وقال حسان .

سأشر إن بقيت لهم كلاما يفرق في المجامع من عكاظ
وسوق عكاظ سوق عامة كان يحضرها العرب جميعا ، أما الأسواق الأخرى فكانت أسواقا محلية . وفيها كان النابغة يتحاكم إليه الشعراء وكان يضرب له قبة بها ، وبها كانت المفاضلة بين الأعشى وحسان والخنساء وكان قس بن ساعدة يخطب فيها وسمعه الرسول صلوات الله عليه ، ويقال ان المعلقات أنشدت فيها . ويقول أحمد أمين من مقالة له :

كان لعكاظ أثر كبير لغوى وأدبي ، فقد رأينا قبائل العرب على اختلافها من قحطانيين وعدنانيين تنزل بها ، وملك الحيرة يبعث تجارتها إليها ، ويأتي التجار من مصر والشام والعراق (١) ، فكان ذلك وسيلة من وسائل تفاهم القبائل ، وتقارب اللهجات ، واختيار القبائل بعضها من بعض ما ترى أنه

(٣) يروون أن عبد الله بن جدعان أتى مصر فباع ما معه وعاد إلى سوق عكاظ . انظر الاكلیل للهمدانی جزء ٨ ص ١٨٤ وما بعدها .

اليق بها وأنسب لها ، كما أن التجار من البلدان المتمدنة كالشام ومصر والعراق كانوا يطلعون العرب على شئ مما رأوا من أحوال تلك الأمم الاجتماعية . وفوق هذا كانت عكاظ معرضا للبلاغة ومدرسة بدوية يلقى فيها الشعروا الخطب وينقد ذلك كله ويهذب ، قال أبو المنذر : « كانت بعكاظ منابر في الجاهلية يقوم عليها الخطيب بخطبته وفعاله وعد ما أثره وأيام قومه من عام إلى عام فمنها أخذت العرب أيامها وفخرها ، وكانت المنابر قديمة يقول فيها حسان :

أولاء بنو ماء السماء توارثوا دمشق بملك كابر
بعد كابر يؤمون ملك الشام حتى تمكنوا ملوكا بأرض الشام فوق المنابر (١)
فيقف أشراف العرب يفخرون بمناقبهم ومناقب قومهم . .

قام عمرو بن كلثوم خطيبا بسوق عكاظ وأنشد قصيدته المشهورة :

ألا هي بصحنك فاصبحينا (٢)

ووافي الأعشى سوق عكاظ كل سنة ، وفيها أنشدهم قصيدته في مدح الملق (٣)

وكان النابغة الذبياني تضرب له قبة آدم بسوق عكاظ يجتمع اليه فيها الشعراء فيدخل اليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى والخنساء فينشدونه جميعاً ويفاضل بينهم وينقد فيما زعموا قول حسان :

لنا الجففات الغر يلمعن في الضحى

فيقول لحسان قللت العدد ولو قلت الجفان لكان أكثر . وقلت يلمعن بالضحى ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طروقا (٤) .

ودريد بن الصمة يمدح ابن جدعان بعد ان هجاه فيقول : اليك ابن جدعان

(١) الازمنة والامكنة ٢ ص ١٧٠ (٢) الأغاني ٩ ص ١٨٢

(٣) الأغاني ٨ ص ٧٩ ، ٨٠ (٤) المرجع ٨ / ١٩٤ و ١٩٥

أعملتها (١) الخ . وخطب قس بن ساعدة الناس خطبته المشهورة فذكرهم بالله والموت ورسول الله يسمع له (٢) ، وكانت الخنساء تشهد الموسم بعكاظ وتعاظم العرب بمصيبتها في أبيها عمرو بن الشريد وأخوها صخر ومعاوية ، وتنشد في ذلك القصائد ، فلها وقعت وقعة بدر وقتل فيها عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة أقيمت هند بنت عتبة إلى عكاظ ، وفعلت كما فعلت الخنساء ، وقالت اقرنوا جملي بجمل الخنساء ففعلوا ، فعازمت هند الخنساء في مصيبتها وتناشدتا الأشعار : تقول احداهما قصيدة في عظم مصيبتها وترد الأخرى عليها (٣) ، وعلى الجملة فكانوا في عكاظ يتبايعون ويتعاضدون ويتفاخرون ويتحاجون ، وتنشد الشعراء ما تجددهم ، وفي ذلك يقول حسان : سأنشر ما حييت لهم كلاما ينشر في المجامع من عكاظ . فمن هذا كله نرى كيف كانت عكاظ مركزاً لحركة أدبية ولغوية واسعة النطاق كما كانت مركزاً لحركة اجتماعية واقتصادية .

نظام سوق عكاظ

كانت القبائل - كما أسلفنا - تنزل كل قبيلة منها في مكان خاص بها ، ثم تتلاقى أفراد القبائل عند البيع والشراء أو في الحلقات المختلفة . كالذي حكينا فكان الناس يجتمعون على سرحة ، أو حول الخطيب يخطب على منبر ، أو في قباب من آدم تقام هنا وهناك ، ويختلط الرجال بالنساء في المجامع ، وقد يكون ذلك سبباً في خطبة أو زواج أو تبادر (٤) وكانت تحضر الأسواق - وخاصة سوق عكاظ - أشراف القبائل « وكان أشراف القبائل يتوافون بتلك الأسواق مع التجار من أجل أن الملوك كانت ترضخ للأشراف ، لكل شريف بسهم من الأرباح ، فكان شريف كل بلد يحضر سوق بلده ، إلا

(١) أغاني ٩ ص ١٠ (٢) أغاني ١٤ ص ٤١ و ٤٢

(٣) صفة جزيرة العرب ص ٢٦٣

(٤) أنظر الأغاني ج ١٠ ص ١٤٥ وما بعدها وج ١٣ ص ١٤٠ وما بعدها

عكاظا فانهم كانوا يتوافون بها من كل أوب ، (١) .

والظاهر أن المراد بالملوك هم الأمراء ورؤساء القبائل الذين يرسلون بضائعهم لبيعها في أسواق العرب كملك الحيرة والغساسنة وأمرأء اليمن ونحوهم وكانت القبائل تؤتي لرؤسائها اتاوة في نظير إقامتهم بالسوق ، فقد ذكر اليعقوبي في تاريخه أخبار أسواق كثيرة كان يعشرها أشرافها - أى يأخذون العشر (٢) - وفي عكاظ كانت القبائل تدفع لأشرافها هذه الأتاوة « فهو وزن كانت تؤتي زهير بن جذيمة الأتاوة كل سنة بعكاظ ، وهو يسومها الخسف وفي أنفسها منه غيظ وحقد » (٣) وكانت الأتاوة سمنا وأقطا وغنما (٤) ، وكان عبد الله بن جعدة سيدا مطاعا وكانت له اتاوة بعكاظ يؤتي بها ، ويأتي بها هذا الحى من الازد وغيرهم ، ومن هذه الأتاوة ثياب (٥)

وكان الأشراف يمشون في هذه الأسواق ملثمين ، ولا يوافيها (عكاظ) شريف إلا ملثما مخافة أن يؤسر يوما فيكبر فداؤه ، فكان أول من كشف طريف العنبري ، لما رآهم يطلعون في وجهه ويتفرسون في شمائله قال : قبح من وطن نفسه الا على شرفه ، وحسر عن وجهه وقال : أوكلمها وردت عكاظ قبيلة إلى آخر الآيات (٦)

وكان على سوق عكاظ كلها رئيس إليه أمر الموسم وإليه القضاء بين المتخاصمين ، قال أبو المنذر : وتزعم مضر أن أمر الموسم وقضاء عكاظ كان في بني تميم وكان ممن اجتمع له ذلك منهم بعد عامر بن الظرب

(١) الأزمينة والامكنة ٢ ص ١٦٦ (٢) اليعقوبي جزء ٢ ص ٣١٣ وما

بعدها (٣) السكامل لابن الاثير ١ ص ٢٢٩ (٥) أعاني ١٠ ص ١٢

أعاني ٤ ص ١٣٦ وما بعدها (٧) الأزمينة والامكنة ٢ ص ١٦٦

العدواني سعد بن زيد بن مناة من تميم ، وقد فخر المخبل بذلك في شعره :
ليالى سعد فى عكاظ يسوقها له كل شرق من عكاظ ومغرب
حتى جاء الإسلام فسكا يقضى بعكاظ محمد بن سفيان بن مجاشع (١)

تاريخ عكاظ :

من العسير جدا أن نحدد بدء عكاظ ، فلم نجد فى ذلك خبرا يصح التعويل
عليه ، يقول الألوسى فى بلوغ الأرب : أنها اتخذت سوقا بعد الفيل بخمس
عشرة سنة ، ، ولكن إذا بحثنا فى الأحداث التى رويت فى عكاظ وجدنا ذلك
غير صحيح ، فهم يروون - كما قدمنا - أن عمرو بن كلثوم أنشد قصيدته فى
عكاظ ، وعمرو بن كلثوم كان قبل ذلك

كذلك اذا عدنا إلى ما رواه المرزوقى فى الأزمدة والامكنة عن رؤساء
عكاظ وجدنا أنه عدم قبل الاسلام عشرة ، أولهم عامر بن الظرب العدوانى .
وهذا - من غير شك - يجعل تاريخ عكاظ أبعد مما يحكى الألوسى بزمان
طويل ، كذلك يروى الأغانى ان عبلة زوجة عبد شمس بن عبد مناف باعت
أنحاء سمن بعكاظ (٢)

وظلت سوق عكاظ تقوم كل سنة ، وكانت فيها قبيل الاسلام حروب
الفجار وهى حروب أربع ، وكان سبب الأولى على ما يروى ، المفاخرة فى سوق
عكاظ . وسبب الثانية تعرض فتية من قریش لامرأة من بنى عامر بن صعصعة
بسوق عكاظ ، وسبب الثالثة مقاضاة دائن لمدينه مع اذلاله فى سوق عكاظ ،
وسبب الأخيرة أن عروة الرجال ضمن أن تصل تجارة النعمان بن المنذر
إلى سوق عكاظ آمنة فقتله البراض فى الطريق (٣) .

(١) أنظر تعداد من ولى عكاظ فى الأزمدة والامكنة ٢ ص ١٦٧

(٢) أغانى ١ ص ٨٤ . (٣) أنظر العقد الفريد ٣ ص ١٠٨ والاغانى .

فكلها تدور حول سوق عكاظ ، وهذه الحروب كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة ، وشهدها النبي وهو ابن أربع عشرة سنة مع أعمامه ، وقال : كنت يوم الفجار أنبل على عمومي [١] .

واستمرت هذه الحروب نحو أربع سنوات . وقد كانت هناك نزعتان عند أشراف العرب : نزعة قوم يقصدون إلى السلب والنهب وسفك الدماء لا يصدهم صاد ، ولا يرعون حتى الأشهر الحرم ، ويتحرشون بالناس ، فيمد أحدهم رجله في سوق عكاظ ويتحدى الأشراف مثله أن يضربوها فتثور من ذلك الثائرة (٢) . وفريق يميل إلى السلم ودرء أسباب الحروب ونجاح التجارة والأسواق بتأمين السالكين وعدم التعرض لهم بأذى ، جاء في تاريخ اليعقوبي : « أنه كان في العرب قوم يستحلون المظالم إذا حضروا هذه الأسواق فسموا « المحلون » وكان فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر فيسمون « الزادة » المحرمون ، فاما المحلون فكانوا من أسد وطية وبني بكر بن عبد مناة وقوم من بني عامر بن صعصعة وأما الزادة المحرمون فكانوا من بني عمرو بن تميم وبني حنظلة بن زيد مناة وقوم من هذيل وقوم من بني شيبان . . . فكان هؤلاء يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس (٣) . -

وكان من أشهر الداعين إلى السلم عبد الله بن جدعان ، فقد كان إذا اجتمعت العرب في سوق عكاظ دفعت أسلحتها إلى بن جدعان ، ثم يردها عليهم إذا ظعنوا ، وكان سيدا حكيما مثرى (٤) .

ويظهر أن أصحاب هذه النزعة الثانية وهم الزادة هم الذين سموا هذه

(١) النهاية لابن الأثير مادة فجر (٢) الأغاني ٤ ص ١٣٦ .

(٣) اليعقوبي ٢ : ٢١٣ وما بعدها (٤) أنظر الأغاني ١٩ ص ٧٣ وما بعدها

الحروب حروب الفجار ، لما ارتكب فيها من الفجور وسفك الدماء ، وهم الذين تغلبوا فيما بعد ونجحوا في وقف هذه الحروب ، ودعوا الناس أن يعدوا القتلى فيدوا من فضل ، وأن يتعاقدوا على الصلح ، فلا يعرض بعضهم لبعض ، وربما كان من أثر ذلك حلف الفضول ، وقد عقد في بيت عبد الله بن جدعان هذا .

واستمرت عكاظ في الاسلام ، وكان يعين فيها من يقضى بين الناس ، فعين محمد بن سفيان بن مجاشع قاضيا لعكاظ ، وكان أبوه يقضى بينهم في الجاهلية وصار ذلك ميراثا لهم (١) .

ولكن يظهر أن هذه الأسواق ضعف شأنها بعد الفتوح فأصبحت البلاد المفتوحة أسواقا للعرب خيرا من سوق عكاظ ، وصار العرب يغشون المدن الكبيرة لقضاء أغراضهم ، فضعفت أسواق العرب ومنها عكاظ . ومع ذلك ظلت قائمة وكان آخر العهد بها قبيل سقوط الدولة الأموية . قال الكلبي « وكانت هذه الأسواق بعكاظ ومجنة وذى المجاز قائمة في الاسلام حتى كان حديثا من الدهر ، فأما عكاظ فانما تركت عام خرجت الحرورية بمكة مع أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي الأباضي في سنة تسع وعشرين ومائة ، خاف الناس أن ينهبوا وخافوا الفتنة فتركوا حتى الآن ، ثم تركت مجنة وذو المجاز بعد ذلك واستغنوا بالأسواق بمكة وبمبنى وبعرفة وآخر سوق خربت سنة ١٩٧ أشار فقهاء أهل مكة على داود بن عيسى بتخريبها فخرّبها وتركوا إلى اليوم (٢) »

فعكاظ عاصرت العصر الجاهلي الذي كان فيه ما وصل إلينا من شعر وأدب ، وجرت فيها أحداث بحياة النبي صلى الله عليه وسلم قبيل مبعثه ، ومهدت السبيل قبيل الاسلام لتوحيد اللغة والأدب ، وعملت على إزالة

(١) الازمنة والأمكنة ج ٢ ص ١٦٧ وما بعدها .

أخبار مكة للزرق ص ١٣١ و ١٢٣

الفوارق بين عقليات القبائل ، وقصدها النبي صلى الله عليه وسلم يثبت فيها دعوته ، وعاصرت الاسلام في عهد الخلفاء الراشدين والعهد الأموي ولكن كانت حياتها في الاسلام أضعف من حياتها قبله ، وبدأ ضعفها من وقت الهجرة لما كان من غزوات وحروب بين مكة والمدينة وبين المؤمنين والمشركين ، فلما فتحت الفتوح رأى العرب في أسواق المدن المتحضرة في فارس والشام والعراق ومصر عوضاً عنها ، ثم كانت ثورة أبي حمزة الخارجي بمكة فلم يأمن الناس على أموالهم فخربت السوق ، وختمت صحيفة الحياة حافلة ذات أثر سياسي واجتماعي وأدبي

حجة :

موضع بمر الظهران . وكانوا ينتقلون إليها من عكاظ فيقيمون إلى غاية ذى القعدة .

ذو المجاز :

خلف عرفة وكانوا يقيمون فيه ثمانية أيام من ذى الحجة ثم يقفون بعرفة في اليوم التاسع .

وكان لهذه الأسواق عملها اللغوي في الفهم والنقد والإيثار والاختيار ثم في التبادل اللغوي بين القبائل عامة مما كان له أثر كبير في تهذيب اللغة ٣ — ثم أنزل القرآن بلغة قریش فجمع العرب عليها وهذبها وجعلها أفصح اللغات ونشرها في الدنيا وجعلها لغة عالمية بعد أن كانت لغة العرب وحدهم ، وبالقرآن الكريم تمت سيادة لغة قریش على لغات جميع القبائل العربية الأخرى ولهجاتهم

اختلاف اللهجات العربية :

١ — كانت اللهجات كثيرة لأن العرب شعوب وقبائل وبطون وأنفاذ

وعشائر وفصائل متشعبة ، وكان لكل قبيلة لهجة تميزها ، وبذلك كثرت اللهجات العربية وظهر الاختلاف بينها (١) ، ولكنه كان في الفروع واللهجات لا في أصل اللغة ذاتها وكان أثر البيئة والمعيشة والحياة والجو . ولم تدون جميع هذه اللهجات (٢) ، ولكنه بقي ظلها في اللغة العربية .

ويقول أبو عمرو بن العلاء م ١٥٤ هـ : « ما لسان حمير وأقصى اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا ، وكذلك يقول ابن خلدون في مقدمته : « ولغة حمير لغة أخرى مغايرة للغة مضر كما هي لغة للعرب لعهدنا » .

وهذا طبعاً تصوير للخلاف الواسع بين العربية والحميرية على عهد ابن العلاء وعهد ابن خلدون ، وهما يقصدان إلى اختلاف اللهجات . وذلك بدهى بما ذكرناه

ب - ومن صور اختلاف اللهجات العربية ما يبدو لك (٣) من :

١ - الكشكشة في لهجة ربيعة ومضر ، وهي : زيادة شين بعد كاف المخاطبة المؤنثة في الوقف ، أو في الوقف والوصل جميعاً ، أو جعل الشين مكان هذه الكاف مع كسرها في الوصل واسكانها وقفاً .

(١) واختلاف اللغات - أو اللهجات - يرجع إلى أمور ثلاثة :

١ - تباين اللهجات وتنوع المنطق كاختلافهم في صيغة اللفظ أو كيفية النطق وهو المراد هنا .

٢ - اختلاف الدلالة للفظ الواحد باختلاف اللغات التي تنطق به ومن هذا النوع المترادف والأضداد .

٣ - ما يكون قد انفرد به عربي مع أطباق العرب على النطق بخلافه وهذا يجوز أن يكون قد دفع لذلك الأعرابي من لغة قديمة طال عليها العهد وبادت آثارها .

(٢) وبقية اللغات مسماة منسوية إلى أصحابها من العرب عند الرواة والعلماء .

إلى آخر القرن الثالث (١٢٩ الشهاب الراصد)

(٣) راجع ص ٩ وما بعدها ج ١ من تاريخ آداب اللغة العربية لمحمد بك دياب

فيقولون في رأيك : رأيتكش ، أو رأيتش .

٢ — الكسكسة في لهجة ربيعة ومضر أيضا ، وهي : أن يجعلوا بعد الكاف أو مكانها في خطاب المذكر شيئا فيقولون في عرفتك : عرفتكس أو عرفتكس ونسبها الحريري لبكر لالربيعه ومضر ، وجعلها مثل الكسكسة (زيادة شين بعد خطاب المؤنثة) ، ونسبها القاموس لتيم وفسرها بما فسر بها به الحريري .

٣ — شنشنة اليمين ؛ وهي : ابدال الكاف شيئا مطلقا ، فيقولون في لبيك : لبيش ، وفي كلني : شلني .

٤ — القُطعة في لغة طيء ، وهي قطع اللفظ قبل تمامه فيقولون « يا أبا الحكم » في « يا أبا الحكم » .

٥ — خلخانية الشحروعمان ، وهي حذف بعض الحروف اللينة فيقولون « مشا الله » في « ما شاء الله » .

٦ — ططممانية حمير : والطمطمة أن يكون الكلام مشبها لكلام العجم . والطمطمانية هي : ابدال لام التعريف ميما ، ومن ذلك « ليس من أمبر أمصيام في أمسفر . وفي اللغة : الطمطم والطمطماني : الذي في لسانه عجمة والعبي الذي لا يفصح .

٧ — فحفحة هذيل وهي قلب الحاء عينا مثل « عتي » في « حتى » .

٨ — عجمجة قضاة (١) وهي قلب الياء المتطرفة بعد عين جيما مثل « الساعج » في « الساعي » .

٩ — غمغمة قضاة وهي اخفاء المحروف عند الكلام فلا تكاد تظهر

١٠ — عنعنة تميم وقيس وهي جعل الهمزة المبدوء بها عينا مثل « عننت

كريم ، في د انت كريم ، ..والفرنج يعكسون فيقلبون العين همزة فيقولون في
على د ألي ، .

١١ — الاستنطاء في لغة سعد والأزد وقيس والانصار وهو قلب العين
الساكنة نونا قبل الطاء نحو د أنطى ، في أعطى .

١٢ — تلتلة بهراء من تميم وينسبها ابن فارس إلى أسد وغيرهم وهي كسر
أحرف المضارعة ، وقيل كسر تاء تفعلون .

١٣ — وهم كلب وهو كسر هاء الغيبة إذا لم يكن قبلها ياء ساكنة ولا
كسرة مثل منهم وعنهم .

١٤ — وكم ربعة وهو كسر كاف الخطاب في الجمع قبل ياء أو كسرة
مثل د عليكم ، .

١٥ — وتم الين : وهو ابدال السين المهملة تاء مثل الثات في الناس .

ج — على أن هناك اختلافات أخرى في اللهجات منها :

١ — ابدال التاء هاء وعكسه في الوقف عند طى فيقول في فاطمة
د فاطمت ، وفي د نعمت ، د نعمه .

٢ — ابدال الياء ميما وعكسه مثل د باسمك ، مكان د ما اسمك ، ود مكر ،
مكان د بكر ، ، وهو لغة د مازن ، ومنها آثار في لهجة أهل مديرية الدقهلية
وبعض الغربية حديثا في مصر .

٣ — وابدال الحاء هاء مثل د مدهته ، في مدحته .

خصائص اللغة العربية :

تمتاز اللغة العربية بما يأتي :

١ — ثروتها اللغوية ، ففيها أسماء لكل ما تقع عليه العين أو تسمعه

الأذن أو يجول في الخاطر .

٢ - صيغ المشاركة ، كتخاصموا وتحاجوا ، فهي خاصة باللغة العربية ولا توجد في اللغات الأخرى .

٣ - الاعراب ويشاركها فيه كما يقول جورجى زيدان الحبشية والألمانية وكادت الألمانية تتخلص منه ، ويلاحظ أن العربية العامية تخلصت من الاعراب .

٤ - الإيجاز فهو فيها أوضح .

٥ - المجاز والاشتقاق وهما كذلك ظاهراً في اللغة العربية .

٦ - الاشتراك وهو دلالة اللفظ الواحد على أكثر من معنى كالعين

للإه والذهب والفضة وللبصر ، وهو خاص باللغة العربية . ومنشؤه على الأرجح تعدد القبائل فيكون اللفظ بمعنى عند قبيلة وهو بمعنى آخر عند قبيلة أخرى . وقرائن الكلام والأسلوب توضيح المراد من اللفظ .

٧ - التضاد : وهو أن يدل اللفظ على معنيين متضادين كجلل للعظيم والحقير (١) . ومنشؤه كذلك تعدد القبائل ، فتضع قبيلة اللفظ لمعنى ، وتضعه أخرى لضده .

والقرينة فيه أيضاً هي التي ترشد إلى المراد .

عوامل نمو اللغة :

وأسباب نمو اللغة كثيرة منها :

(١) وكلفظ الجون للابيض والأسود ، ولفظ الوثب للقفود في لغة حمير . ويروى في أصل المثل « من دخل ظفار حمر » أن اعرابياً دخل على ملك من ملوك حمير فقال له الملك : « ثب » يريد : اقعد بلغة حمير ، فوثب الاعرابي ، فسأل الملك عن ذلك ف قيل له أن الوثب بلغة العرب هكذا ، فقال أما إنه ليست عندنا عربية من دخل ظفار حمر ، أى تكلم بلغة حمير ، وهذا المثل صار يضرب لمن يدخل في القوم فيأخذ برؤسهم .

١ - الاشتقاق : وهو أخذ كلمة من أخرى مع تشابه في المعنى واتفاق في الأحرف الأصلية وفي ترتيبها . وذلك كأكرم يكرم الخ وهو قياسى . وأصل الاشتقاق المصدر أو الفعل على خلاف في ذلك ، ويشتق من أسماء الأجناس كتذأب الرجل واستأسد . وهذا النوع من الاشتقاق سماعى والمراد بالاشتقاق هنا الاشتقاق الصغير طبعاً .

٢ - المجاز ، وبه يتسع التعبير ، وتظهر البلاغة ، ويتنوع البيان .
٣ - التعريب وهو نقل اللفظ من العجمية إلى العربية (١) ، وفي القرآن ألفاظ معربة كسجيل ومشكاة وأباريق واستبرق ويم وطور ، وأنكر ذلك أبو عبيدة . وجمع آخرون بين الرأيين بأن الألفاظ أعجمية بحسب الأصل ثم صارت عربية .

وقد نشأ التعريب في اللغة العربية بمجاورة العرب في الجاهلية لسواهم من الأمم كالفرس والروم وباختلاطهم بهم في التجارة والحروب والبعوث الدينية وغير ذلك .

٤ - النحت : وهو أخذ كلمة من كلمتين فأكثر للدلالة بها على معنى ما نحتت منه « كحمدل في » الحمد لله ، « وبسمل » في « بسم الله » وعبشمى في « عبد شمس » وفائدته الاختصار وزيادة ثروة اللغة وسهولة النطق .

وهو غير قياسى إلا عند ابن فارس ، ومن الألفاظ المنحوتة المولدة : الفذلكة
٥ - الترادف (٢) :

وهو توارد لفظين أو أكثر على معنى واحد كالبر والقمح والليث والأسد وينكر بعض الباحثين الترادف في اللغة العربية بدعوى أن كل لفظ

(١) ٣ شفاء الخليل للخفاجى ط ١٢٨٢

(٢) راجع ٣٠٣ / ١ مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية ط ١٩٣٥

من المترادفات يفيد مالا يفيد الآخر والصحيح أنه ورد في اللغة .

والترادف وسيلة للتعبير والايضاح والبلاغة وهو ثروة في اللغة وسهولة في النطق .

وسبب الترادف قد يكون تعدد القبائل فتضع قبيلة اسما للشيء وتضع أخرى اسماً آخر له ؛ وقد يكون اختلاف صفات الشيء ، ويرى ابن جني أنه لا مانع من أن تضع القبيلة للمعنى الواحد ألفاظا كثيرة . ويروى أن الرسول (ص) قال لأبي هريرة - وكان من قبيلة دوس - : ناولني السكين ، فلم يفهم أبو هريرة حتى أشار اليها الرسول (ص) فقال : ألمدية تريد ؟ فقيل له نعم فقال : أو تسمى عندكم سكيناً ؟ ثم قال : والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ .

٦ - الابدال :

وهو جعل حرف مكان حرف يقرب منه مخرجا غالبا .
وهو عظيم الأثر في زيادة ثروة اللغة . كمدح ومدح .
ومنشؤه تعدد اللغات ووضع القبائل ، أو تعدد الوضع من القبيلة الواحدة ومن أمثلته : لطم ولد ، ولثم أنفه ورثمه . فاللطم : الضرب بالكف مفتوحة ، واللطم : الضرب بشيء ثقیل يسمع صوته . ولثم أنفه : لثمه . ورثمه : كسره .

٧ - القلب :

وهو تقديم حرف أو تأخيره من حروف اللفظ الواحد مع المحافظة على معناه أو انحرافه قليلا عن أصله .

وهو الاشتقاق الكبير . ومثاله : سبك وسكب ، وجذب وجبذ وهكذا وسببه التحريف أو اختلاف اللهجات أو استعمال القبيلة لهما فيما لهما مصدر واحد .

فالقلب وروده في اللغة مسلم ، وهو رأى اللغويين والكوفيين ، ويرى

ابن درستويه أن مثل هذا لا يسمى قلباً لأن كل لفظ موضوع على حدة وذلك بسبب تعدد وضع القبائل .

ويرى آخرون أن ما كان له أصل واحد كان من القلب مثل آيس ويئس وما كان له أصلان معروفان فهو من تعدد اللغات مثل جذب وجذب وهو مذهب البصريين .

فصاحة لغة قريش :

١ — وبعد فاللغة العدنانية كما سادت على جميع لهجات العرب ، كذلك سادت لهجة قريش على جميع اللهجات العدنانية ، بما كانت تضيفه إلى لغتها دائماً من ثروة لغوية يفضل ما أفادته من ذوق لغوي في رحلاتها التجارية وفي مواسم الحج وفي الاجتماعات العربية في الأسواق وسواها .
ثم جاء القرآن الكريم بلغة قريش فتم لها السيادة على جميع لهجات العرب .

وقال معاوية يوماً لجلسائه : أي الناس أفصح ؟ فقال رجل من السماط يا أمير المؤمنين : قوم قد ارتفعوا عن رثة العراق ، وتياسروا عن كساسة بكر ، وتيامنوا عن قشقشة تغلب ليس فيهم غمغمة قضاة ، ولا طمطممانية حمير . قال : من هم ؟ قال : قومك يا أمير المؤمنين قريش . قال : صدقت ، فمن أنت ؟ قال من جرم . قال الأصمعي : جرم فصحاء الناس . وبحق كانت قريش أفصح العرب كما يقول الجاحظ (١٢٧ / ٣ البيان والتبيين) .

٢ — وكانت قريش تسمى آل الله وجيران الله وسكان الله واكتسبوا منزلة دينية وسياسية واجتماعية وأدبية كبيرة مما جعل في العصر الجاهلي للغتهم السيادة والغلبة والذوق .

ويقول عبد المطلب بن هاشم :

نحن آل الله في ذمته لم نزل فينا على عهد قدم

لم تزل لله فينا حرمة يدفع الله بها عنا النقم
ويقول عمر بن عتبة : « إن كلامنا كلام يقل لفظه ويكثر معناه ويكتفى
بأولاه ويستشفى بأخراه يتحدر تحدر الزلال على السكب الحراء ، والله قوم أدركتهم
كأنما خلقوا لتحسين ما قبحت الدنيا ، سهلت ألفاظهم كما سهلت عليهم أنفاسهم »
وقال أبو الحسن : أسرع الناس جوابا عند البديهة قریش ثم بقية العرب

اللغة العربية ومنزلتها بعد نزول القرآن

وقد انتشرت اللغة العربية بعد نزول القرآن والفتح الاسلامي في جميع
أرجاء العالم ، وأصبح يلهج بها بعد قرن سكان سوريا ومصر وفلسطين
وأفريقية الشمالية . وكان الاغريق قد سيطروا من قبل على الشرق الأدنى ،
لكن سكانه ظلوا يتكلمون لغاتهم الأصلية منذ فتوح الاسكندر إلى الفتح
العربي . ولم تعد اللغة اليونانية خلال عشرة قرون ان تكون لغة الطبقة
المثقفة التي تبحث في السياسة والعلوم والآداب .

وحدث بعد مرور قرنين على الفتح العربي ان أعرضت كل هذه الشعوب
عن لغاتها الوطنية واعتنقت العربية ، حتى ان المتكلمين بالعربية زاد عددهم
عن عدد المتكلمين بالسريانية في القرن الثالث الهجري .

وقال الدكتور طه حسين في محاضرة له : ان اللغة العربية مميزة لا توجد
في اللغة اليونانية ، وهي قوتها وجاذبيتها وقدرتها على زحزحة اللغات الوطنية
والتركيز محلها ، وهي في العالم الشرقي تشبه اللاتينية في أوروبا الغربية . وقد
فعلت في الشرق الأدنى وأفريقيا الشمالية وأسبانيا ما فعلته اللاتينية في أوروبا
الغربية ، فللغتين إذا القوة نفسها والمهمة نفسها .

ثم قال : ان أثر الثقافة اليونانية يومئذ لم يكن عميقا ، وأن أولى الخدمات
التي أدتها اللغة العربية للمدنية العالمية ، ولعلها أعظمها ، هي أنها سهلت للثقافة

اليونانية الاتصال بمختلف طبقات الشعب في الشرق الأدنى . ولهذا التعمق في الثقافة اليونانية أهميته الخاصة نظرا إلى أثر هذه الثقافة في العالم . فاللغة العربية لغة عالمية عملت على التعاون بين الأمم والشعوب وهذه اللغة التي تكلمت بها شعوب الشرق الأدنى في أقل من قرنين انتشرت أيضا في إيران والهند والشرق الأقصى ، وهي وإن لم تتمكن من زحزحة لغات هذه البلاد ، إلا أنها تركت فيها الأثر البين ، وهي لغة السياسة كما أنها بصفة خاصة لغة الدين والعلوم والآداب .

وفي خلال ثلاثة قرون أعرض الإيرانيون عن أدبهم الإيراني وتأدبوا بالأدب العربي . وكثيرون من كبار شعراء العربية هم من أصل إيراني أمثال بشار وأبو العتاهية وسواهما . وهكذا تمكنت العربية ، هذه اللغة البدوية ، في بعض الوقت ، من زحزحة لغة عريقة كالإيرانية التي صمدت في وجه اللغة اليونانية .

واللغة العربية لم تقتصر على الزحزحة والاحتلال ، بل أنها أخذت تغني الشعوب التي اعتنقتها عن لغاتها الأصلية ، وقد فتحت صدرها للفلسفة اليونانية وللحكمة الهندية والإيرانية ، وللسياسة الإيرانية والمدنية اليونان والهند وإيران وأصبحت العربية لغة تعاون بين الشعوب ، وخاصة بين الذين لم يتمكنوا بغير واسطتها من الاتصال والتفاهم . واللغة العربية هي الأولى في التاريخ التي أوجدت التعاون بين العالمين الشرقي والغربي ، وهذا عمل كبير وجليل . وقد استطاعت العربية أن تحفظ مكانها بوصفها لغة مدنية في عالم اليوم عالم القرن العشرين .

الباب الثاني

النثر الجاهلي

معنى الجاهلية

يسمى العهد الذي كان قبل بعثة الرسول صلوات الله عليه العصر الجاهلي وقد وردت نصوص اسلامية كثيرة فيها لفظ « الجاهلية » . من ذلك قول عمر رضى الله : إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة ، وقول عائشة رضى الله عنها : كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء ، وقولهم : يا رسول الله كنا في جاهلية وشر ، وقالوا : شاعر جاهلي ، وقال رسول الله صلوات الله عليه أربعة في أمتي من أمر الجاهلية . كل ذلك من الجهل ، ضد العلم والمعرفة أو بمعنى السفه والطيش والآنم ، أو بمعنىهما جميعا ، ثم قيل جاهل بهذا المعنى أو ذلك أو ذلك ونسب إليه ، وأصبح ذلك علما على العصر الذي كان في شبه الجزيرة العربية قبل مبعث محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا الاسم حدث في الاسلام كما يقول ابن خالويه (١)

وسنتحدث هنا عن الأدب العربي في العصر الجاهلي وما كان عليه شعرا ونثرا ، وعن أعلام الادب وحياتهم وأدبهم .

الشعر والنثر

١ - والادب الجاهلي ، أو قل الادب على الاطلاق . قسمان : شعر ونثر

فالشعر هو الكلام الموزون المقفى ، والنثر هو ما خلا من الوزن والتقفية

(١) راجع ص ١٥ من كتاب عادات العرب في جاهليتهم ط القاهرة ١٩٢٤

وراجع في هذا البحث الشهاب الراصد ص ٤٩ ط ١٩٢٦

والشعر يعتمد على الخيال والعاطفة ، ويشير الشعور والوجدان ، والنثر غالبا مما يعتمد على الحقائق ويركن إلى صدق التعبير ، وقد يعتمد على الخيال ويتعمد إثارة العواطف ، ويصاغ في أساليب شبيهة بأساليب الشعر فيسمى شعرا منتورا .

٢ - والنثر نوعان : أحدهما ما يدور في كلامنا المألوف إذا تحدث الناس بعضهم إلى بعض في حاجاتهم ومصالحهم فيرسلونه إرسالا على سجيتهم وعلى ما تدعو إليه الحاجة والمصلحة ، وهذا ما نسميه لغة التخاطب ، وهذا لا يعنى به الادب وليس قسما منه ، فليس شعرا ، وهو في الوقت نفسه ليس هو النثر الذى يحفظ ويروى ويتأدب به الذى هو أحد قسمي الادب ، وإنما هو كلام عادى لم يقصد أصحابه فيه غالبا إلى الاجادة ولا إلى جمال قى وإنما أرادوا تأدية ما في نفوسهم من المعانى وتحقيق ما تقتضيه منافعهم من الاغراض .

والثانى هو ما يسمى نثرا فنيا وهو ما حوى أفكارا منظمة ، في عرض جميل جذاب وصياغة جيدة السبك فصيحة الاسلوب ، وهذا هو الذى يعد قسيما للشعر في باب الادب ، وأهم أنواعه : الخطابة ، والكتابة الفنية . والكتابة عند الاوربيين : وصف أو قصص ، وعند العرب : رسائل وقصص ومناظرة وجدل وتاريخ .

وسنتكلم على مظاهر الأدب في العصر الجاهلي بالتفصيل

٣ - ولكن هل الشعر هو السابق في النشأة الأدبية أو النثر الفني ؟

يرى الدكتور طه حسين ومن اتبعه مقلدين في ذلك بعض المستشرقين كالمسيو مرسيه الفرنسى أن الشعر أسبق في الوجود من النثر الفني (١) . ويستدلون على ذلك بما يأتي (٢) :

(١) راجع ص ١/٣٣ النثر الفني لوكي مبارك

(٢) ص ١٠ - ١٢ ، ١٧٣ وما بعدها التوجيه الادبى ط ١٩٤٠ . الباب السابع =

١ - الشعر في آداب الأمم الأوربية سابق على النثر فعند اليونان كانت قصائد هوميروس تنشد ويتغنى بها قبل أن يؤلف كتاب أو يظهر نثر فني ، وفي الأدب الانكليزي ترى أن أقدم الآثار الأدبية عند الانكليز القدماء القصائد التي تصف أعمال «بيولف» وهي ترجع إلى القرن السادس أو السابع الميلادي . فقد ظلت الأمم تتمتع بأدب الشعر قبل أن ينشأ فيها أدب النثر .

ب - كثرة الشعراء في العهد الأول لأدب أي أمة من الأمم وزيادتهم زيادة بينة على كتاب النثر .

ح - ومن أقوى الأسباب التي قدمت نشأة الشعر على نشأة النثر في رأيهم أن الأدب المنشور يتطلب معرفة بالكتابة والكتابة متأخرة في تاريخ كل أمة فقصاصد هوميروس انتشرت وذاعت وتناقلها الناس قبل أن تذيع الكتابة وكذلك روى الرواة الشعر العربي القديم قبل أن تذيع الكتابة ، ومنشأ الأدب المنشور لا بد له من تدوين ما يخطر له

د - الشعر يعتمد على الخيال في حين يعتمد النثر الفنى على المنطق والتفكير والخيال يسبق التفكير في حياة الأفراد والجماعات .

هـ - الجماعات الساذجة نجد عندها كلاما موزونا دون أن نجد عندها نثرا فنيا صحيحا .

و - الشعر متصل بالغناء فالناس يغنون شعرا قبل أن يغنوا نثرا لأنهم يجدون في الشعر أوزانا تلائم تقطيع الغناء وأنغامه (١)

= من كتاب أصول النقد الادبي للشايب ، ٣٦٤ - ٣٦٨ من كتاب الادب الجاهلي لطفه حسين . وراجع في ذلك البحث : الطبع والصفة للبهياوى و ٣٧ / ١ الحيوان للجاحظ .

(١) ويبدو لي أن نظرية سبق الشعر للنثر أخذها المستشرقون من كتاب الشعر لارسطو ففي الشفاء - فن الشعر - ما نصه . التخيل أسبق في الزمن من التصديق فالناس أول ما يسمعون انما يسمعون الامثال الشعرية التي فيها مشاكلة للاقاويل =

أما الدليل الأول فلا يدل على شيء ، بل هو إن دل فانما يدل على ضياع النثر لعدم تدوينه وبقاء الشعر لأنه يعلق بالحافظة ويخلد بالرواية .

ومن أجل ذلك بقي الشعر وأخبار الشعراء معروفة لم يحف عليها النسيان وهو السبب في كثرة الشعراء في العصور الأولى من عصور آداب الأمم كثرة كبيرة في زيادتهم على الكتاب ورجال النثر وبذلك نجد الدليل الثاني منهجاً .

ولعدم وجود الكتابة في العصور القديمة التي هي وسيلة لتخليد النثر الفني ضاع أغلب ما لدى الأمم من نثر فني ، فكيف إذا يستدلون على سبق الشعر للنثر باحتياج الأدب المنشور للكتابة في تدوينه ، وبذلك تجد الدليل الثالث لا يكاد يسير نحو الهدف خطوة واحدة .

وزعمهم أن الشعر يعتمد على الخيال والنثر على المنطق والتفكير صحيح في الأول مبالغ فيه في الثاني ، فلم يكون النثر الفني في بدء نشأته قد اعتمد على الخيال أيضاً كالشعر ، ولم لا يكون هذا النثر قد اعتمد على المنطق والتفكير على حسب عقلية الأمة وثقافتها ومقدار تفكيرها في هذه العصور القديمة . وبذلك نجد الدليل الرابع لا يؤدي إلى غاية .

وأما أن الأمم التي لم تصعد درجة في الحضارة لها شعر وليس لها نثر فني فخطأ في الرأي ، فإن هذه الجماعات الساذجة يوجد بجانب مألدها من شعر نثر فني ملائم لعقلياتهم ومظهره الأمثال والحكم والتجارب والنصائح ، وذلك يشاهد كثيراً في بيئتنا المصرية العامة التي يمثل بها هؤلاء تأييداً لرأيهم من سبق الشعر للنثر وبذلك لا يمكننا التعويل على الدليل الخامس .

وأما أن الشعر غني من قديم قبل أن يغتوا نثراً فمنشأ ذلك أن الشعر أصلاح

للغناء من النثر لموسيقاه وقافيته ، فكيف يتركونه ويغنونه بنثر فنى لا يلائم الغناء .

والحق أن النثر وجد أولاً ثم تحول إلى النثر الفنى ، ثم نشأ بعد ذلك الشعر ، ويؤيد هذا رأى إجماع كثير من المستشرقين على أن السجع كان المرحلة الأولى التى عبرها النثر إلى الشعر فى الأدب العربى القديم .

ويؤيده أيضاً وجود الكتب الدينية السماوية من قديم الأجيال فى الأمم التى أنزلت لها ، وذلك قبل أن نسمع بالشعر والشعراء . ولعل هذه الكتب هى التى أدت إلى نشأة النثر الفنى فى العصور القديمة البعيدة قبل أن يوجد الشعر بزمان طويل .

ويؤيده أيضاً إجماع الباحثين أو شبه إجماعهم على أن النثر أسبق من الشعر (١) .

٤ — وبعد فالنثر مرسل ومزدوج ومسجوع .

فالمسجوع كما فى سورة الكوثر ، والسجع هو ما أتحدت فاصلته أو فواصله فى الحرف الأخير مثل : من عاش مات ، ومن مات فات .

والمزدوج هو ما أتحدت فواصله فى وزنها لافى الحرف الأخير منها - مما نسميه تقفية .. مثل قوله تعالى : ونمارق مصفوفة ؛ وزرابى مبثوثة .

والمرسل هو ما خلعت فواصله من الاتحاد فى الوزن والقافية معا مثل : « لا يلاف قريش ، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف »

٥ — هذا وينكر بعض المستشرقين ومن تابعهم وجود نثر فنى جاهلى لأن عيشة العرب الأولين لم تكن توجد النثر الفنى لأنه لغة العقل ، على حين سمحت بالشعر لأنه لغة الخيال والعاطفة ، وهذا رأى خطأ ، بدليل ما يأتى :

ا - كان عند كثير من الأمم القديمة كالفرس والهنود وقدماء المصريين نثر فني قبل الميلاد بكثير فلم لا يكون للعرب نثر فني بعد الميلاد بخمسة قرون؟

ب - وجود الكتب الدينية يستدعي وجود نثر فني

ج - بقاء بعض من النثر الجاهلي في مصادر الأدب العربي وأمهات كتبه كالآغاني والأمالى وسواهما ، أما الكثير منه فقد ضاع لعدم تدوينه بالكتابة التي لم تكن معروفة في الجاهلية إلا للقليل النادر من الناس .

٦ - هذا والنثر الجاهلي ينقسم إلى أمثال وحكم ووصايا ، وخطب ، ومنافرات ، ومغامرات ، ومحاورات ، ونثر الكهان .

وسنتكلم على كل هذه الألوان الأدبية ان شاء الله تعالى (١)

١ -

٢ -

٣ -

٤ -

(١) راجع ٣٦٤ - ٣٧٥ الادب الجاهلي لطف حسين في الكلام على النثر الجاهلي . و ص ٨٦ - ١١٣ من كتاب الاسلوب للشايب في الكلام على أساليب النثر . والباب السابع في النثر من كتاب أصول النقد الأدبي للشايب .

ميزات النثر الجاهلي

في معانيه ومبانيه وأساليبه

معاني النثر الجاهلي :

يمتاز النثر الجاهلي في معانيه بما يأتي :

- ١ — الصدق والسذاجة والبساطة وعدم المبالغة أو الغلو
- ٢ — عدم التعمق في المعاني أو تعقيدها أو التركيب والمزج بينها ، لأنهم كانوا في بدوة تامة في حياتهم وتفكيرهم وكل شئون معيشتهم
- ٣ — معانيهم مستمدة من بيئتهم وحياتهم ، ومنطلقة مع الحرية التي ألفتهم وألفوها وهي بدوية كلون حياتهم ، تنطق عن فطرة البدوة وتفكيرها وإحساسها

٤ — كثرة الحكم والأمثال في نثرهم

٥ — تفكك المعاني وكثرة الانتقال بينها

أغراض النثر الجاهلي :

وأغراض النثر الجاهلي تشمل ما يأتي :

١ — الدعوة إلى الانتقام والأخذ بالثأر وإشعال نار الحرب . أو الدعوة إلى الصلح والسلام

٢ — المفاخرة والمنافرة والمحاوره والكهانة

٣ — وصف مشاهد الحياة ومظاهرها في الصحراء

٤ — التوصية بفعل خير أو إسداء معروف أو سلوك نهج محمود أو

بعد عن خطية مذمومة

امثلة للنثر الفني

في العصر الجاهلي

١ — من النثر الفني في العصر الجاهلي هذه القطعة التي رواها القائل عن ابن السكبي عن أبيه قال (١) :

كان قيل من أقيال حمير منع الولد دهرًا ، ثم ولدت له بنت ، فبنى لها قصرًا منيفًا بعيدًا من الناس ، ووكّل بها نساء من بنات الأقيال يخدمنها ويؤدبنها ، حتى بلغت مبلغ النساء ، فنشأت أحسن منشأ وأتمه في عقلها وكماها فلها مات أبوها ملكها أهل مخالفا (٢) ، فاصطنعت النسوة اللواتي ربينها وأحسنن إليهن وكانت تشاورهن ولا تقطع أمرًا دونهن . فقلن لها يوما : يا بنت الكرام لو تزوجت لثم لك الملك ، فقالت : وما الزوج ؟ فقالت إحداهن : الزوج عز في الشدائد ، وفي الخطوب مساعد ، إن غضبت عطف ، وإن مرضت لطف . قالت : نعم الشيء هذا فقالت الثانية : الزوج شعاري حين أصرد (٣) ؛ ومتكئ حين أرقد ، وأنسى حين أفرد ، فقالت : إن هذا من كمال طيب العيش إلى آخر هذه القطعة الطويلة الجميلة الساحرة

٢ — وعن أبي عبيدة قال (٤) :

كان قيس بن رفاعه يقدسه إلى النعمان اللخمي بالعراق وسنة إلى الحارث ابن أبي شمر الغساني بالشام ، فقال له يوما وهو عنده : يا ابن رفاعه ، بلغني أنك تفضل النعمان علي ، قال : وكيف أفضله عليك أبيت اللعن ؟ فوالله لقفاك أحسن من وجهه ، ولأملك أشرف من أبيه ، ولأبوك أشرف من قومه ، ولشمالك أجود من يمينه ؛ ولحرمانك أنفع من نداءه ؛ ولقليلك أكثر

من كثيره ، ولكرسيك أرفع من سريريه ، ولجدولك أغمر من بحوره ،
وليومك أفضل من شهوره ، ولزندك أوري من زنده ، ولجندك أعز من
جنده ، وإنك لمن غسان أرباب الملوك ، وإنه لمن لحم الكثيرى النوك (١)
فكيف أفضله عليك ؟

٣ — وعن العباس بن هشام عن أبيه قال (٢) :

كان قس بن ساعدة يفد على قيصر ويزوره ، فقال له قيصر يوما :
ما أفضل العقل ؟ قال : معرفة المرء بنفسه ، قال : فما أفضل العلم ؟ قال :
وقوف المرء عند علمه ، قال : فما أفضل المروءة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء
وجهه ، قال : فما أفضل المال ؟ قال : ما قضى به الحقوق

٤ — ومن المثل كذلك ما قالته وفود العرب في تعزية سلامة ذى فائش
بابنه (٣) ومنها :

قال الملب : أيها الملك ، إن الدنيا تجود لتسلب ، وتعطى لتأخذ ، وتجمع
لتشتت ، وتحلى لتمر ، وتزرع الأحزان في القلوب بما تفجأ به من استرداد
الموهوب . وقد تناهت إليك أنباء من رزى فصبر ، وأصيب فاغتر الخ

٥ — واجتمع (٤) عامر بن الظرب العدواني وحممة بن رافع الدوسي (٥)
عند ملك من حمير فقال : تساءلا حتى أسمع ما تقولان ، فقال عامر لحممة :
من أجدر الناس بالصنيعة ؟ قال : من إذا أعطى شكر ، وإذا منع عذر ،
وإذا موطن صبر ، وإذا قدم العهد ذكر ، قال : من أكرم الناس عشرة ؟
قال : من إن قرب منح ، وإن بعد مرح ، وإن ظلم صفح ، وإن ضويق سمح

(١) أى الحق (٢) ٢/٣٧ الأمالى (٣) ٢/٩٩ الأمالى

(٤) ٢/٢٧٦ الأمالى

(٥) وكان ابنه عمرو أحد من تتحاكم اليه العرب (٢/١٤٣ الأمالى)

قال : من أحكم الناس ؟ قال : من صمت فادكر ، ونظر فاعتبر ، ووعظ فازدجر الخ

٥ - وكان هودذة بن علي الحنفي يجير لطيمة كسرى في كل عام (واللطيمة عير تحمل الطيب والبن) فوفد علي كسرى ، فسأله عن بنيه ، فسمى له عددا . فقال : أيهم أحب إليك ؟ قال : الصغير حتى يكبر ، والغائب حتى يرجع ، والمريض حتى يفيق ، فقال له : ما غداؤك في بلدك ؟ قال : الخبز . فقال كسرى لجلسائه : هذا عقل الخبز ، يفضل على عقول أهل البوادي الذين غداؤهم اللبن والتمر (١)

٦ - وخطب عمرو بن حجر إلى عوف بن محلم الشيباني ابنته فقال : نعم أزوجكها على أن اسمي بنيتها وأزوج بناتها . فقال عمرو : أما بنونا فنقسمهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا ، وأما بناتنا فنزوجهن أكفأنا من الملوك ، ولكنني أصدقها عقارا في كندة ، وأمنحها حاجات قومها ، لا ترد لأحد منهم حاجة . فقبل ذلك منه أبوها فلما كان بناؤها به ، خلت بها أمها فقالت :

« أي بنية ، انك فارقت بيتك الذي منه خرجت ، وعشك الذي فيه درجت ، إلى رجل لم تعرفه ، وقرين لم تألفه ، فكوني له أمة يكن لك عبدا ، واحفظي له خصلا عشرا يكن لك ذخرا ، أما الأولى والثانية فالحشوع له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة ، وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لموضع عينه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه ، فان تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة ، وأما السابعة والثامنة فالاحتراس بماله والارعاء على حشمه وعياله ، وملاك الأمر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصن له أمراً ، ولا تفشن له سرا ، فانك إن عصيت أمره أو غرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمن غدره ، ثم إياك

والفرح بين يديه إذا كان مهتماً والكآبة بين يديه إذا كان فرحاً . فولدت له
الحارث بن عمرو جد امرئ القيس الشاعر (١)

٧ — وذكروا أن هند بنت عتبة قالت لأبيها : لا تزوجني من أحد حتى
تعرض علي أمره وتبين لي خصاله ، فخطبها أبو سفيان وسهيل بن عمرو فدخل
عليها أبوها يقول

أتاك سهيل وابن حرب وفيهما رضا لك ياهند الهنود ومقنع
وما منهما إلا يواسي بفضله وما منهما إلا يضر وينفع
وما منهما إلا كريم مرزأ وما منهما إلا أغر سميدع
فدونك فاخترى فأنت بصيرة ولا تخدعي إن المخادع يخدع
قالت : يا أبت والله ما أصنع بهذا شيئاً ، ولكن فسر لي أمرهما ، وبين
لي خصالهما ، حتى اختار أشدهما موافقة لي ، فبدأ بذكر سهيل ، فقال : في
ثروة وسعة من العيش ان تابعته تابعك ، وإن مات عنه حط اليك ، تحكمين
عليه في أهله وماله . وأما الآخر : فهو وسع عليه ، منظور إليه في الحسب
الحسيب ، والرأى الأريب ، مدره أرومته ، وعز عشيرته ، شديد الغيرة ،
كبير الطهرة . فقالت : يا أبت الأول سيد مضياع للحررة ، فما عست أن تلين
بعد إبانها ، وتضيع تحت جناحه ، إذا تابعها بعلمها فأشرت ، وخافها أهلها
فأمنت ، فساء عند ذلك حالها ، وقبح دلالها ، فإن جاءت بولد أحمقت ، وإن
أنجبت فعن خطأ ما أنجبت ، فاطو ذكر هذا عني ، ولا تسمه علي بعد . وأما
الآخر فبعل الفتاة الخريدة ، الحررة العفيفة ، وإني لأخلاق مثل هذا لموافقة .
فزوجنيه . فزوجها من أبي سفيان (٢)

اقسام النثر

١ - الحكم والأمثال

نماذج لهما :

١ - من حكماء العرب أكرم بن صيفي التميمي ، ومن حكمه : رب عجلة تهب ريشا . رضا جميع الناس غاية لا تدرك آفة الرأي الهوى . من يزر غبا يزدد حبا . من سأل فوق قدره استحق الحرمان . لم يذهب من مالك ما وعظك ويلي للشجى من الخلى . مقتل الرجل بين فكليه . قبل الرماء تملأ السكنان (١)

٢ - ومن حكمائهم : ذو الأصبع العدواني ، وعامر بن الظرب وقس بن ساعدة ، وحاجب بن زرارة ، وهاشم بن عبد مناف ، وعبد المطلب بن هاشم وهند بنت الحس . وسواهم ولا داعي لذكر أمثلة لحكماتهم . ومن أقدم حكمائهم لقمان المشهور (٢) ومن حكمه : رب أخ لك لم تلده أمك . الصمت حكم وقليل فاعله . آخر الدواء الكى . وكان عمرو بن جمجمة الدوسى أحد من تتجأكم إليه العرب (٣) .

٣ - ومن حكمهم : العتاب قبل العقاب . كالم اللسان أنكى من كالم السنان أول الحزم المشورة . أنجز حر ما وعده . اترك الشر يتركك . رب ملوم لا ذنب له . من مأمنه يؤقى الحذر .

(١) راجع ص ٢١٦ مغراج البيان . وراجع أمثال أكرم بن صيفي وبزرجمهر في العقد ص ٦٢ ج ٢

(٢) يتنازعه العرب والحبشة والمصريون واليهود وراجع الحديث عنه في الجزء الثانى من الشريشى

(٣) ١٤٣ / ٢ الأمالى .

٤ — ومن أمثالهم :

ان العوان لاتعلم الخمرة (١)

ان البلاء موكل بالمنطق (٢)

إن أخاك من اساك .

سبق السيف العذل (٣)

عينك عبرى والفؤاد فى دد . الدر اللهو (٤)

عند جهينة الخبر اليقين .

مايوم حليلة يسر (٥)

أحشفا وسوء كيلة — يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين

نفس عصام سودت عصاما (٦)

الصيف ضيعت اللبن

كالمستجير من الرمضاء بالنار

رجع بخفى حنين

اليوم خمر وغدا أمر (٧)

إلى غير ذلك (٨)

(١) العوان النصف التى بلغت مبلغ النساء . والخمرة : لبس الخمار . يضرب للعالم بالأمر المجرب له .

(٢) ينسب لآبى بكر قاله حين أمر الرسول أن يعرض نفسه على القبائل ويضرب لمن يتورط بقوله فيما يؤذيه .

(٣) يضرب فى الخطأ يلام فاعله بعد وقوعه .

(٤) يضرب لمن يظهر خلاف ما يبطن .

(٥) حليلة بنت ملك غسان . يضرب للامر المشهور الذى لا يكاد يحمل .

(٦) يضرب فى سؤدد الرجل بنفسه

(٧) يضرب فى تقلب الايام

(٨) راجع ٢٢٤ وما بعدها معراج البيان ، وراجع كتاب الامثال للبيداني

٥ — وقد يتمثل بالأمثال على لسان طائر أو حيوان أو نبات أو جماد
تسلية وفكاهة أو خوفا وحذرا من استبداد مستبد أو استطرافا وروعة أو
وضعا للحكمة في موضع الأمر المشهور المسلم به من كل شيء . ويمثل ذلك
كليلة ودمنة وفاكة الخلفاء وسواهما
ومن ذلك :

في بيته يؤتى الحكم (١)

كيف أعادوك وهذا أثر فأسك (٢)

الى غير ذلك

ماهى الحكمة :

والحكمة قول بليغ موجز صائب يصدر عن عقل وتجربة وخيرة بالحياة
ويتضمن حكما مسلما فى أمر بخير أو نهى عن شر . وقد كثرت الحكم
والحكما فى الجاهلية (٣) وكان فى كل قبيلة حكيم تفرع اليه فى الشدائد
والمعضلات والمنافرات والخصومات .

(١) قالوا : إن الأرنب النقطت ثمرة فاختملسها الشعلب وأكلها فانطلقا يتخاصمان
إلى الضب فقالت الأرنب يا أبا الحسل . قال . سمعنا دعوت . قالت . أتيتناك
لنختصم اليك . قال . عادلا حكمتما . قالت : فاخرج إلينا . قال : فى بيت يؤتى
الحكم . قالت : إني وجدت ثمرة . قال : حلوة تسكليها . قالت . فاختملسها الشعلب
قال . لنفسه بغى الخير . قالت . فلطمته . قال . بحقك أخذت . قالت . فلطمنى
قال . حر انتصر . قالت . فاقض بيننا . قال . قد قضيت . فذهبت أقواله كلاما مثالا

(٢) يضرب لمن لا يفي بالعهد . وهو مقول على لسان حية

(٣) وكانت هند بنت الحنس من حكميمات العرب (راجع حديثها مع أبيها

فى ص ١٠٧ ذيل الأمالى)

والحكم من البلاغة بمكان كبير لا يجازها ووضوحها وفصاحتها ودقة
معناها وروعة هدفها

وتكسب الكلام سحرا وحلاوة ، وتجعله مقبولا في الذوق قريبا إلى
القلب مسلما به من العقل والشعور والوجدان
وإذا اشتهرت الحكمة صارت مثالا

ما هو المثل ؟

والمثل قول سائر شبه مضر به بمورده ، أو قل شبه فيه حال المقول فيه
ثانيا بحال المقول فيه أولا

ويمتاز المثل بشهرته وإيجازه ورقة معناه وإصابة الغرض المنشود منه
وصدق تمثيله للحياة العامة ولأفكار الشعب على وجه الخصوص ، وهو
يكسب الكلام سحرا وروعة وجمالا وبلاغة . وتقال الأمثال الفرضية
للحذر من استبداد المستبدين وطغيانهم ، وهي وسيلة للنقد والسخرية حقا

والأمثال أصدق شيء يتحدث عن أخلاق الأمة وتفكيرها وعقليتها
وتقاليدها وعاداتها ، ويصور المجتمع وحياته وشعوره أتم تصوير ، وهي مرآة
للحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية

والأمثال يصعب عليك تمييز الجاهلي منها من الاسلامي لاختلاطهما
ببعض عند الرواة والمؤلفين ولكن ما يشير إليه المثل من حادث أو قصة أو
خبر مما يتصل بالجاهلية قد يساعد على معرفة الجاهلي منها وتمييزه
من الاسلامي

والأمثال إما حقيقية أو فرضية ، فالحقيقية لها أصل وقائلها غالباً معروف
والفرضية ما كانت من تخيل أديب ووضعها على لسان حيوان أو جماد أو
ماشاكل ذلك

والأمثال إما شعر وإما نثر ، ومثالها من الشعر :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار (١)
 أن ترد الماء بماء أوفى لا ذنب لي قد قلت للقوم استقوا (٢)
 لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها إن كنت شهما فأتبع رأسها الذنبا (٣)
 كمناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل (٤)
 وكذلك الحكم : إما نثر أو شعر . وقد سبق أمثلة لها وللأمثال من النثر
 أما الحكمة الشعرية فمن مثلها :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان
 ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أى الرجال المذهب ؟
 إذا المرء لم يبدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
 ومن لا يند عن عرضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ب - الوصايا والنصائح

نماذج :

١ - ذو الأصبع العدواني حكيم شاعر وأحد المعمرين في الجاهلية .
 قال لما احتضر يوصى ابنه أسيدا :

يا بني إن أباك قذفى وهو حى ، وعاش حتى سئم العيش ، وإنى موصيك

(١) للصمة بن عبد الله القشيري . ويضرب فى التمتع بالزائل . والعرار :
 نبت طيب الرائحة وهو النرجس البحرى

(٢) يضرب لمن لا يقبل الموعظة

(٣) هو لآبى أذينة اللخمى يحرض الأسود بن المنذر على قتل بعض أسارى
 غسان يضرب فى التحريض على استئصال شأفة الشر

(٤) يضرب لمن يحاول ما لا يستطيع فيطيب نفسه دون فائدة

بما أن حفظته بلغت في قومك ما بلغته ألن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وأبسط لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك وأكرم صغارهم، كما تكرم كبارهم، يكرمك كبارهم، ويكبر على مودتك صغارهم، واسمح بمالك، وأعزز جارك وأعن من استعان بك وأكرم ضيفك، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئاً، فبذلك يتم سؤددك

٢ — ونصح أوس بن حارثة ابنه مالكا حين حضره الموت فقال (١) :
يا مالكا المنية ولا الدنية، والعتاب قبل العقاب، والتجلد لا التبلد، واعلم أن القبر خير من الفقر، ومن كرم الكريم، الدفاع عن الحریم، ومن قل ذل، وخير الغنى القناعة، وشر الفقر الضراعة الخ

٣ — وأوصت اعرابية ولدها فقالت :
أى بنى إياك والنميمة، فاما نزرع الضغينة، وتفرق بين المحبين، وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا. وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام وقلها اعترضت السهام غرضا إلا كلمته حتى يهوى ما اشتد من قوته، وإياك والجود بدينك والبخل بما لك، وإذا هزرت فأهزز كريما يملن لهزتك، ولا تهز لئما فان الصخرة لا ينفجر ماؤها .

٤ — واقرأ وصية زهير بن جناب الكلبي لبنيه، والتي يقول منها :
يا بنى قد كبرت سننى، وبلغت حرسا (١) من دهرى، فأحكمتى التجارب والأمور تجربة واختيار، فاحفظوا عني ما أقول وعوه، إياكم والخور عند المصائب، والنواكل عند النوائب، فان ذلك داعية للغم، وشمانة للعدو، وسوء ظن بالرب الخ .

٥ — وأوصى النعمان بن ثواب العبدى ابنا له فقال :

(١) أى امرا طويلا منه .

يابني ان الصارم يذبو ، والجواد يكبو ، والاثر يعفو ، فاذا شهدت حربا
فرأيت نارها تسعر وبطلها يخطر ، وبحرها يزخر ، وضعيفها ينصر ، وجبانها
يجسر ، فأقلل المسكت والانتظار ، فان الفرار غير عار ، إذا لم تكن
طالب نار .

٦ — واقرأ وصية امرأة عوف بن محم الشيباني لابنتها أم إياس وكان
عمرو بن حجر جد امرئ القيس تزوجها ، ثم خرج بها من نادى قومها ،
فأوصتها أمها قالت :

أى بنية إنك فارقت الجو الذى منه خرجت وخلفت العش الذى فيه
درجت ، إلى وكر لم تعرفه ، وقرين لم تألفه ، فاحملى عني عشر خصال
تسكن لك ذكرا :

اصحبيه بالقناعة ، وعاشريه بحسن السمع والطاعة ، وتعهدى موقع عينه
فلا تقع عينه منك على قبس ، ثم اعرفى وقت طعامه ، واهدنى عند منامه ،
فان حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مبغضة ، ثم اتقى مع ذلك الفرح
أمامه إن كان ترحاً ، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً ، فان الخصلة الأولى
من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوفى أشد الناس له إعظاماً ، يكن
أشدهم لك إكراماً ، واعلمى انك لاتصلين إلى ماتحين حتى تؤثرى رضاه
على رضاك ، وهواه على هواك ، فيما أحببت أو كرهت . والله يخير لك .

٧ — وصية لأكرم بن صيفي

تباروا فان البريق عليه العدد ، وكفوا ألسنتكم فإن مقتل الرجل بين
فكيه ، إن قول الحق لم يدع لى صديقاً ، الصديق منجاة ، لا ينفع التوقي بما هو
واقع ، فى طلب المعالى يكون العنا ، الاقتصاد فى السعى أبقى للجمام ، أصبح
عند رأس الأمر أحب إلى من أن أصبح عند ذنبه ، لم يهلك من مالك ما وعظك
ويل لعالم أمر من جاهله ، يتشابه الأمر إذا أقبل ، وإذا أدبر عرفه الكيس
والأحمق ، البطر عند الرخاء حمق والعجز عند البلاء أمن ، لا تغضبوا من اليسير

فانه يجنى الكثير ، لا تجيئوا فيما لا تسألون عنه ، ولا تضحكوا مما لا يضحك منه ، حيلة من لا حيلة له الصبر ، إن تعيش تر مالم تره ، المكشاك كحاطب ليل من أكثر أسقط ، لا تجعلوا سرأ إلى أمة

إلى ما سوى ذلك من بليغ وصاياهم وفصيح نصائحهم المأثورة .

ماهى الوصايا :

والوصايا جمع وصية ، والوصية ما توجه الى انسان أثير لديك من ثمرة تجربة وحكمة وارشاد وتوجيه ، وكذلك النصيحة ، فعناهما متقاربان أو متحدان والوصية لون من ألوان الخطابة قاصر على الأهل والأقارب والأصدقاء . والفرق بينهما أن الوصية تكون من الرجل لقومه أو أبناءه ومن الأم لا بنتها والخطابة تكون فى المشاهد والمجامع والحروب والمعارك وفى المغامرة والمحاورة والمنافرة وفى الوفادة على ملك أو أمير وفى المواسم والاجتماعات العامة .

والوصايا كثيرة فى النثر الجاهلى ، وتمتاز بجمالها وتناسب جملها وأساليبها ورقتها وما يشيع فيها من حكمة وصدق تعبير ونفاذ فكر وثقوب نظر

ج - الخطابة فى الجاهلية

نماذج لها :

١ - خطب هانىء بن قبيصة الشيبانى فى قومه يوم ذى قار وهو يحرضهم ؛ قال :

يامعشر بكر ، هالك معذور خير من ناج فرور ، ان الحذر لا ينبجى من القدر ، وان الصبر من أسباب الظفر ، المنية ولا الدنية ، استقبال الموت خير

من استدباره . الطعن في ثغر النحور أكرم منه في الاعجاز والظهور . يا آل بكر قاتلوا فما للسيا من بد (١) .

٢ - خطبة المأمون الحارثي في نادي قومه :

قعد المأمون الحارثي في نادي قومه . فنظر الى السماء والنجوم ثم أفكر طويلا . ثم قال :

أرعوني اسماعكم ، وأصغوا إلى قلوبكم ، يبلغ الوعظ منكم حيث أريد . طمح (٢) بالآهواء الأشهر (٣) ، وران (٤) على الدلوب السكر ، وطخطخ (٥) الجهل النظر ، إن فيما نرى لمعتبراً لمن اعتبر ، أرض موضوعة . وسماء مرفوعة ، وشمس تطلع وتغرب ، ونجوم تسرى فتعزب ، وشاب مختضر (٦) ، ويفن (٧) قد غبر ، وراحلون لا يؤوبون . وموقوفون لا يفرطون ، ومطر يرسل بقدر ، فيحيي البشر ، ويورق الشجر ، ويطلع الثمر ، وينبت الزهر ، إن في ذلك لأوضح الدلائل على المدبر المقدر ، الباري المصور (٨)

٣ - خطباء العرب يعزون قيلا من أقيال حمير في ابنه :

نشأ لسلامة ذي فائش ابن كأكل أبناء المقاول (٩) ، وكان به مسرورا يرشحه لموضعه ، فركب ذات يوم فرسا صعبا ، فكسب به فوقه (١٠) ، فجزع عليه أبوه جزعا شديدا ، وامتنع من الطعام ، واحتجب عن الناس ، واجتمعت وفود العرب ببابه ليعزوه ، فخرج إلى الناس ، فقام خطباؤهم يؤسونه (١١) ، فقام الملبب بن عوف الجعفي ، فقال :

أيها الملك ، إن الدنيا تجود لتسلب ، وتعطي لتأخذ . وتجمع لتشتت ،

(١) ١/١٦٩ الأماي (٢) ارتفع وعلا (٣) البطر

(٤) غلب (٥) أظلم

(٦) أي مات حدثا صغيرا (٧) الشيخ الكبير

(٨) راجع ١/٢٧٣ الأماي . والمأمون بالنون في الأماي ، وبالراء (المأمور)

عند بعض الرواة (٩) من هم دون الملوك العظماء

(١٠) كسره (١١) يعزونه

وتحلى لتمر ، وتزرع الأحزان فى القلوب ، بما تفجأ به من استرداد الموهوب ، وكل مصيبة تخطأتك ^(١) جلال ^(٢) ، مالم تدن الأجل . وتقطع الأمل ، وإن حادثاً ألم بك ، فاستبد ^(٣) بأقلك وصفح عن أكثرك لمن أجل النعم عليك . وقد تناهت إليك أنباء من رزى فصر ، وأصيب فاعتفر . فاستشعر اليأس عما فات إذ كان ارتجاعه ممتنعاً ، ومرامه مستصعباً ، فلهى ماضربت الأسى ^(٤) . وفزع أولو الألباب إلى حسن العزاء ^(٥)

٤ - خطبة قس بن ساعدة الايادى ^(٦) فى عكاظ :

قدم وفد اباد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيكم يعرف قس ابن ساعدة الايادى قالوا : كلنا نعرفه قال : فما فعل قالوا : هلك قال : ما أنساه بسوق عكاظ فى الشهر الحرام على جمل له أحمر وهو يخطب الناس ويقول : اسمعوا ، وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، إن فى السماء خبراً ، وإن فى الأرض لعباً ، سحائب تمور ، ونجوم تغور ، فى فلك يدور ، ويقسم قس قسماً أن لله ديناً هو أرضى من دينكم هذا ، ثم قال : مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا بالاقامة فأقاموا أم تركوا فناموا ؟ أيكم يروى من شعره ، فأنشأ بعضهم :

فى الذاهبين الأولين	من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً	للموت ليس له مصادر
ورأيت قوماً نحوها	تمضى الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضى ولا	يبقى من الباقين غابر
أيقنت أنى لاحالة	حيث صار القوم صائر ^(٧)

(١) أخطأتك (٢) صغير (٣) استبد به : أى جعله نصيبه

(٤) جمع اسوة . وهى القدوة (٥) ٢/٩٩ الأمالى

(٦) تجدها فى البيان والتبيين ١/٢٠٣ ، وفى العقد ص ٣٨٥ ج ٢

(٧) ٢٦٩ و ٢٧٠ مختار العقد الفريد ط ١٩١٠

٥ - وراجع ما قيل من خطب في :

١ - وفود العرب على كسرى^(١)

ب - وفود أبي سفیان على كسرى^(٢)

ج - قریش على سيف بن ذی یزن^(٣)

د - العرب على النعمان^(٤)

٦ - ومن خطبة مرثد الخير^(٥) - وكان قتيلا من أقيال اليمن - في

سبيع بن الحارث وميثم بن مشوب بن ذی رعين ، حين تنازعا الشرف وتخاصما وخيف أن يقع بين حبيهما شر فيتفاني جذماهما^(٦)

ان التخبط^(٧) ، وامتطاء الهجاج^(٨) ، واستحقاب^(٩) اللجاج ، سيقفكما على شفا هوة ، في توردها بوار^(١٠) الاصيل^(١١) ، وانقطاع الوسيلة ، فتلافيا أمركما قبل انتهاك العهد ، وانحلال العقد ، وتشنت الألفة ، وتباين السهمة^(٢) ، وأنتما في فسحة رافهة^(٣) وقدم واطدة^(٤) . فقد عرفتم أنباء من كان قبلكم من العرب ، ممن عصى النصيح ، وخالف الرشيد ، وأصغى إلى التقاطع ، ورأيتم ما آلت إليه عواقب سوء سعيهم ، وكيف كان صيور^(٥) أمورهم

٧ - وخطب أبو طالب حين تزوج النبي صلى الله عليه وسلم السيدة

خديجة ، فقال :

(١) ١/١٦٦ العقد الفريد ط ١٩٢٨ (٢) ١/١٧٤ المرجع

(٣) ١/١٧٥ المرجع (٤) ١/٢٥٦ المرجع (٥) راجع ١/٩٢ الأمالى

(٦) الجذم : الأصل (٧) ركوب الرجل رأسه في الشر خاصة

(٨) ركب الرجل هجاجة إذا لجأ أي ركب رأسه

(٩) استفعمال من الحقيقة وهي ما يجعل الرجل فيه متاعه . وهذا مثل يريد أنه

احتزم باللجاج أو جعله في وعائه (١٠) هلاك (١١) الاصيل والأصل واحد

(٢) القرابة (٣) ناعمة (٤) ثابتة (٥) الصيور : الامر الذي يرجع إليه

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم ، وزرع اسماعيل ، وجعل لنا بلدا حراما ، وبيتا محجوجا

وجعلنا الحكم على الناس . ثم إن محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح عليه برا وفضلا ، وكرما وعقلا ، ومجدا ونبلا ، وإن كان في المال قل ، فانما المال ظل زائل ، وعارية مسترجعة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتكم من الصداق فعلى .

٨ — خطبة هاشم بن عبد مناف يحث قريشا على إكرام زوار بيت الله الحرام :

رووا أن هاشم بن عبد مناف كان يقوم أول نهار اليوم الأول من ذي الحجة ، فيسند ظهره إلى السكبة من تلقاء بابها ، فيخطب قريشا ، فيقول : يا معشر قريش ، أنتم سادة العرب ، أحسنها وجوها ، وأعظمها أحلاما ، وأوسطها أنسابا ، وأقربها أرحاما .

« يا معشر قريش ، أنتم جيران بيت الله ، أكرمكم بولايتيه ، وخصكم بجواره دون بني اسماعيل ، وحفظ منكم أحسن ما حفظ جار من جاره ، فأكرموا ضيفه ، وزوار بيته ، فإنهم يأتونكم شعثاً غبرا من كل بلد ، فوزب هذه البنية : لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتكموه ، ألا وإني مخرج من طيب مالي وحلاله ، مالم يقطع فيه رحم ، ولم يؤخذ بظلم ، ولم يدخل فيه حرام ، فواضعه ؛ فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل ، وأسألكم بجرمة هذا البيت ألا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله ومعونتهم إلا طيباً ، لم يؤخذ ظلماً ، ولم يقطع فيه رحم ، ولم يغتصب . »

٩ — خطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة :

تنافرت قريش وخزاعة إلى هاشم بن عبد مناف ؛ فخطبهم بما أذعن له الفريقان بالطاعة ، فقال في خطبته :

« أيها الناس ، نحن آل ابراهيم ، وذرية اسماعيل ، وبنو النضر بن كنانة ، وبنو قصي بن كلاب ، وأرباب مكة ، وسكان الحرم ، لنا ذروة الحسب ، ومعدن المجد ، ولكل في كل حلف ، يجب عليه نصرته ، وإجابة دعوته ، إلا مادعا إلى عقوق عشيرة ، وقطع رحم .

يابني قصي ، أنتم كغصني شجرة : أيهما كسر أو حش صاحبه ، والسيف لا يصان إلا بغمده ، ورامي العشيرة يصيبه سهمه ، ومن أحكك اللجاج أخرجه إلى البغي .

أيها الناس ، الحلم شرف ، والصبر ظفر ، والمعروف كنز ، والجود سؤدد ، والجهل سفه ، والأيام دول ، والدهر غير ، والمرء منسوب إلى فعله وما أخذ بعمله ، فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد ، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء ، وأكرموا الجليس يعمر ناديتكم ، وحاموا الخليط يرغب في جواركم وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم ، وعليكم بكارم الأخلاق فإنها رفعة ، وإياكم والأخلاق الدنية ، فإنها تضع الشرف . وتهدم المجد ، وإن نهته الجاهل أهون من جريرته ، ورأس العشيرة يحمل أثقالها ، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به .

فقلت قريش : رضينا بك أبا نضلة ! وهي كنيته

١٠ — وراجع خطبة البرجمي أمام حاتم الطائي في وفادته عليه في دماء حملها (١) .

ماهي الخطابة : ؟ (٢)

الخطابة فن من فنون النثر ، وهي فن مخاطبة الجمهور الذي يعتمد على

(١) ص ٢١ ذيل الآمال .

(٢) راجع . الخطابة لأبي زهرة — جمهرة الخطابة لصفوت — ١٣٥ و ١٣٩٩ =

الاقناع والاستمالة . أو هي كلام بليغ يلقي في جمع من الناس لأقناعهم بما فيه الخير لهم في دنياهم وآخرتهم .

والخطابة قديمة نشأت مع الانسان ، وتروى للامم القديمة خطب كثيرة كقدمات المصريين واليونان والرومان .

والخطابة ضرورية للأمة في سلمها وحربها ، وهي أداة الدعوة إلى الرأي والعقيدة في شتى نواحي الحياة والمجتمع ، وهي وسيلة الدعاة والمصلحين ، والمهذبين والمرشدين وعماد القادة والزعماء ، وأداة الأحزاب السياسية ، والجمعيات الأدبية والاجتماعية ، وعليها الاعتماد في كثير من شئون الحياة ، في السياسة وفي التربية والتعليم ، والوعظ والارشاد ، وفي محافل الأُنس ، وما تم الحزن .

والخطابة تقوى عندما تكون الأمة متمتعة بقسط من الحرية ، شاعرة بما هي فيه ، طامحة إلى آمال واسعة في الحياة ، وحينما تتصارع الخصومات ، وتختلف الأفكار والمبادئ والمذاهب .

والخطابة إما سياسية أو اجتماعية أو دينية ، وفي العصر الحديث نشأت الخطابة القضائية والبرلمانية .

الخطابة عند العرب في العصر الجاهلي :

ويروى للعرب في جاهليتهم خطب كثيرة ، ونبغ فيهم خطباء مشهورون وكانت الخطابة لسان الأشراف والرؤساء والناهبين من القبائل ، يفضلونها

على الشعر الذى غرض من قدره تكسب الشعراء به (١) ، ويعبرون بها عما يجيش فى صدورهم من أفكار وآراء ، ويصرفون بها ملكة البلاغة المتأصلة فى أعماق نفوسهم وطوايا قلوبهم ، ويصورون بها جميع ما يطوف بعقولهم فى شئون السياسة والاجتماع .

وكانت الخطابة عندهم منتشرة ذائعة ، لها مكانتها فى النفوس ، وسحرها فى الألباب ، وأثرها فى الشدائد والمشكلات . وكان لكل قبيلة شاعرا . وبالجمله فان الخطابة فى العصر الجاهلى كان لها حظ من القوة والنهضة والازدهار .

دواعى الخطابة فى العصر الجاهلى :

وكانت دواعيها كثيرة متشعبة عندهم ، فأذواقهم الأدبية وتأصل ملكات البلاغة فى نفوسهم وتملكهم زمام الفصاحة . ثم كثرة الحروب والخلافات بينهم ، ثم تفرقهم قبائل وأحياء مع أميتهم الغالبة عليهم والى أجاتهم إلى الاستعانة باللسان دون الكتابة ثم ضعف شأن الشعر ومكانته فى نفوس أشرافهم بتكسب الشعراء به . ثم سعة مجال الخطابة فيهم وكثرة أسبابها لديهم .

كل ذلك كان داعيا لذيوع الخطابة فيهم . وانتشارها بينهم .

أغراض الخطابة فى العصر الجاهلى :

وأغراض الخطابة كثيرة عند العرب فى العصر الجاهلى . من ذلك :
١ — التحريض على القتال أو الدعوة للسلام والوثام . وهذا كثير عند العرب فى جاهليتهم لكثرة حروبهم . وكثرة ما كان بينهم من خلافات وخصومات .

٢ - التبشير بدين جديد . ومحاربة الفوضى والردائل والوثنية التي كانت سائدة في العصر الجاهلي . كما ترون في خطبة المأمون الخارثي في نادى قومه (١) . وخطبة اكنم بن صيفى التميمي في قومه (٢) . بعد أن بعث الرسول وبعث اكنم ابنه حبيشا ليأتيه بخبره . وكما في خطبة قس في سوق عكاظ

٣ - التعزية في عظيم من عظمائهم أو رئيس من رؤسائهم
٤ - وفادتهم على الملوك والرؤساء للتهنئة أو الاستنجد أو لتأمين سبل أو إجازة تجارة أو التعزية أو سواها . والخطب المأثورة فيها الكثير من ذلك
٥ - الدعوة إلى الصلح وفض الخصومات وجمع الكلمة كما في خطبة مرثد الخير

٦ - الخطب في المحافل حين الأملاك (١) أو الولادة أو ماشا كل ذلك
٧ - المفاخرة والمنافرة والمباهاة بعز العشيرة وشرف المحتد وجلال الأصل .
٨ - التوصية بفعل جميل أو أدب حميد . وهكذا تعددت أغراض خطابة وتشعبت مناحيها .

(١) ١/٢٧٣ الأمالى
(٢) ٢/٢٤٧ أمثال العسكري ، وجمع الأمثال للميداني الجزء الثاني . ومنها :
إن ابني شافه هذا الرجل مشافهة ، وأتاني بخبره وكتابه ، يأمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق ، ويدعو إلى توحيد الله تعالى وخلع الأوثان ، وترك الحلف بالنيران ، وقد عرف ذوو الرأي منكم أن الفضل فيما يدعو إليه ، وإن الرأي ترك ما ينهى عنه . إن الذي يدعو إليه محمد ، لولم يكن ديننا ، كان في أخلاق الناس حسنا . أطيعوني واتبعوا امرى

(١) الاملاك . التزويج .

المأثور من خطب الجاهليين :

والمأثور من خطب الجاهليين قليل ، أقل من الشعر ، المروى عنهم .
ذلك أن الخطابة يصعب حفظها لطولها وعدم تقييدها بوزن أو قافية ، وعدم
تدوينها إلا في القرن الثاني الهجري ؛ مما أدى إلى ضياع كثير منها ولا شك
لطول العهد بها

الخطابة والخطيب :

وكانوا يلزمون أنفسهم الوقوف في الخطبة إلا في خطب إملاهم (١)
وكثيرا ما كانوا يؤثرون أن يخطبوا وهم واقفون على نشز من الأرض .
أو على شيء مرتفع : كظهر الراحلة وسواها . وذلك لظهور الخطيب
ولشدة تأثيره .

كما كانوا يقبضون بأيديهم على عصا أو رمح أو سيف أو قوس أو سوى
ذلك . ويعصب الخطيب عمامته .

والخطيب يلتزم رباطة الجأش وجهارة الصوت (٢) وبلاغة القول وقوة
الحجة . قليل الحركة . قليل الإشارة . ينطق بالصدق . ويتكلم عن الحقائق .
في مظهر نبيل وزى جميل . وهو غالبا رئيس قومه أو من أشرفهم .

(١) الاملاك . التزويج .

(٢) ويشيدون بالعباس بن عبد المطلب في جهارة صوته (٩٥ ج ١ البيان
والتبيين) كما أشادوا بجهارة الصوت (٩٤ ج ١ المرجع)

أشهر خطباء العرب في العصر الجاهلي

— ١ —

قس بن ساعدة الأيادي (١)

من أياد يضرب به المثل في الفصاحة والبلاغة والحكمة والخطابة .
ويعدونه خطيب العرب كافة .

اعتنق النصرانية فامن بها . وكان يدعو في خطبة إلى التوحيد وتبذ
الأوثان والأصنام وعبادة الله . وكان أسقف نجران وكان يفد على
قيصر ويحادثه .

وهو أول من قال : أما بعد ، والسابق إلى الاتكاء على العصا والسيف
حين يخطب . وهو القائل هذه الحكمة : « البينة على من ادعى واليمين
على من أنكر ،

وكان الناس يتحاضرون إليه في خصوماتهم . فيقضى بينهم بالحق والخير
وكان معدودا من حكماء العرب وأعقلمهم

وكثيرا ما كان يقف في سوق عكاظ . وقد سبقت خطبة له
سمعها النبي صلى الله عليه وسلم في عكاظ قبل البعثة

عاش قس طويلا نحو ثمانين ومائة سنة . ومات قبل البعثة نحو عام ٦٠٠م
ويعده الجاحظ من الخطباء والشعراء (١) ورسول الله (ص) هو الذي روى
كلامه بعكاظ (٢)

(١) راجع ٥١ و ٥٦ و ٢٠٣ ج ١ البيان والتبيين نشر السندوبى ط ١٩٢٧ .
وراجع حديث قس بن ساعدة مع قيصر (٣٧ ج ٢ الآمال) وراجع ٥١ و ٥٦
و ٢٠٣ ج ١ البيان والتبيين و ٢٨٥ ج ٢ العقد .

(١) ٥١ ج ١ البيان والتبيين (٢) ٥٦ ج ١ المرجع

أسلوبه :

كان بلغ القول . سهل الأسلوب . متخير اللفظ . كثير الحكمة والمثل
سجعه قصير غالب على خطابه . وكلامه على إيجازه بعيد عن اللغو والفضول
والحشو . مطبوع على الخطابة واللفظ الشريف . والقول الرائع الحكيم .
وله شعر فيه جزالة مع رقة تعبير ودقة تصوير وقوة تأثير

ومن حكمه : إذا نهيت عن الشيء فابدأ بنفسك . من غيرك شيئاً ففيه
مثله . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر . وقد سبق ذكر خطبته التي
سمعها الرسول صلوات الله عليه منه في عكاظ
وفي آخرها نموذج من شعره

— ٢ —

أكرم بن صيفي التميمي

هو حكيم العرب وقاضيهما وخطيب من أشهر خطبائها . أوفده النعمان بن
المنذر إلى كسرى أنو شروان بالمداين . ومعه رهط من أشرف سادات
العرب (١) وخطبائهم مثل حاجب بن زرارة التيمي (٢) ، وعمرو بن
الشريد السلمي (٣) وعامر بن الطفيل العامري (٤) . وعلقمة بن علاثة

(١) راجع ١٦٦ و ١٧٤ ج ١ العقد الفريد ط ١٩٢٨ . ويشك كثير في صدق

الرواية التي رواها صاحب العقد .

(٢) سيد من سادات تميم وخطيب من أبلغ خطباء العرب

(٣) أبو الخنساء الشاعرة وكان شجاعاً شاعراً خطيباً

(٤) ابن عم ليلى الشاعر . فارس شجاع وشاعر

العامري^(١) والحارث بن ظالم^(٢) . وعمرو بن معد يكرب الزبيدي^(٣) ،
والحارث بن عبادة البكري^(٤) ، وسواهم ، وأعجب به كسرى حتى قال له :
لو لم يكن للعرب غيرك لكفى .

وقد أدرك بعثة الرسول وبعث ابنه حبيشا ليأتيه بخبره ، ودعا قومه إلى
الإيمان بمحمد صلوات الله عليه .

وكان أكثرهم علامة بالانساب ، كثير الحكم وضرب الأمثال في خطابته ،
مصيب الرأي قوى الحججة ملهما بالصواب وسداد القول . كما كان عظيم
المنزلة عند بني تميم قومه وعند العرب أجمعين ، وجعله الجاحظ من الخطباء
البلغاء والحكام الرؤساء^(٥) ، وكان في خطبه كثير الإيجاز وضرب الأمثال
لا يلتزم السجع ولا يقصده ؛ عميق الفكر ، دقيق النظر ، قوى الحججة ،
كثير الإقناع ، جميل الأسلوب حلو الالفاظ

ومن خطبه تعزيته لعمر بن هند ملك العرب في أخيه ، قال :
أيها الملك إن أهل هذه الدار سفر ، لا يحلون عقد الترحال إلا في غيرها ،
وقد أتاك ما ليس بمردود عنك ، وارتحل عنك ما ليس براجع إليك ، وأقام
معك من سيظعن عنك ويدعك . إن في الدنيا ثلاثة أيام : فأمس عظة وشاهد
عدل ، فجعلك بنفسه وأبقى لك وعليك حكمه ، واليوم غنيمة وصديق أتاك
ولم تأته ، طالت عليك غيبته ، وستسرع عنك رحلته ، وغدا لا تدري من أهله ،
وسياتيك إن وجدك . فما أحسن الشكر للنعيم ، والتسليم للقادر . وقدمضت
لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفروع بعد أصولها . واعلم أن أعظم من
المصيبة سوء الخلف منها ، وخير من الخير معطيه ، وشر من الشر فاعله

(١) خطيب بليغ اشتهر بالعقل الراجح والأخلاق الكريمة

(٢) من مرة ، شجاع شاعر خطيب (٣) فارس شاعر توقي عام ٢١ هـ

(٤) خطيب مؤثر وشاعر بليغ (٥) ١/٢٣١ من البيان والتبيين

(م ١٠ الأدب)

عمرو بن معد يكرب الزبيدي (١)

١ - قحطاني يمني ، وفارس شجاع ، وخطيب مطبوع ، عاش في الجاهلية ، وأسلم سنة تسع من الهجرة هو وقومه ، ثم ارتد بعد إسلامه بعد وفاة الرسول ، ثم عاد من جديد إلى الإسلام عقيدة الحق والتوحيد والخير ، وأبلى في القادسية بلاء عظيماً وكان عمره فيها عشراً ومائة سنة ، وتوفي في آخر خلافة عمر بن الخطاب عام ٢١ هـ - ٦٤٣ م . وفيه يقول أبو تمام :

إقدام عمرو ، في سماحة حاتم في حلم أحنف ، في ذكاء إياس

٢ - كان عمرو شجاعاً فارساً وخطيباً شاعراً ، شعره صورة لشجاعته وبطولته وفروسيته ؟ وحديث عن مواقفه وانتصاراته في غزواته ، وعن نفسه واقتحامها الأهوال ومغامراتها وقت الطعن والنضال ، ويعد في الطبقة الثانية من الشعراء المخضرمين وخطابته تتم عن شخصيته واعتداده ببطولته ونفسه ، فيها وضوح وقوة وتدفق ومنطق ، مع إشراق بيان ، وسهولة عبارة ، وقصر فقر ، وقلة سجع ، وكثرة حكمة ومثل .

٣ - قال عمرو أمام كسرى :

إنما المرء بأصغريه . قلبه ولسانه ، فبلاغ المنطق الدار ، وملاك النجعة الارتياح ، وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الحيرة ، فاجتنب طاعتنا بلفظك ، واكتظم بادرتنا بحلمك ، وألن لنا كنفك يكن لك قيادنا

شعره :

روى له صاحب الحماسة عدة قصائد :

١ - منها قصيدته : (٢)

(١) راجع في ص ١٥٠ ذيل الأمل وما بعدها حديث عمرو بن معد يكرب مع امرأة

(٢) ص ٤٣ / ١ مختصر الحماسة ط ١٩٢٧ الطبعة الثالثة

ولما رأيت الخيل زورا كأنها جداول زرع أرسلت فاستبطرت
فجاشت إلى النفس أول مرة فردت على مكر وهها فاستقرت
ومن شعره قصيدته :

تمناني ليلقاني أبي وددت وأينما مني ودادى
أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليك من مراد
ومن شعره :

ليس الجمال يئزر فاعلم وإن رديت بردا
إن الجمال معادن ومناقب أورثن مجدا
كم من أخ لي صالح بوأته يدي لحدا
ما إن جزعت ولا هلمعت ولا يرد بكى رشدا
ذهب الذين أحبههم وبقيت مثل السيف فردا (١)

— ٤ —

ومن خطباء العرب :
حاجب بن زرارة التميمي وهو سيد من سادات تميم ، وفد على كسرى
حين منع تميم من ريف العراق فاشتد بهم القحط فأعجب به وببلاغته ومنحه
ما أراد وتعهد له بحسن الجوار ورهنه قوسه على ذلك .
وهاني بن قبيصة الشيباني (٢) ، ومرثد الخير الحميري ، والمأمون الحارثي

ومن خطبائهم عامر بن الظرب العدواني
وهو أحد حكماء العرب المشهورين ، وخطيب بليغ وشاعر مجيد .

(١) ومن شعره أيضا قصيدته :

أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع

(٢) راجع ١٢٩ ج ٢ الأغاني ، ١٢٥ ج ٢ منه ، ١٣٢ ج ٣

ويقول الجاحظ فيه : وهو من الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء (١) ،
وهو حكم العرب في الجاهلية (٢) .

خطب إليه صعصعة بن معاوية ابنته فقال :

يا صعصعة إنك أتيتني تشترى مني كبدى ، أبغيتك (٣) أو رددتك .
النكاح خير من الأيمة (٤) ، والحسيب كفء الحسيب ، والزوج الصالح أب
بعد أب ، وقد أنكحتك خشية ألا أجد مثلك ، أفر من السر إلى العلانية ،
أنصح ابناً وأودع ضعيفاً قويا . يامعشر عدوان أخرجت من بين أظهركم
كريمتكم ، من غير رغبة عنكم ، ولكن من خط له شيء جاءه ، رب زارع
لنفسه ، ما حصده غيره ، ولولا قسم الحظوظ ماترك الأول للآخر ما يعيش به

— ٥ —

ومن خطبائهم قبيصة بن نعيم ، وكان من رجالات بني أسد ، وخطب
أمام امرئ القيس بعد مقتل أبيه قال :

إنك في المحل والقدر ، والمعرفة بتصرف الدهر ، وما تحدثه أيامه ، وتنتقل
به أحواله ، بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ ، ولا تذكرة مجرب ، ولك من
سؤدد منصبك ، وشرف أعراقك ، وكرم أصلك في العرب ، محدد يحتمل
ما حمل عليه من أقالة العثرة ، والرجوع عن الهفوة ، وقد كان الذى كان من
الخطب الجليل . عمت رزيتة نزارا واليمن ، ولم تخصص به كندة دوننا ،
للشرف البارع الذى كان لحجر : التاج والعمرة فوق الجبين الكريم ، وإخاء الحمد
وطيب الشيم ، ولو كان يفدى هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا على
مثله ببذل ذلك ولقد يناله منه ، ولكن مضى به سبيل لا ترجع أولاه على
آخره ، ولا يلحق أقصاه أدناه ، فأحمد الحالات فى ذلك أن تعرف الواجب

(١) ٢٣٣ ج ١ البيان

(٢) ٢٠ ج ٣ البيان

(٣) أعطاه بغية

(٤) العزوبة

عليك في إحدى خلال ثلاث إما أن اخترت من بني أسد أشرفها بيتا ،
وأعلاها في بناء المكرمات صوتا ، فقد ناه اليك بنسعة ، تذهب مع شفرات
حسامك بياقي قصرته ، أو فداء بما يروح على بني أسد من نعمها ، فهي ألوف
تجاوز الحسبة ، وإما أن توادعنا حتى تضع الحوامل ، فنسدل الأزر ، ونعقد
الخمر فوق الرايات .

فبكي امرؤ القيس وقال : قد علمت العرب أن لا كفء لحجر في دم ،
وأنى لن اعتاض به ناقة أو جملا فأكتسب بذلك سبة الأبد وفت العضد ،
وأما النظرة فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها ولن أكون لعطبتها سببا ،
وستعرفون طلائع كندة من بعد ، تحمل في القلوب خنقا ، وفوق
الأسنة علقا .

إذا جالت الحيل في مآزق تصافح فيه المنايا النفوسا

- ٦ -

ومن خطباء العرب :

كعب بن لؤى (١) ، ولؤى بن غالب (٢) ،
وهاشم بن عبد مناف (٣) ، وأبو طالب (٤) ،

(١) الروض الأنف - صبح الأعشى ٢١١ ج ١ و ٢٢٦ ج ١ البيان والتبيين
للجاحظ . قال الجاحظ . وكان يخطب العرب عامة ويحضر كنانة خاصة على البر
فلما مات أكرموا موته فلم تزل كنانة تؤرخ بموته إلى عام الفيل (٢٢٦ ج ١ البيان)

(٢) الروض الأنف و ٢٣٣ ج ١ البيان والتبيين .

(٣) ، ، و ٤٥٨ ج ٢ ابن أبي الحديد و بلوغ الأرب ١٣٢ ج ١

(٤) ، ، و ٢١٢ ج ١ صبح الأعشى و ج ٣ من ابن أبي الحديد

وعمر بن كلثوم^(١) ، وضمرة بن ضمرة^(٢) ،
وعمر بن عمار الطائي^(٣) ، وعبيد بن شرية الجرهمي .
ويقول الجاحظ في البيان والتبيين :
أ - ومن خطباء العرب في الجاهلية : خويلد بن عمرو خطيب
يوم الفجار^(٤)

ب - ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء : ربيعة بن حذار وليد
وهرم بن قطيبة^(٥)
ج - ومن القدماء في الحكمة والخطابة والرياسة : عبيد بن شرية
الجرهمي وأسقف نجران وأكيدر صاحب دومة الجندل وجذيمة الأبرش^(٦)

— ٧ —

ومن خطبائهم هاشم بن عبد مناف ، وهو سيد قریش وإمامها ، وداعبها
إلى الخير والشرف والوحدة ، وحامى البيت والزائد عنه . خطب فى قریش
وخزاعة حين تنافرا إليه فقال :

يا بنى قصي ، أنتم كغصنى شجرة ، أيهما كسر أو حش صاحبه ؛ والسيف
لا يصان إلا بغمده ، وراعى العشيرة يصيبه سهمه

أيها الناس الحلم شرف ، والصبر ظفر ، والمعروف كنز ، والجود سؤدد
والجهل سفه ، والأيام دول ، والدهر غير ، والمرء منسوب إلى فعله ،

(١) ٤٩-١ البيان والتبيين

(٢) ٢٥ ج ١٠ الاغانى و ١٦٨ ج ١ البيان و ١٨٦ ج ١ الميداني و ١٦٨
و ١٢٨ و ١١٨ ج ٢ :

(٣) ١٥٩ و ٢٢٥ ج ١ البيان ، ٢٣٦ المؤلف ويقول فيه الجاحظ . كان خطيب
مذحج كلها وحمله النعمان على منادته ثم قتله (٢٢٥ ج ١ البيان)

(٤) ١/٢٢٦ البيان (٥) ٢٣٣/١ المرجع (٦) ١/٢٣٢ المرجع

وما أخذ بعمله ، فاصطنعوا المعروف ، تكسبوا الحمد ، ودعوا الفضول ،
وتجانبوا السفهاء ، وأكرموا المجلس يعمر ناديك ، وحاموا عن الخليط يرغب
في جواركم ، وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم ، وعايكم بمكارم الأخلاق فانها
رفعة ، وإياكم والأخلاق الدنية فانها تضع الشرف وتهدم المجد
ولعمري إن هذه لنفحة نبوية ، وحكمة من شريف ملهم ، وسيد مطاع

- ٨ -

ومن خطبائهم عبد المطلب بن هاشم ؛ خطب يهني سيف بن ذي يزن
بظفره على الحبشة (١) ، فقال :

إن الله أحلك أيها الملك محلا رفيعا ، شامخا باذخا ، وأنبتك نبثا طابت
أرومته ، وعزت جرثومته (٢) ، وثبت أصله ، وبسق (٣) فرعاه ، في أكرم
موطن ، وأطيب معدن ، وأنت - أبيت اللعن - ملك العرب ، وربيحها
الذي تخصب به ، وأنت أيها الملك رأس العرب الذي إليه تنقاد ، وعمودها
الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي تلجأ إليه العباد . سلفك خير سلف ، وأنت
لنا منهم خير خلف ، فإن يخمل ذكر من أنت سلفه ، ولن يهلك من أنت
خلفه ، ونحن أيها الملك أهل حرم الله ، وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذي
أهيجنا بكشف السكر الذي فدحنا ، فنحن وفد التهئة لا وفد المرزئة (٤)

د - المحاورات

نماذج لها :

١ - مفاخرة طريف بن العاصي والحارث بن ذبيان عند بعض
مقاول حمير (٥)

(١) راجع أديان العرب في الجاهلية (٢) الأصل (٣) علا

(٤) الرزء والمصيه (٥) ٧٢ ج ١ الآمال

قال الملك للحارث : يا حارث ألا تخبرني بالسبب الذي أخرجكم عن قومكم حتى لحقتم بالنمر بن عثمان ؟

قال الحارث : خرج هجينان منا يرعيان غنما لهما ، فتشاولا (١) بسيفهما فأصاب صاحبهم عقب صاحبه فمات ، فسألونا أخذ دية صاحبه : دية الهجين (٢) ، وهي نصف دية الصريح (٣) ، فأبى قومي إلا دية الصريح وأبوا إلا دية الهجين ، فتفاقم الأمر بين الحيين فتظافروا علينا حسدا ، فأجمع ذوو الحجا منا أن نلحق بأمنع بطن من الأزد ، فلحقنا بالنمر بن عثمان ، فوالله ما فت في أعضادنا ، فأينا عنهم ولقد أثأرنا (٤) صاحبه وهم راغمون

فوثب طريف من مجلسه ، فجلس بإزاء الحارث فقال : تالله ، ما سمعت قولاً أبعد من صواب ، ولا أقرب من خطل ، من قول هذا . والله أيها الملك ماقتلوا بهجينهم بذجا (٥) ، ولا رقوا به درجا ، ولقد أخرجهم الخوف عن أصلهم ، وأجلاهم عن محلهم

فقال الحارث : أسمع يا طريف ؟ إني والله ما إخالك كفا غرب لسانك ، ولا منهنها شرة نزواتك ، حتى أسطو بك سطوة تكف طماحك ، وترد جماحك

فقال طريف : مهلا يا حارث ، لا تعرض لذب (٦) سناني ، وغرب سباني ،

فقال الحارث : إياي تخاطب بمثل هذا القول . فقال طريف : أما والأصنام المحجوبة ، والأنصاب المنصوبة ، لئن لم تقف عند قدرك ، لأدعن حزنك سهلا ، وصفاك وحلا

فقال الحارث : أما والله لو رمت ذلك لمرغت بالحضيض (٧)

(١) تضاربا (٢) هو الذي أبوه عربي وأمه عربية (٣) الخالص

(٤) أثأر . افتعل من الثأر

(٥) الخروف (٦) الذرب . الحدة (٧) القرار إذا اتصل بالجبل

وأغصصت بالجريض ، وضائق عليك الرحاب ، وتقطعت بك الأسباب
فقال طريف : دون ماناجتك به نفسك مقارعة أبطال ، وحياض
أهوال .

فقال الملك : أيها عنكما

٢ — وراجع حديث النسوة اللواتي أشرن على بنت الملك بالتزوج ،
ووصفن لها محاسن الزوج (١) . وقد سبق ذكره

وراجع حديث اوس بن حارثة ونصيحته لابنه مالك (٢)
وحديث بعض مقاول حمير مع بنتيه ، وما دار بينه وبينهما من الحوار ،
حين كبرت سنه ، وهو حديث طريف ممتع (٣) . وما وقع بين عمرو بن بركة
الهمداني وحریم المرادی من الأغارة وما قال عمرو في ذلك (٤)
 واجتماع عامر بن الظرب وحممة بن رافع عند ملك من ملوك حمير ،
وتحاورهما أمامه (٥)

وحديث ابنة الحسن مع أبيها (٦)

وما وقع لحاتم مع زوجته ماوية (٧)

٣ — وكان قس يفد على قيصر ويؤثره فقال له قيصر يوما :

ما أفضل العقل ؟

قال : معرفة المرء بنفسه

قال : فما أفضل العلم ؟

قال : وقوف المرء عند علمه

قال : فما أفضل المروءة ؟

قال : استبقاء الرجل ماء وجهه

قال : فما أفضل المال ؟

قال : ما قضى به الحقوق

٤ — ومن أمثلة المفارقة ما وقع من بعض سادات العرب أمام كسرى ، وقد قال لهم : ليتكلم كل رجل منكم بما أثر قومه ، وليصدق

فأخذ : حذيفة بن بدر ، والأشعث بن قيس ، وبسطام بن قيس ، وحاجب ابن زرارة التميمي ، وقيس بن عاصم ، يعدد كل منهم ما أثر قومه ومفاخر أحسابه ٥ — منافرة خالد والقعقاع التميميين :

نافر خالد القعقاع ، إلى ربيعة بن حذار الأسدي فقال : هاتيا مكارمكما فقال خالد : أعطيت من سأل ، وأطعمت من أكل ، ونصبت قدوري حين وضعت السماك ذيولها ، وطعنت يوم شوا حظ^(١) فارسا فجملت نخذه بفرسه فقال : يا قعقاع ما عندك ؟

فأخرج قوس حاجب ، وقال : هذه قوس عمي رهنها عن العرب ، وهاتان نعلا جدى قسم فيها أربعين مربعا ، وهذه زربية^(٢) زرارة لم ير ناره خائف إلا أمن ، ولم يمسك بطنب^(٣) فسطاسه أسير إلا فك

فنادى ربيعة بن حذار : ان السماحة واللها^(٤) والمرباع والشرف الأسبغ للقعقاع ، ألا إني نفرت من كان أبوه معبدا وعمه حاجبا ، وجده زرارة^(٥) ٦ — ومن أمثلة المنافرات منافرة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة

العامريين . وهي أشهر المنافرات في الجاهلية

تنازع عامر وعلقمة الرياسة ، فقال علقمة الرياسة لجدى الأحوص ، وإنما صارت إلى عمك أبي براء من أجله ، وقد استسن عمك وقعد عنها فأنا أولى بها منك ، وإن شئت نافرتك . قال له عامر : قد شئت والله لأنا أشرف منك حسبا ، وأثنت منك نسبا ، وأطول قصبا ، فقال علقمة أنا فرك وإني لبر

(١) من أيام العرب وكان لبني محارب على بني عامر

(٢) البساط (٣) حبل طويل يشد به السرداق

(٤) جمع لهوة وهي : العطية (٥) وهو القعقاع بن معبد بن زرارة التميمي

وانك لفاجر ، وإني لولود وإنك لعاقر ، وإني لواف وإنك لغادر . فقال عامر .
إني أنشر منك أمة ، وأطول قمة ، وأحسن لمة (١) ، وأجعد جمعة (٢) وأبعد همة
فقال علقمة : أنا جميل وأنت قبيح ، وأنا أولى بالخيرات منك
فتنافرا إلى أبي سفيان بن حرب ، ثم إلى أبي جهل بن هشام ، فتنحيا
عن الحكم ، ثم إلى هرم بن قطبة بن سنان الفزاري (٣) .
فقال هرم : يا أبا جعفر ، قد تحاكمتما عندي ، وأنتما كركبتى البعير
تقعان إلى الأرض معا ، وفي علقمة يقول الأعشى هاجيا :

علقم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار والواتر
إن تسد الخوص فلم تعدهم وعامر ساد بني عامر
ساد ، وألنى قومه سادة وكابرا سادوك عن كابر

هذا والمحاورة: هي التهاور والتراجع في الكلام والحديث . وهي من
ضرورات المجتمع والحياة
والعرب كثيرون المحاورون لكثرة خصوماتهم ومفاخراتهم وتنازعهم على
الشرف وسواه .

وتشمل المحاورات : المنافرة والمفاخرة ، وسواهما من المحاورات العامة
١ - فالمنافرة : المحاكمة في المفاخرة ، وأصلها من قولهم : أينما أعز نفرا :
فهى التحاكم إلى الأشراف من حكام العرب ، ليفصلوا بينهما ، ويقضوا
بالشرف لأحدهما .

ب - والمفاخرة : مصدر فخر ، وهى تفاخر القوم بعضهم على بعض وكان
يفخرون بالحسب والشرف والأخلاق الكريمة والعز والثروة
والكثرة والعدد .

(١) الشعر الذى يجاوز شحمه الأذن (٢) مجتمع شعر الرأس

(٣) راجع حديث هرم بن قطبة مع عمر بن الخطاب حول هذه المنافسة فى

ج - والمحاوراة العامة في شئون الحياة مما لا يتصل بمفاخرة أو منافرة وهي كثيرة ، كثرة مطالب الحياة وشئونها ودواعي اتصال الإنسان بسواه من المجتمع .

— ٩ —

هـ - سبع الكهان

نماذج له :

١ - حديث زبراء الكاهنة مع بنى رثام :

كان ثلاثة بطون من قضاة متجاورين بين الشجر وحضرموت وهم : بنو ناعب ، وبنو داهن ، وبنو رثام ، وكان بنو ناعب وبنو داهن متظاهرين على بنى رثام ، وكانت بنو رثام أقلهم عددا وأشجعهم لقاء ، وكان لهم عجوز تسمى خويلة ، كان يدخل عليها أربعون رجلا كلهم لها محرم . بنو إخوة ، وبنو أخوات ، وكانت خويلة عقيما ، وكان لها أمة من مولدات العرب تسمى زبراء ، وكانت زبراء كاهنة .

فقالت زبراء لخويلة : انطلقى بنا إلى قومك أنذرهم ، فأقبلت خويلة تتوكأ على زبراء ، فقاموا إجلالا لها .

فقالت يا ثمر الأكباد ، وشجا الحساد ، هذه زبراء ، تخبركم عن أنباء ، قبل انحسار الظلماء ، بالمؤبد (١) الشنعاء ، فاسمعوا ماتقول . قالوا : وماتقولين يا زبراء ؟ قالت :

واللوح الخافق ، والليل الغاسق ، والصباح الشارق ، والنجم الطارق ، إن شجر الوادى ليأدو (٢) ختلا ، ويحرق أنيابا عصلا (٣) ، وإن صخر

(١) الداهية والأمر العظيم (٢) أى يختل (٣) حرق أنيابا به . حك بعضها =

الطود اينذر ثكلا ، لانجدون عنه معلا (١) .
وانصرف عنهم ، فانصرف منهم أربعون رجلا ، وبقى ثلاثون ، فرقدوا
في مشربهم ، وطرقهم بنو راهن وبنو ناعب فقتلوهم أجمعين . وأقبلت خويلة
عند الصباح ، فوقفت على مصارعهم ، ثم عمدت إلى خناصرهم فقطعتها ،
وانتظمت منها قلادة وألقتهما في عنقها (٢) .

٢ — وراجع حديث مصاد بن مذعور وخروجه في طلب الذود ،
وما أخبره به الجوارى الأربع الطوارق بالحصا (٣) .
وحديث الرواد الذين أرسلتهم مذحج ووصفهم الأرض لقومهم
بعد رجوعهم (٤) .

واقراً حديث سواد بن قارب وكهانتة (٥) ، وحديث ابنة الحنس
مع أبيها (٦) .

ووفود عبد المسيح - رسول كسرى - على سطيح الكاهن (٧) .
٣ — وكانت هند بنت عتبة زوجا للفاكه بن المغيرة المخزومي ، وكانت
داره ناديا لقومه ، فاتهمها الفاكه برجل واستلحقها بأبيها ، فخرج بها والدها
إلى بعض الكهان يستخبره عن أمرها ، وأخرج معها نسوة من قومها ، وأقبل
معهم الفاكه في رجال من قومه . فلما شارفوا ديار الكاهن رأى عتبة من
ابنته انكسارا وتغييرا ، فقال لها : يا بنية لا تكتميني من أمرك شيئا ، فإن
كان ما بك لريبة نرجع ولا بأس عليك ، فقالت هند : لا والله يا أبت ،
ما ذاك لريبة ولا فاحشة ، ولكنكم تقدمون على بشر يخطئ ويصيب ، وأخشى
أن يسمنى بسمة ، تبقى على وصمة عار آخر الدهر ، قال سأبلوه لك ، ثم

= به مض . والعصل . المعوجة (١) أى منجى

(٢) راجع ١٢٦ ج ١ الامالى (٣) ١٤٢ ج ١ الامالى

(٤) ١٨٠ ج ١ الامالى (٥) ٢٨٩ ج ٢ الامالى

(٦) ١٠٧ ذيل الامالى (٧) ١٧٨ ج ١ العقد ط ١٩٢٨

خبأ خبيثاً ، واقبلوا حتى آتوا السكاهن ، فأخبرهم بخبيثتهم ، ثم أقبل على هند فقال انهضى غير رسحاء ولا زانية ، وستلدين ملكاً اسمه معاوية .

ماهى الكهانة :

والكهانة قد سبق الحديث عنها وهى تعرف الغيب من الأمور المستقبلية أو الماضية

وكان فى العرب كهان يتنبأون بالحوادث ، وللعرب اعتقاد كبير فيهم ، فهم ملاذ المريض ، وطمأنينة الحائر ، والحكم فى الخصومة

ومن أشهر هؤلاء الكهان : شق وسطيح الذئبى (١) ، وطريفة الخير امرأة عمرو بن عامر الحميرية وكانت باليمن وهى التى تنبأت بخراب سد مأرب ، ومنهم : فاطمة الخثعمية وكانت بمكة ، ولها قصة مع والد الرسول صلوات الله عليه وسلم عبد الله بن عبد المطلب قبل أن يتزوج بآمنة بنت وهب ، ومنهم : زبراء ، وسواد بن قارب ، وغير هؤلاء كثيرون

ويتحدث الرواة بأعاجيب كثيرة لأولئك الكهان بعجائبهم فى الأخبار بالغيب ومعرفة الحوادث

وكانت الكهانة منتشرة فى الجاهلية قبل البعثة . وتدور غالباً حول : التبشير بنبي يبعث ، وتفسير الرؤى ، ومعرفة ماخفى عنهم من الحوادث وهى نوع من الفراسة والألهام وصدق الحدس وصفاء الروح والقدرة على التحليق فى جو سماوى مجرد عن حدود المادة ، وكثيراً ما تصدق النبوءات فى مثل هذه الأحوال

ويقول الجاحظ فى البيان والتبيين :

١ - كان كهان العرب يتحاكم إليهم أكثر أهل الجاهلية ، وكانوا يدعون

(١) كانا متعاصرين فى زمن كسرى أنو شروان وولدا معا

السكينة وأن مع كل واحد منهم رثيا من الجن ، مثل حازي جهينة ، وشق ،
وسطيح ، وعزى سلمة ، وأشباههم . وكانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع .
وكان ضمرة بن ضمرة وهرم بن قطبة والأقرع بن حابس ونفيل بن
عبد العزى يحكمون وينفرون بالأسجاع وكذلك ربيعة بن حذار (١)

ب - ومن أهل الدهاء والذكراء ، ومن أهل اللسن واللقن ، والكلام
الصحيح ، والأمثال السائرة ، والمخارج العجيبة : « هند بنت الحنس ، وهي
الزرقاء ، « وخمعة بنت حابس ، وهما داهيتا نساء العرب كما يقول أبو عمرو
ابن العلاء (٢) ، ويذكر حوارا لابنة الحنس مع أبيها (٣)

ج - ويذكر أسماء السكبان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان (٤)
ومنهم - كما يقول - في الجاهلية : عبيد بن شربة ، وشق بن الصعب ،
وربيع بن ربيعة السطيح الذئبي والمأمور الحارثي ، والديان الحارثي
الشريفان الكاهنان (٥) .

(١) ١٩٥ ج ١ البيان والتبيين (٢) ٢٠٥ ج ١ المرجع (٣) ٢١٢ ج ١ المرجع

(٤) ٢٣٠ ج ١ المرجع (٥) ٢٣١ ج ١ المرجع

الباب الثالث

الشعر الجاهلي

- ١ -

تمهيد : ماهو الشعر؟

عرف أرسطو بأنه كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية والمخيل هو الكلام الذي ينفع له الانسان انفعالا نفسانيا غير فكري (١) وعرفه قدامة وابن رشيق بأنه كلام موزون مقفى يدل على معنى (٢) ويقول المعري : الشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط إن زاد أو نقص أبانه الحس (٣) ويقول ابن خلدون : الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارات والأوصاف المنفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجارى على أساليب العرب المخصوصة (٤) ، والشاعر من شعر يشعر وإنما سمي شاعرا لأنه يشعر من معاني القول وإصابة الوصف بما لا يشعر به غيره فكل من كان خارجا عن هذا الوصف فليس بشاعر وإن أتى بكلام موزون (٥) فاذا لم يكن عند الشاعر توكيد معنى ولا اختراعه أو استظراف النظر وابتداعه كان اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة ولم يكن له إلا فضل الوزن (٦) . ويعرفه المحدثون بأنه الكلام المنظوم الذي يعتمد فيه صاحبه على الخيال

(١) راجع الفن التاسع - الشعر - من الشفاء لابن سينا

(٢) ١٣ نقد الشعر ، ١/٩٩ العمدة (٣) ٥٥ رسالة الغفران المعري

(٤) ٥٧٣ مقدمة ابن خلدون (٥) ٧٧ نقد النثر (٦) ١/٩٦ العمدة

ويقصد فيه إلى الجمال الفني (١)، وبأنه الكلام الموزون المقفى الذى يصور
العاطفة (٢)، ويعرفه الرصافي بأنه مرآة من الشعور تنعكس فيها صور
الطبيعة بواسطة الألفاظ انعكاساً يؤثر فى النفوس (٣)، ويقول آخر : هو
الحياة باكية وضاحكة ناطقة وصامتة (٤)؛ ويقول أرتولد : هو كمال اللغة
البشرية فيه يقرب الانسان من الحق ويجسر على أن يفوه به (٥)، ويقول
كارليل : الشعر الحقيقى هو الموسيقى الأزلية التى يسمعها الشاعر من وراء
الوجود (٦)، ويقول غيره : هو المحاولة الخالدة للتعبير عن روح الأشياء (٧)
وبعد فالشعر إلهام يفيض على القلب من عالم الروح ويلبس ثوبا من
الخيال الساحر وينطق بلغة العاطفة الشاعرة ويحدث آثارا بعيدة فى المشاعر
والوجدان ويستشف معانى الحياة فى كل شئ نفكر فيه ونحس به فى هذا
الوجود، والشاعر ملك يغنى على قيثارة الفن الخالدة ليبعث معانى الطفولة
السامية والصوفية المتبتلة فى الحياة وليشرق بفسنه مع الفجر روحية وطهرا
ومع الصبح نورا وسحرا ومع الضحى قوة وحرارة ومع الأصيل هدوءا
وجمالا ومع الليل رهبة وروعة، وهو منذ الأزل يغنى وسيعيش فى سرحة
الفن يملأ الوجود شدا وغنا، فى سبيل أداء الرسالة التى حملها والتى نيط
بها بعث الجمال وإيقاظ الشعور وتحديد الأخلاق والسمو بالعواطف ليصل
حيوان الأرض الناطق إلى مستوى ملك السماء الطاهر العظيم

(١) ٣٢٧ الأدب الجاهل

(٢) أصول النقد الأدبى للثايب . ويقول وردزورت : الشعر هو الحقيقة
الرائعة التى تصل إلى القلب بواسطة العاطفة ، ويقول رسكن : هو عرض البواعث
النيلية للعواطف النيلية بواسطة الخيال (٩٦ مملكة الجمال لمحمود قراعة ط ١٩٣٧)

(٤) ١٦٩ ج ١ المرجع

(٣) ٨٥ ج ١ سحر الشعر

(٦) ٢١٠ ج ١ المرجع

(٥) ١٦٧ ج ١ المرجع

(٧) ٩٦ مملكة الجمال

آراء في الشعر :

١ — الشعر عند بعض الأدباء الكلام البليغ المؤثر ، الذي يصور الشعور والاحساس والعاطفة ، وينطق عن حسن تخيل ودقة معان وجمال إلهام فهو على هذا لا يجب أن يكون موزوناً ، فالتنثر قد يكون شعراً إذا اشتمل على لطف التخيل وروعة الشعور ، ولقد قال حسان لابنه عند ما وصف له زنبورا لسعه فأحسن الوصف وسما به إلى درجة جميلة من جمال الخيال والتخيل ، قال : قد قلت الشعر ورب الكعبة يابني ، وروى عن الأصمعي أنه قال : قلت لبشار بن برد إني رأيت رجال الرأى يتعجبون من أبياتك في المشورة فقال : أنا علمت أن المشاور بين إحدى الحسنين بين صواب يفوز بشمرته ، أو خطأ يشارك في مكروهه ، فقلت له : والله أنت في كلامك هذا أشعر منك في أبياتك ، فقد جعل الأصمعي وناهيك به من إمام في الأدب كلام بشار شعراً ، إذ قال له : أنت في هذا الكلام أشعر ، واسم التفضيل يقتضى المشاركة والزيادة ، فهذا أيضاً يدل على أنهم لا يخلصون الشعر بالمنظوم وأن الشعر قد يكون منثوراً . ولم يسم المنظوم شعراً لكونه ذا وزن وقافية ، بل لكونه في الغالب يتضمن المعاني الشعرية ، أو لأن العرب في العال لا تنظم الكلام إلا شعراً . ويؤيد ذلك أن العرب عدوا القرآن شعراً لسحره وروعة تصويره وبليغ أثره

٢ — وجمهور الأدباء على اشتراط الوزن في الشعر . ويقتصر بعضهم على الوزن مع الخيال والعاطفة والشعور والاحساس والالهام الفني الخاص وهؤلاء لا يشترطون في الشعر أن يكون مقفى بل هم يزدرون القافية ويدعون إلى اطراحها لأنها وإن تعددت في القصيدة الواحدة — تجعل كل قسم من أقسامها على قافية — هي قيد للشاعر وعبء ثقيل إذ لا تدع الشاعر حراً في

إظهار ما يريده من معنى أو شعور ، وهى السبب الأكبر لتأخر الشعر العربى عن الشعر فى الآداب الغربية ، ويرون أنها د عضو أثرى قد بقى من كلمات كان يكررها فى آخر كل بيت النادب فى المناحات والمتحمس فى الحرب والصدام يوم تولد الشعر فى عصور الجاهلية الأولى ، ولا بد من زواله بالتام لعدم فائدته اليوم ولتقييده الشعر فلا يتقدم حراً كبقية الفنون ، فاذا حرر الشعر من قيد القافية انصرف الشعراء إلى المعانى التى يريدونها لا إلى الألفاظ وإلى إظهار الشعور الحقيقى الذى تجيش به نفوسهم لا إلى الشعور الكاذب الذى تضطروهم إلى تصنعه ضرورة القافية وضرورة كونها على صورة خاصة من صور الاعراب فى آخر كل بيت (١) ،

ويقولون : إنه إذا اتسعت القوافى لشتى المعانى والمقاصد ، وانفرج مجال القول بزغت المواهب الشعرية على اختلافها ، ورأينا بيننا شعراء الرواية وشعراء الوصف وشعراء التمثيل ، وما كانت العرب تنسك القافية المرسلة فقد كان شعراؤهم يتساهلون فى التزام القافية (٢) كما فى قول الشاعر :

ألا هل ترى ان لم تكن أم مالك بملك يدى أن الكفاء قليل
رأى من رفيقه جفاء وغلظة إذا قام يبتاع القلوص ذميم
فقال أقلا واتركا الرحل انتى بمهلكة والعاقبات تدور
فبيناه يشرى رحله قال قائل لمن حمل رخو الملائط نجيب
وكقول غيره :

بنات وطاء على خد الليل لا يشكين عملا ما أنقين

(١) من مقال للشاعر جميل صدق الزهاوى نشره فى السياسة الأسبوعية

عدد ٣ - ٩ - ١٩٢٧

(٢) هذا خطأ وما ذكره من ذلك ليس إلا بقايا من آثار التطور الفنى فى العربى فى عصور نشأته الأولى . كما أن اختلاط الوزن فى قصيدة عبيد بن الأبرص كان أثرا من آثار التطور الفنى فى الشعر العربى فى عصور نشأته الغابرة

وقول الآخر :

جارية من ضبة بن أد كأنها في درعها المنعط

فعندهم القافية ليست من الشعر لأن الشعر بالوزن وحده فهو الموسيقى التي تميزه من النثر . وما الحرص على بقاء القافية المشتركة في القصيدة إلا نتيجة الألف والعادة فإذا ألفت الاسماع الشعر المرسل استهجنتم القوافي كما تستهجن الأذواق اليوم السجع في النثر .

ويرى هؤلاء أنه ليس في الأوزان القديمة كبير ضرر وهي في الأغلب أرقى من الأوزان الغربية لأن أكثر البحور مركب من تفاعيل مختلفة بخلاف ما تألف من مقاطع متشابهة ، والتركيب دليل الرقي . نعم قد لا يوافق أكثر هذه الأوزان ضروب الغناء العصري ولكن الذنب في ذلك على العربية نفسها فهي لا تلائم الأغاني الحديثة بخلاف اللغة العامية فهي أكثر ملاءمة لها وهؤلاء لا يتقيدون بأوزان الخليل الماثورة فعندهم الأوزان العربية ليست ستة عشر وزنا كما هو الشائع بل هي مع تفرعاتها قد تزيد على الخمسين ومن الميسر أكثر هذا العدد .

٣ - والجمهور على جعل القافية شرطاً سياسياً في الشعر ، ولا مانع عند بعضهم من تسهيل صعوبات القافية بتعدد القوافي في القصيدة الواحدة حسب أغراضها أو على نهج الخمسات والمربعات والموشحات والأراجيز وما شاكل ذلك .

٤ - ولكن هل الشعر لفظ ووزن وقافية فحسب ، يرى النقاد أنه لا يكفي فيه ذلك وأنه لابد أن يشتمل على معنى لطيف أو حكمة بارعة أو تشبيه جميل أو خيال بارع ، فالمعنى عنصر من أهم عناصره .

وهذا حق وصدق ، فالشعر لابد أن يحتوى مع الوزن والقافية على الهام فني رائع وشعور بالجمال مرهف وإحساس بالسكون والطبيعة والبيئة دقيق .

لا بد فيه من المعنى والخيال والعاطفة والشعور بالجمال وروعة التصوير له
وعمق النفوذ إلى أسرار المشاعر الانسانية العامة لتكون شعرا وليكون له
أثره ومكانه في الشعر .

ولو كان الشعر هذه الألفاظ الموزونة المقفاة فحسب له كان لغوا من
الكلام والشعور والاحساس .

يقول الامام محمد عبده : « لو سألوا الحقيقة أن تختار لها مكانا تشرف
منه على الكون لما اختارت غير بيت من الشعر . وقديما قال كعب الأحبار :
الشعراء أنا جيلهم في صدورهم تنطق ألسنتهم بالحكمة .

فما بالكلية حتى كثر السجع وفشا في كلامهم .

كان السجع في كلامهم في ذلك العهد الأول كالي ناصق التلغية وكانوا
يلتزمون السجع في أكثر كلامهم لاسيما كلامهم في خطبهم وخطبهم

ومناجياتهم في الصلاة والخطب والرسائل والخطب والخطب والخطب

في الخطب والخطب والخطب والخطب والخطب والخطب والخطب والخطب

الوزن في الكلام قد نزل من السجع في خطبهم وخطبهم وخطبهم

ومن الجائز أن يكون الكلام قد أنزل من غير قصد كإزاء واقعا

في كلام الناس ومجاورتهم كل يوم وقد وقع ذلك في القرآن أيضا فأنزل

نشأة الشعر

١ - والشعر الجاهلي لا يعقل أن يكون قد بدأ كما وصل إلينا في هذه القصائد الطويلة المهذبة التي يظهر فيها أثر الفن والجمال بل لابد أن يكون قد قطع مراحل كثيرة خلال الأجيال فدرج خلالها حتى وصل إلينا على هذه الصورة الفنية الكاملة .

وليس من المعقول أن يكون امرؤ القيس أو مهلهل هو أول من ابتكر الشعر ونظمه وقلده فيه الشعراء ، اليس هو الذي يقول :

عوجا على الظلال المحيل لعلنا نبكى الديار كما بكى ابن خدام
وابن خدام هذا شاعر جاهلي قديم ، قبل امرئ القيس طبعاً ، ولا تعرف عنه ولا من أخباره شيئاً (١) .

ويقول زهير :

ما أرانا نقول إلا معاراً أو معاداً عن قولنا مكروراً

ويقول عنتره :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم
إننا لا نعرف شيئاً عن نشأة الشعر ، ومن غير شك أنه سار في مراحل كثيرة حتى صار فناً مستقلاً مقصوداً وانفصل عن الغناء ، ثم أولاه الشعراء عناية فنية كبيرة ، وقالوا في أغراض الحياة الجديدة التي لم يقولوا فيها من قبل ويهمنا أن نبحث عن التدرج الفني في نشأة الشعر ، ثم نعرض للآراء في تاريخ نشأته ثم نعرض لذكر قدامى الشعر الجاهليين .

٢ - ولوصف التدرج الفني في نشأة الشعر نقول :

مر على كلام العرب ثلاثة أدوار انتقل فيها بمر الزمان من طور إلى طور فأولها دور البساطة وهو الدور الذى كان الكلام فيه بسيطاً ساذجاً خالياً من كل تفنن فى أسلوبه وتصنع فى ألفاظه .

ثم ارتقى مع الزمان بالتدريج حتى وجدت فيه القافية فانتقل بها إلى دوره الثانى وهو دور السجع . والسجع هو الكلام المقفى أو موالاة الكلام على روى واحد .

ولا شك أن هذا السجع انما وجد بادية بدء فى كلام بعض الأفراد وربما كان وجوده بطريق المصادفة إذ قد يتفق للمتكلم أن يأتى فى كلامه بمجملتين متفتحتين فى الآخر فى حرف واحد من غير قصد . وسواء كان وجود أول سبعة فى كلام العرب ناتجاً عن قصد أو غير قصد فلا بد أنها قد أعجبت السامعين وكان لها وقع فى نفوسهم لكونها شيئاً جديداً فى الكلام لم تطرق أسماعهم من قبل . ولا عجباً بهم بها صاروا يقلدون قائلها ويبارونه فى النطق بما يماثلها حتى كثر السجع وفشا فى كلامهم .

كان السجع فاشياً فى كلام العرب الأولين من أهل الجاهلية وكانوا يلتزمون السجع فى أكثر كلامهم لاسيما كلامهم فى خطبهم ومنافراتهم ومفاخراتهم سواء فى ذلك رجالهم ونسأؤهم حتى ولدانهم وجواريتهم الصغار وكتب الأدب مشحونة بأسجاعهم فاذا رجعت إليها وتدبرتها علمت أن العرب مارسوا السجع وزاولوه فى أزمنة طويلة حتى طبعوا عليه ، فاصبح لهم طبيعة تنتقل فيهم بالآثر الطبيعى من الآباء إلى الأبناء .

ثم إن الكلام بعد أن دخل فى دور السجع أى القافية واستمر فيه قرناً عديدة ارتقى منه إلى دوره الثالث وهو دور الوزن : وما لا يستراب فيه أن الوزن فى الكلام قد تولد من السجع .

ومن الجائز أن يكون الكلام قد أتى موزوناً من غير قصد كما راه واقعا فى كلام الناس ومحاوراتهم كل يوم وقد وقع ذلك فى القرآن أيضاً فتأتى

قرينتان من الكلام المسجع متطابقتين في الحركات والسكنات وذلك هو الوزن .

ساعد على الوصول إلى الوزن : الغناء والسجع فالمسافة بين الكلام والوزن قد قصرت بالسجع وازدادت قصرا باقتران السجع بالغناء فاقتران السجع بالغناء يزيد احتمال وقوع الوزن فيه بطريق الاتفاق والمصادفة ، كما ساعد على ذلك الرقص ، ثم ان احتمال وقوع الوزن في الكلام بطريق المصادفة يختلف قوة وضعفا باختلاف الاوزان الشعرية ببساطة وتركيبها فما كان من الاوزان أبسط كان ذلك الاحتمال فيه أكثر وأقوى والعكس بالعكس ونعني ببساطة الوزن هنا سهولته على القريحة وخفته على الطبع وقرب مأخذه من الكلام المشهور بحيث يكون انطلاق الانسان به سهلا وجرى الطبع عليه هينا .

وإذا نظرنا في أوزان الشعر وجدنا أبسطها الرجز إذ هو أسهلها على القريحة وأخفها على الطبع واقربها إلى النثر وما الفرق بينه وبين الكلام المسجوع سوى وزن قريب المأخذ سهل التناول حتى يصح أن يقال كل شاعر تبدأ شاعريته بالرجز وما ذلك إلا لسهولة وقرب مأخذه .

ويؤيد كون الرجز أول ما ظهر من الشعر ما ذكرناه من أن الرجز أقدم الشعر .

وقد كان الشعر كله عندهم اسمان الرجز والقصيد فكل مالم يكن رجزاً سموه قصيداً من أى بحر كان ويدل على ذلك قول الاغلب الراجز العجلى لما استنشدته المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة .

أرجزاً تريد أم قصيداً لقد سألت هينا موجودا

فالشعر عندهم أما رجز وأما قصيد ولا ثالث لهما . والقصيد اسم جنس جمعي واحده قصيدة . وإذا كان الرجز أقدم من القصيد لزم أن يكون هو أول وزن تولد من الكلام المسجع وذلك ما قلناه .

والخلاصة أن السجع حلقة اتصال بين النثر والنظم وإن الوزن متولد من السجع وإن أول مولود من أوزان الشعر هو الرجز وإن الشعر نشأ عن المصادفة وساعد على ظهوره الغناء والرقص .

وقال الرصافي الرجز مأخوذ من توقيع سير الجمال في الصحراء بحجة أنه أول ما استعمله العرب لسوق الجمال في الحدا هكذا قال كثير ، ومن الغريب أن صاحب هذا الرأي قد ادعى أن تقطيع الرجز يوافق وقع خطي الجمال مع أن في تقطيعه من سرعة الانحدار والتسرد وتدارك المقاطع ما ينافي كل المناقاة وقع خطي الجمال لما في تلك الخطي من التؤدة والرزانة بسبب انفساح مواقعها وطول القوائم المرتمية من تحت تلك الجثة العالية الضخمة . ولو سلمنا أن تقطيع الرجز يوافق وقع خطي الابل لما سلمنا أنه يلزم من ذلك كون الرجز مأخوذاً من وقع تلك الخطي إذ لو لزم منه ذلك للزم أن يكون وزن الكامل ولا سيما مجزؤه مأخوذاً أيضاً من وقع خطي الجمال بطريق الأولى لأنه يوافق وقع تلك الخطي أكثر من الرجز ويطابقها تمام المطابقة حتى أنك لو امتطيت جملاً وجعلت وهو سائر بك سيراً وتيدا تنشد عليه شعراً من الكامل أو مجزؤه لرأيت عند تمام كل جزء من تفاعيله وقع يد من يدي جملك كما هو ظاهر للتأمل .

فألفاظ الشاعر كانت سجعاً ثم صارت رجزاً ثم صارت شعراً والانقص من الأشعار والأقصر هي المتقدمة في النشأة لأن الطباع أسهل وقوعاً عليها ومن ذلك النوع القصير : الأبيات السائرة والأمثال والحكم القصيرة ويقول الأستاذ لطفی جمعة (١) ، إن العربي سمع أصوات النواخير (٢) وحفيف أوراق الأشجار وخرير الماء وبكاء الحمام ، فلذ له صوت تلك

(١) الشهاب الراصد ص ٢٧٧

(٢) هذا غريب من القول فأين النواخير وخرير الماء في الصحراء والبادية

الطبيعة المترنمة ، ولذله أن يبكي لبكائها وأن يكون صداها الحاكي لنغماتها فإذا هو ينظم الشعر من حيث لا يفهم أنه خيال قريحته ولا يدرك من أوزانه وضروبه إلا أنها صورة من حركات ناقته

وقال كليمان هيوار : إن الأسفار الطويلة على ظهور الإبل حبت إلى العربي نشيد الألحان يتلهم بها ويشقى ما يصيبه من أوصاب ، ثم أدرك العربي المنشد أو الحادى أنه كلما سارع فى الانشاد رفعت الناقة رأسها وأوسعت خطاها كأن بين خطاها وأوزان الشعر ارتباطا فظهرت تلك الضروب عفواً لأنها ثمرة طبيعية من ثمار العبقرية البدوية

٣ — ومن الناحية التاريخية لنشأة الشعر الجاهلى نقول : كتب مؤرخ يونانى هو « سوزومين » فى القرن الخامس الميلادى يقول : أنه فى الربع الأخير من القرن الرابع للمسيح تغلبت ملكة العرب مافيا على جيوش الرومان وهزمتها فى فلسطين وفينيقيا فنظم شعراء العرب الأناشيد والأغاني وحفظوها ورددوها وتغنوا بها تخليداً للانتصار . وأثبت سانت تيلوس أحد حكام القسطنطينية وقد ترهب فى آخر القرن الرابع الميلادى أنه سمع أناشيد العرب الجميلة من صحراء سيناء (٣)

قال شعر العربى المحكى قديم يرجع عهده إلى القرن الرابع لليلاد ويقول ابن سلام (١) : « ولم يكن لأوائل العرب من الشعراء إلا الآيات يقولها الرجل فى الحاجة تعرض له كقول دويد بن زيد حين حضره الموت وهو جاهلى قديم :

اليوم يبنى لدويد بيته لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرنى واحداً ككفيته

(١) ٢٧٨ الشهاب الراصد

(٢) ٢٩٤ ج ٢ المزهرة ١٧٠ طبقات الشعراء لابن سلام (٧)

وإنما قصدت القصائد على عهد عبد المطلب أو هاشم بن عبد مناف ، ،
 وكان أول بادىء لهذه النهضة الشعرية وسائر في اتجاهها المهمل بن ربيعة .
 ثم جاء امرؤ القيس ، رفع اللواء ، فكان أول من وقف واستوقف وبكى
 واستبكى ووصف النساء بالطباء والمها والبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصى
 وفرق بين القصيد وما سواه من القصيدة وقرب مأخذ الكلام وقيد أوابده
 وأجاد الاستعارة والتشبيه والكتابة ، ورقق الأسلوب وجعله عذبا جزلا
 وأول من يروى له قصيدة تبلغ ثلاثين بيتا من الشعر مهمل (١) ، ثم
 ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم ، ثم ضمرة الكنانى ، وكان بين هؤلاء وبين
 الإسلام أربع مائة سنة .

وجاء امرؤ القيس بعد هؤلاء بمائتين وخمسين سنة تقريبا

٤ — وبعد فإن الباحثين يختلفون في أول من أحدث هذه النهضة الفنية
 في الشعر فذهب أطال فيه ، وأسماء مهمل وامرؤ القيس والأفوه الأودى
 ولقيط بن يعمر الأيادى وعمرو بن قيس تتردد في هذا المجال . ويقول
 السيوطى في مزهره نقلا عن عمر بن شبة م ٢٦٢ هـ : « للشعر والشعراء
 أول لا يوقف عليه وقد اختلف في ذلك العلماء وادعت كل قبيلة لشاعرها أنه
 الأول ولم يدعوا ذلك لقائل البيتين والثلاثة لأنهم لا يسمون ذلك شعرا ،
 فادعت اليمانية لامرؤ القيس ، وبنو أسد لعبيد بن الأبرص ، وتغلب لمهمل

(١) هو مهمل بن ربيعة ، ومهمل لقب له سمي به لأنه أول من أرق المراثى
 واسمه عدى . وقيل سمي مهمل لقوله :

هملت أثار جابرا أو صنبلا

(راجع ١٢٩ ج ٢ الأمل)

وفيه يقول الفرزدق : ومهمل الشعر ذاك الأول . ويقول ابن سلام في
 طبقات الشعراء : وأول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهمل بن ربيعة التغلبى
 (٢١ طبقات الشعراء ، ٢٩٥ ج ٢ المزهر للسيوطى)

وبكر لعمر و بن قميّة والمرقش الأكبر ، وإياد لأبي دؤاد ، وزعم بعضهم أن
الافوه الأودي أقدم من هؤلاء وأنه أول من قصد القصيد ، وهؤلاء النفر
مقاربون لعل أقدمهم لا يسبق الهجرة بمائة سنة أو نحوها (١)

٥ - وقد ضاع من الشعر الجاهلي الكثير ، ولم يحفظ من الموزون عشره (٢) ، ولا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب كما يقول ابن سلام (٣) ، وكان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول ومأمدح به هو وأهل بيته فصار ذلك إلى بني مروان (٣) ويقول أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير (٤)

(١) ٢٩٦ ج ٢ المزهرة طبع صحيح

(٢) ٢٩٢ ج ٢ المرجع (٣) ٢٩٣ ج ٢ المرجع ٢ وص ١٦ طبقات الشعراء

لابن سلام طبع المطبعة المحمودية (٤) ١٦ طبقات الشعراء

الشعر في الجاهلية

— ١ —

تمهيد :

كان الشعر في الجاهلية ديوان العرب ، والمصور لآمالهم وآلامهم وحياتهم ومشاهد الوجود بينهم ، أودعوه وقائعهم ومفاخرهم واحسابهم وأنسابهم وأيامهم وآثارهم وذكرىاتهم وأوصاف بيئتهم وكان له سحره وروعة تأثيره في نفوسهم ، إذ كان صوت القبيلة ، ولسان القوم ، والذائد الحامي الذمار ، والمدافع عن الأحساب والأنساب والشرف ، والناطق بالحجة ، والداعى إلى الخير . وكان الشعراء ذوى مكانة كبيرة بينهم ، فهم الذين ينطقون بمجد القبيلة ، ويفخرون بحلالها وماضى أيامها . وحسبك من مكانة الشعر عند العرب أنه لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن المعجز نظمته المحكم تأليفه وأعجب قريشاً ما سمعوا منه قالوا : ما هذا إلا سحر ، وقالوا فى النبي شاعر نتربص به ريب المنون . ويقول الأصمعى : الشعر جزل من كلام العرب ، تقام به المجالس ، وتستتج به الحوائج ، وتشفى به السخائم ،

ونبغ فى الشعر كثير من الشعراء والشاعرات ، مما خلدت ذكرهم كتب الأدب والشعر ومصادرهما الأولى

ولا تزال مصادر الأدب والشعر الجاهلى صورة ناطقة ببلاغتهم وسحرهم وشدة تأثيرهم وقوة بلاغتهم وجلالة أثرهم فى حياة العرب فى جزيرتهم طول هذا العصر الجاهلى الغابر

ومن قدر الشعر عندهم أن كانت القبيلة إذا نبغ فيها الشاعر أتت القبائل

فهنأتها بذلك ووضعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمازاهر كما يصنعن في الأعراس ، وكانوا لا يهتفون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج . وكانت البنات ينفقن إذا شبب بهن الشعراء .

ولم يترك العرب شيئاً مما وقعت عليه أعينهم أو وقع إلى آذانهم أو اعتقدوه في أنفسهم إلا نظموه في سمط من الشعر حتى إنك ترى مجموع أشعارهم ديواناً فيه من عوائدهم وأخلاقهم وآدابهم وأيامهم وما يستحسنون ويستهجنون ، ولذلك قالوا : كان الشعر ديوان العرب ومعدن حكمتها وكنز أدبها .

وقال دعبيل : كان امرؤ القيس من أدباء الملوك ، وكان من أهل بيته وبنى أبيه أكثر من ثلاثين ملكاً فبادوا وباد ذكرهم ونقى ذكره إلى يوم القيامة وإنما أمسك ذكره شعره ،

- ٢ -

تأثير الشعر في النفوس :

وبعد فقد كان الشعر في الجاهلية هو المقيد لأيامها والشاهد على أخبارها والناطق بمجدها والمصور لمفاخرها . وكان لكل قبيلة شاعرها الذي يزود عنها ويناضل عن شرفها ويساجل خصومها وينازلهم في كل مجال . وكانت العرب أمة يسحرها البيان وتروعها البلاغة ويستببد بأعجابها الشعر المجيد البليغ .

كان الشعر قوة فعالة في الحياة الجاهلية ، وكان له تأثيره في نفوسهم وسلطانته في حياتهم وقدره وخطره فيما بينهم ، يرفع الخامل ويضع الفذ العظيم ، وينوه بشأن القبيلة ويزرى بأعدائها وخصومها ، ويحفظه الناس ويروونه وينشدونه في كل مكان .

وقصة المحلق الكلابي مع الأعشى حيث استضافه وأكرمه وكان فقيراً
مملقاً وكانت له بنات عوانس ، فمدحه الأعشى بقصيدته :

أرقت وما هذا السهاد المورق وما بي من سقم وما بي تعشق
ومنها :

أعمرى لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقر ورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق
فسارت القصيدة في كل مكان ، وخطب بنات المحلق الكثير من
سادات العرب

وذهب الأعشى قاصداً رسول الله ليمدحه ويعلم إسلامه وكان قد
نظم قصيدته :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدنا وبت كما بات السليم مسهدنا
فتصدت له قريش وحالت بينه وبين ذلك خوفاً من تأثير شعره وأهدت
له هدية سنينة فرجع

والذين هجوا فوضعوا من قدر من هجوه ، ومدحوا فرفعوا من قدر
من مدحوه كثيرون مشهورون في الجاهلية وبعدها (١)

- ٣ -

عشاه بسكتا

منزلة الشاعر :

١- وكان للشاعر في الجاهلية منزلة كبيرة وشأن خطير لأنه هو الذي
ينطق بمجد القبيلة ويشيد بآثرها ومفاخرها وأحسابها وأبطالها ، ويرد على
خصومها ويذود عنها أعداءها ، وكانت القبيلة في الجاهلية تفرح إذا نبغ فيها
شاعر فرحاً عظيماً ، قال ابن رشيق :

(١) راجع من رفعه الشعر ووضعه الهجاء ٤١٤ ج ٣ العقد

وكانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الأطعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأفراس وتبشش الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليد لما أثرهم وإشادة بذكرهم وكانوا يهنأون بسلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج

٢ -- وكان للشاعر مكانته الكبيرة في الحياة الاجتماعية في الجاهلية فهو لسان القبيلة وحكمها ، ينطق فلا يعارض ، ويستشفع فيشفع ، ويقول فيصغي لقوله ، ويشير فلا يرد له رأى

٣ -- وكان الشاعر أرفع قدراً من الخطيب فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدراً من الشاعر (١) . ويقول أبو عمرو بن العلاء : كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذى يقيد عليهم ما أثرهم ويفخم شأنهم فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوق وتسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر (٢)

- ٤ -

التكسب بالشعر :

ولم يكن الشعر في الجاهلية وعظمة شأن الشاعر كان الشعراء يأنفون أن يمدحوا إنساناً إلا لأغراض شريفة ومقاصد نبيلة . حتى وجدت طبقة من الشعراء قصدت بشعرها الملوك والأمراء وانتجعت الرؤساء والأشراف وأزرت بالشعر ومكانته والشاعر ومنزلته إزراء شديداً ومن هؤلاء الشعراء الذين تكسبوا بالشعر :

(١) ٣/٢٥٩ البيان والتبيين للجماحظ

(٢) ١٧٠ ج ١ المرجع

١ — النابغة الذبياني ، فقد قصد بشعره ملوك الحيرة وغسان يمدحهم ويثنى عليهم ويشيد بأعمالهم فأغدقوا عليه المال وكافأوه على ذلك مكافأة كبيرة ، ولكنه مع ذلك كان يعتز بنفسه كثيراً ، فيقول عن ملوك بني غسان يخاطب النعمان بن المنذر يعتذر إليه

ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم أحكم في أمواهم وأقرب

ب — وزهير ، فقد مدح هرم بن سنان والحارث عوف ، وأشاد بهرم إشادة البليغ الشاعر الساحر

ج — وكذلك أمية بن أبي الصلت ، وهو القائل يمدح عبدالله بن جدعان وكان سيدا جوادا مضيافا :

كريم لا يغيره صباح عن الخلق الجميل ولا مساء

يبارى الريح مكرمة ومجدا إذا ما الكلب أجحره الشتاء

فهل تخفى السماء على بصير وهل بالشمس طالعة خفاء

د — وكذلك الأعشى فقد جاب البلاد ومدح الرؤساء وسواهم وتكسب بشعره تكسبا شديدا ، وقالوا إنه أول من سأل بشعره ^(١) .

ه — ثم جاء بعد هؤلاء الخطيئة فاتخذ الشعر تجارة ومكسبا وحرقة بين الناس .

وذلك مما غض بالشعر ، وأزرى به عند الخاصة .

(١) ٢٩ طبقات الشعراء لابن سلام ، والمرقش الأكبر هو أول من اطل

المدح ٢٩٩ ج ٢ المزهري ،

شاعرية العرب

أ - الشعر الجاهلي كثير كثرة هائلة ، والشعراء المعروفون بالشعر في قبائلهم وعشائرتهم في الجاهلية والاسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط ، أو يقف من وراء عددهم واقف ، ولو أنقذ عمره في التنقيب عنهم ، واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال ، ولا أحسب أحدا من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفقه منها شاعر إلا عرفه ، ولا قصيدة إلا رواها (١) ، ويذكر ابن قتيبة أن أبا ضمضم أنشد شعرا لمائة شاعر كلهم اسمهم عمرو (١) .

ب - فما السر في هذه الشاعرية التي لم تعرف لأمة من الأمم من قبل ولا من بعد ؟ .

١ - أول أسباب شاعرية العرب هو الصحراء وجوها الذي يوحى بالشعر ويلهم الخيال ويذكى العاطفة ويثير الشعور .

٢ - وثانيها هو حياة العرب أنفسهم في الجاهلية ، هذه الحياة الحماسية التي دفعتهم إليها عواطفهم الشائرة ، ووجدتهم في قلب هذه الصحراء الواسعة المترامية الأطراف ، ورجوع العربي إلى عاطفته أكثر مما يرجع إلى عقله وتنقله في بطن الصحراء على جملة أو فرسه وسط الرمال والجبال والبتات ، وحاجته إلى الغناء في هذه الوحدة الشاملة ليسلي هموم نفسه وأحزانها وآلامها .

٣ - هذا الاستعداد الفطري للشعر في نفس كل عربي وعربية مما كان يذكى الخيال ، ويولده التأمل وتلك الحياة الشبيهة بالحياة الصوفية المتبلة .

٤ - فوق ظروف الحياة الاجتماعية في الصحراء وكثرة حروبهم وغاراتهم وحاجتهم إلى الترنم بمفاخرهم وما آثرهم وأحسابهم وأنسابهم ، مما لا بد فيه

من نوع جميل من الأدب يخلده ويرويه ويذيعه بين الناس وليس هذا النوع سوى الشعر .

٥ — قوة حافظة العرب وانهم أمة أمية تعتمد على الذاكرة لا على التدوين والشعر أسهل في الحافظة رواية وأبقى تعلقا بالخطر .

٦ — يضاف إلى ذلك اللغة العربية نفسها فانها بإقرار الباحثين في أصول اللغات لغة شعرية برنين مفرداتها وأساليبها وروحها ومعانيها .

٧ — إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة ، التي من أهمها هذا الفراغ الكثير الذي كان يتمتع به العربي لعدم اشتغاله بصناعة أو تدبير ملك وسياسة أو إدارة مرافق دولة .

ح — وبعد فقد كان العرب شعراء بالفطرة ، ونظم الشعر كل عربي وعربية ، كما نظمهم الملوك والأمراء والسادة والحكام والقرصان والصعاليك (١) والعبيد وسواهم من شتى الطبقات ، وما بلغ حد الكثرة الهائلة لولا أن ضاع أغلبه على مر الأجيال حتى قال أبو عمرو بن العلاء . « ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجامكم علم كثير وشعر كثير (٢) » .

لون الشعر العربي الجاهلي

١ — ينقسم الشعر عند الأفرنج إلى : غنائى وقصصى وتمثيلي . وقد ظهرت هذه الأنواع في الشعر اليونانى ، الذى قلده الرومانيون بالنظم فى شتى هذه الألوان ، كما بنى الشعر الأوروبى الحديث على الأصول اليونانية اللاتينية من حيث الأقسام الثلاثة المعروفة .

أما الشعر القصصى . فهو الذى يصور الوقائع والعادات وأحوال الشعوب

(١) منهم تأبط شرا وعروة بن الورد وسواهما .

(٢) ٢٩٤ ج ٢ المزهرة .

ويصف الاجتماع وسير الأبطال ، ويستوحى الآلهة والأساطير .

وأما الشعر التمثيلي فيعتمد على الحوار وتمثيل الحوادث والأشخاص وإظهار حركاتهم وما في خواطرهم من مشاعر ونزعات .

وأما الشعر الوجداني أو الغنائي فيصور العواطف الانسانية ومشاعر الشاعر وأفكاره ونزعاته ويتحدث عن الجمال والطبيعة حديث المتأمل المفكر فهو يعبر عن الشاعر وخواطره وآماله وآلامه وأحلامه وتأملاته ومشاعره تعبيراً صادقاً واضحاً قوياً مؤثراً .

ب — والشعر العربي أو الجاهلي بصفة خاصة شعر غنائي لا أثر للون القصصي أو التمثيلي فيه ، فهو يمثل عواطف الشاعر ومشاعره ، وينبع من الفطرة والوجدان والخيال والحياة العامة

لم يكن الشاعر الجاهلي قاصاً فلم ينظم الشعر القصصي ، وإنما كان ينطق بما يمليه عليه شعوره ووجدانه ويتحدث عن نفسه ومجتمعه وبيئته . ذلكم أن الشعر القصصي يحتاج إلى نفس طويل وفراغ كثير ، وروح فنية متحضرة أو هو لون من ألوان الحضارة لأنه تدوين وتأريخ لقصة من قصص الأبطال أو فترة من تاريخ الأمة وحياتها ، والعربي لم يكن يعرف أسباب الحضارة ولا وسائلها من الكتابة والتدوين والتأريخ . وإن كان بعض الشعراء الجاهليين قد أجاد في القصص الشعري الصغير ، كقول امرئ القيس :

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال
فقلت سباك الله إنك فاضحي ألسنت ترى السمار والناس أحوالى
فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالى
وقول الأسود بن يعفر :

ماذا أو مل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد إباد
جرت الرياح على محل ديارهم فسكانهم كانوا على ميعاد

فأرى النعيم وكل ما يلهمي به يوما يصير إلى بلى ونفاد

إلى غير ذلك من الكثير من ألوان هذا القصص الشعري الصغير ولكن مهما كان فلا نجد في الشعر الجاهلي شعرا قصصيا بالمعنى المعروف ، إذ لا نجد قصائد تصور حياة الأبطال مثلا في عدة آلاف من الأبيات ، ونفس العربي لا يساعده على هذا الطول ، فوق قيود الوزن والقافية فضلا عن أن شدة تعلق العربي بالحرية ونزوعه إليها وإلى الاستقلال بذاته عن عمداءه ، دعت به إلى أن يوجه همهته إلى وصف عواطفه وتحليل مشاعره وذكر ما يعيش فيه من سلام وحرب وشوق وحنين ، إلى مأسوى ذلك من شتى ألوان شعوره مما صبغ شعره بصبغة غنائية وجدانية خالصة ، وإن كان لا ينفي ذلك أن الشعر الجاهلي أشد ما يكون تمثيلا للبيئة الجاهلية وللحياة العربية فيها لأن كل ذلك كان وثيق الصلة بنفس الشاعر ووجدانه .

ح - كذلك لم ينظم الشاعر الجاهلي شعرا تمثيلا ، لأن هذا لون من الشعر يحتاج إلى لون من ألوان المعيشة المتحضرة وإلى قبس من روح الفلسفة والتفكير العميق والنظرات البعيدة للأشياء والحياة ، وذلك ما لم يكن له وجود عند العرب في جاهليتهم .

وإن كان بعض الشعراء الجاهليين قد أكثر من الحوار العادي الساذج القصير في شعره ، مما تجده في بعض القصائد الجاهلية (١) ولكن ليس هذا اللون هو ما نعينه بالشعر التمثيلي .

(١) مثل قول الأعشى :

كن كالسموأل إذ طاف إلهام به في جحفل ، كهزيل الليل ، جرار
إذ سامه خطي خسف ، فقال له قل ماتشاء ، فاني سامع ، حار

إلى آخر هذه الأبيات

د — وهذا لا يعيب الشعر الجاهلي ولا ينقص من قيمته ، فهو وان كان شعرا غنائيا فقد جال في كل ميدان وتحدث في كل ناحية ، ووصف مشاهد البيئة ومناظر الطبيعة ومشاعر النفس البشرية واحساساتها ، مما لا يزال شاهدا صدق ومؤرخ حق للحياة في الجاهلية وما كان فيها من أحداث وانقلابات وحروب وخصومات ، وما كان يختلج بنفس الشاعر من آمال وآلام وعواطف ووجدانات وبحسبه ذلك نغما وخلودات

تنقل الشعر في القبائل

١ — يقول ابن سلام :

« وكان شعر الجاهلية في ربيعة ، وأولهم : المهلهل ، والمرقشان ، وسعد ابن مالك ، وطرفة ، وعمرو بن قميئة ، والحارث بن حلزة ، والمتلس ، والأعشى ، والمسيب بن علس

ثم تحول في قيس ، فمنهم : النابغة الذبياني ، وزهير ، وابنه كعب ، ولييد والجدى ، والحطيئة ، والشماخ ، ومزرد ، وخدش بن زهير

ثم آل إلى تميم ، فلم يزل فيهم إلى اليوم (١) ، وخلاصة ذلك أن الشعر كان في اليمن ثم انتقل إلى ربيعة فظهر في قبائلها وعلى ألسنه شعرائها ، ثم انتقل إلى قيس بن مضر ، ثم استقر في تميم ومنهم أوس بن حجر (٢)

٢ — ويذهب طه حسين في الأدب الجاهلي كما سيأتى إلى عكس ذلك ، فيرى أن الشعر كان في مضر ثم انتقل إلى ربيعة فاليمن ثم إلى شعراء الموالى (٣) وهذا بناء على نظريته في انتقال الشعر وسيأتى تفصيل ذلك ورأى طه حسين وهم غريب لا سند له من الواقع والتاريخ ، ويرد عليه الأستاذ محمد لطفي جمعه في كتابه « الشهاب الراسد » (٤) ،

فالواقع أن الشعر كان في القبائل اليمنية ، ومنهم : امرؤ القيس (٥) وسواه ثم انتقل إلى ربيعة وهى قبائل كثيرة منها بكر وتغلب وعبد القيس والنمر بن

(١) ٢١ و ٢٢ طبقات الشعراء لابن سلام طبع المطبعة المحمودية ، ٢/٢٩٥

المزهر للسيوطي (٢) وكان زهير راويته « ٢٩٦ ج ٢ المزهر »

(٣) ٢٠٦ الأدب الجاهلي (٤) راجع ٢٩٦ وما بعدها من الشهاب الراسد

(٥) والمهلهل خال امرئ القيس . « وكان امرؤ القيس وطرفة وعبيد وعمرو

ابن قميئة والمتلس في عصر واحد » « ٢٢ طبقات الشعراء لابن سلام »

قاسط ويشكر وشيبان وذهل وسدوس ، وكانوا قديما يقيمون في اليمن ثم رحلوا إلى نجد ، وهذا يفسر سر وراثتهم الشعر عن اليمن ، وظهر منهم في نجد شعراء كثيرون : كالمهل ، والمرقشان ، وطرفة ، والمتلس ، وعمرو بن قميئة ، وسعد بن مالك ، والمسيب ، والأعشى ، والحارث بن حلزة ، وعمرو ابن كلثوم . ثم تحول الشعر في قيس من مضر ، ولقيس بطون كثيرة منها : عبس وذبيان وغطفان وسليم وهوازن وعدوان وثقيف وعامر بن صعصعة وعقيل وقشير وجعدة ونمير ، وكانت مساكن هذه القبائل في نجد وأعلى الحجاز ، وظهر منهم كثير من الشعراء : كالنابغتان ، وزهير ، وابنه كعب ، ولييد ، والحطيئة ، والشماخ ، ومزرد ، وعنترة . ثم استقر الشعر في تميم وهي من كبرى قبائل مضر ، ولها بطون كثيرة منها : مازن ودارم ويربوع ومجاشع ومالك ، وكانت تميم تقيم في تهامة ونزحت إلى بادية العراق ومايلها جنوبا قبل الإسلام بنحو خمسين ومائة سنة ، ومن شعرائها أوس . ثم ظهر الشعر في بطون مدركة بعد ذلك : من هذيل وأسد وكنانة وقريش والدئل أما المدن فشعراؤها قليل ومن أشهرهم : حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلوات الله عليه

شياطين الشعراء

١ — كان العقل البشري في العصر الجاهلي لم يستحكم نضوجه الفكري والاجتماعي ، وكان الناس كثيرا ما يعيشون على الأوهام . وللعرب أوهام كثيرة نزلت عندهم منزلة الحقائق

فقد كانوا يعتقدون بوجود الغول وأنها تتشاكل وتتلون في ضروب الثياب والصور ، ويقول تأبط شرا :

ألا من مبلغ فتیان فهم بما لاقیت عند ریحی بطن

بأنی قد لقيت الغول تلوی بمرت كالصحيفة صحصحان

إلى آخر هذه الآيات

وكانوا ينسبون إلى الجن أساطير وخرافات (١) ، ويذكرون أن من مدنيهم « عبقر » التي ينسبون إليها كل فائق الصفة من الأشياء وكل غريب الشكل من الناس بل كل ما أرادوا تمييزه عن أنواعه من المعاني . قال أعرابي : « ظلمني والله ظلما عبقريا » ، وللرسول (ص) في عمر : « فلم أرى عبقريا يفري فريه » ، وأكثر صعاليك العرب من التحدث عن الجن : كعمرو بن براق ، والشنفرى والسليك بن السليكة وتأبط شرا وسواهم . ويرى أبو إسحاق النظام - كما رواه الجاحظ في الحيوان - أن أصل ذلك كله هو الأوهام الناشئة عن الحياة في أرض مقفرة بعيدة عن العمران قليلة المسالك والمعالم مما يحدث للسائر فيها ألوانا من الخوف النفسى ، ويقول عبيد بن أيوب وكان جوابا في مجاهر الأرض يشرح أسباب الخوف وما ينشأ من الوهم :

فله در الغول أى رفيقة لصاحب قفر خائف متنظر

وقد كثر في الشعر الجاهلى ذكر الجن والغيلان والسعالى وسوى ذلك ٢ - وأدى ذلك إلى أن جعل العرب للشياطين شعراء يلهمونهم الشعر والخيال ، وسموهم بأسماء ، وافتخر كل شاعر بشيطانة . ولا شك أن كل ذلك ناشىء عن تصورهم للجن فحين رأوا الشاعر إنسانا يختلف في أطواره عن مشابهيه وينزل بفكره إلى أودية لم يعتادوا الخوض فيها وحين رأوا الكلامه فعل الخمر وتأثير السحر وأنه إذا أراد قبح الحسن وحسن القبيح فأدخل على النفوس الوهم بقبحه أو حسنه فبان رائقا معجبا وجميلا فاتنا ، وأنه إذا شاء أوغر الصدور ، ثم إذا شاء أطفأ هذه النار التي ألهبها وأنام هذه الفتنة التي أيقظها وأنه هو الذى جمع في قلب واحد بين الفتك والنسك والعهر والطهر فكان عابدا متخشعا ثم طامعا متطلعا وقانعاً متعففا ثم جبارا متصلفا ، وأنه

(١) راجع حديث سواد بن قارب لعمر بن الخطاب حول كلام جنى اسواد

في صدق الرسول صلوات الله عليه « ٢٥ و ٢٦ الجمهرة »

هو رب الحكمة يرسلها نور هدى والكلمة الفاجرة يجعلها شرك عمالية
وغواية ، وأنه القادر على ما شاء من برهان وبهتان . لما كان هذا شأن الشاعر
وكان فيه إنسانا لشیطان توهموا أن روح ذلك الشيطان لا يسته فنطق بهواها
وأدى فحواها

ومن شياطين الشعراء الشيصبان ، ولا فظ شیطان امرئ القيس ، وهبيد
شیطان عبيد ، وهاذر صاحب النابغة ، ومسجل صاحب الأعشى الى ماسوى
ذلك من شياطين الشعراء

٣ — وصور الجاهليون عقيدتهم حول «شياطين الشعراء» في شعرهم فقال شاعر:
فان شیطانی أمیر الجن يذهب بی فی الشعر کل فن
وقال حسان :

ولی صاحب من بنی الشيصبان فطورا أقول وطورا هوه
وقال الأعشى فی شیطانه مسجل :

دعوت خليلی مسجلا ودعوا له جهنم ، جدعا للجهن المذم
وجهنم : شیطان عمرو بن قطن

ويقول أيضا : إذا مسجل یسدى لی القول أعلق . وراجع أسطورة عن
هبيد صاحب عبيد فی الجمهرة (١) وفی الجمهرة : « لشعراء العرب شياطين
تنطق به علی ألسنتها (٢) »

ومن أسماء شياطين الشعراء : هياب ، وهاذر صاحب النابغة ، ولا فظ
صاحب امرئ القيس (٣) وسوى ذلك

٤ — ويرد ابن حزم (٤) عقيدة العرب فی شياطين الشعراء إلى ما ألقى فی
روعهم من أن الجن مظنة القوة والتفوق علی الإنس فنسبوا إليهم كل عظيم
يعجز عنه البشر

(١) ص ٢٠ و ٢١ الجمهرة ط ١٩٢٦ (٢) ص ٢٢ المرجع (٣)

(٤) ص ٣٢ ج ٥ الملل والنحل (٣) راجع ٢٣ و ٢٤ من المرجع

طبقات الشعراء الجاهليين

— ١ —

الطبقة كل جماعة عاشوا متقاربين في الزمان وجرت عليهم أحكام واحدة من تأثير البيئة وان لم يتحدوا في المنزع أو يدخلوا في مناقضة أو يتزاحموا على باب ملك (١) ومعنى الطبقة أنهم نظراء (٢) وأهم قرييون من بعض في منزلتهم الأدبية العامة وان اختلفوا في اتجاهاتهم الفنية وإنجازهم الفني .

والشعراء أربع طبقات : جاهليون ومخضرمون واسلاميون ومولدون وهم الذين فسدت فيهم ملكة اللسان فعالجوها بالصناعة وهم شعراء بني العباس (٣) ، ويضيف اليهم الشهاب الخفاجي : المحدثون ثم المتأخرون والعصريون (٤)

والمخضرمون هم الذين أدركوا الجاهلية والاسلام وقالوا فيه الشعر كالجعدى والخطيئة وحسان ، أما لبيد فجاء على لأنه حرم الشعر على نفسه بعد إسلامه ولم يقل إلا بيتا أو بيتين فيه (٥)

(١) ٤٠١ الأدب العباسي لمحمود مصطفى (٢) ٨٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب

(٣) ٤٥ تاريخ الأدب العربي للزيات ، و ٣١٠ الريحانة للشهاب الخفاجي

(٤) ٣١٠ و ٣١١ الريحانة للشهاب الخفاجي

(٥) يقول ابن سلام : وكان لبيد فارسا شاعرا شجاعا وكان عذب المنطق

رقيق حواشي الكلام وكتب عمر إلى عامله أن سل لبيدا والأغلب ما أحدثا من الشعر في الاسلام ، فقال الأغلب :

أوجزا سألت أم قصيدا فقد سألت هينا موجودا

وقال لبيد : قد أبدلني الله سورة البقرة وآل عمران فزاد عمر في عطائه .

وكان في الجاهلية خير شاعر لقومه يمدحهم ويرثيهم ويعمد أيامهم ووقائعهم

وفرسانهم (٤٨ طبقات الشعراء)

أما الاسلاميون فهم الذين نشأوا في الاسلام الى آخر عهد الدولة الاموية والمحدثون بعد ذلك وهم العباسيون. وقال ابن رشيقي : طبقات الشعراء أربع جاهلي ومخضرم وإسلامي ومحدث ثم صار المحدثون طبقات أولى وثانية على التدرج إلى وقتنا ٣٠٤ ج ٢ م زهر .

— ٢ —

ويقسم ابن سلام في كتابه « طبقات الشعراء » شعراء الجاهلية إلى عشر طبقات ، وهي .

- ١ - الطبقة الأولى : امرؤ القيس ، والنابعة ، وزهير ، والأعشى .
- ٢ - الثانية : كعب والحطيئة .
- ٣ - الثالثة : الجعدى وأبو ذؤيب والشمخ ، ولبيد .
- ٤ - الرابعة : طرفة وعبيد وعلقمة وعدى .
- ٥ - الخامسة : خدش والاسود بن يعفر والمخبل وتميم بن أبي بن مقبل

٦ - والطبقة السادسة : عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعنترة وسويد بن أبي كاهل

٧ - والطبقة السابعة : سلامة بن جندل والحصين بن الحمام المرى والمتلس والمسيب

٨ - والطبقة الثامنة : عمرو بن قميئة والنمر بن توب وأوس ابن علفاء وعوف بن عطية .

٩ - والطبقة التاسعة : ضابئ بن الحارث وسويد بن كراع بن الحويدرة وسحيم

١٠ - والطبقة العاشرة : ابن الأسكر ، وابن محفض والكميت وعمرو

بن شاس

١١ - ويضيف إليهم أصحاب المراثي وهم . متمم والخنساء وأعشى باهله وكعب بن سعد . ثم شعراء القرى العربية وهي :

- ١ — المدينة وشعراؤها حسان وكعب بن مالك وابن رواحة وقيس بن الخطيم وابن الأسلت ويهودها الشعراء : السموأل والربيع بن أبي الحقيق وكعب بن الأشرف وشرح بن عمران وشعبة بن غريظ وأبو قيس بن رفاعه وأبو الذيال ودرهم بن زيد .
- ب — ومكة وشعراؤها : ابن حزافة وهبيرة وابن الزبيري وأبو طالب وأبو سفيان ومسافر وضرار بن الخطاب وأبو عزة الجمحي .
- ج — الطائف وشعراؤها أبو الصلت ، وأمية بن أبي الصلت ، وغيلان وكنانة بن عبد يا ليل .
- د — والبحرين وشعراؤها المثقب والممزق العبدى والمفضل .
- ونلاحظ أنه يضع الشعراء المخضرمين مع الجاهليين ، لأنهم أدركوا جانباً من الجاهلية .

— ٣ —

- وقال أبو عبيدة :
- أشعر الناس أهل الوبر خاصة وهم :
- ١ — امرؤ القيس ، وزهير ، والنابعة .
- ب — وفي الطبقة الثانية : الأعشى ، ولييد ، وطرفة .
- ج — وفي الطبقة الثالثة : المرقش ، وكعب بن زهير ، والخطيئة ، وخداش ودريد بن الصمة ، وعنترة ، وعروة بن الورد ، والنمر بن تولب والشمخ ، وعمرو بن أحر .
- قال صاحب الجهرة : والقول عندنا ما قال أبو عبيدة :
- امرؤ القيس ثم زهير والنابعة والأعشى ولييد وعمرو وطرفة (١)
- (١) ٤٥ الجهرة . ويلاحظ أن فيما عددهم أبو عبيدة في الطبقة الثالثة شعراء =

وأما أشعر الشعراء الجاهليين فقد اختلفوا فيه ، قال عمر بن شبة في «طبقات الشعراء» : وادعت كل قبيلة لشاعرها أنه الأول ، فأدعت اليمانية لامرئ القيس ، وبنو أسد لعبيد بن الأبرص ، وتغلب لمهل ، وبكر لعمر و ابن قيس المرقش الأكبر ، وإياد لأبي دؤاد (١)

وحكى الأصمعي عن ابن أبي طرفة : كفاك من الشعراء أربعة زهير إذا رغب والنابعة إذا رهب والأعشى إذا طرب وعنترة إذا كلب ، وقيل لكثير أو لنصيب : من أشعر العرب ؟ فقال امرؤ القيس إذا ركب وزهير إذا رغب والنابعة إذا رهب والأعشى إذا شرب (٢)

وقال أبو عمرو : أشعر الناس : امرؤ القيس والنابعة وطرفة ومهل . وروى عن رسول الله (ص) في امرئ القيس . أنه أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار ، وقال العباس بن عبد المطلب عن امرئ القيس هو سابق الشعراء (٣) ، وقدمه كذلك الفرزدق (٤) وقتيبة بن مسلم (٥) ومروان بن أبي حفصة (٣٨١ ج ٣ العقد) .

= مخضرمون ، والمخضرمون مشتق من الخضرمة وهي القطع ويقال بعير مخضرم إذا قطع طرف أذنه فسمى الشاعر مخضرمًا لانقطاعه عن الجاهلية إلى الاسلام أو لأن رتبة المخضرمين في الشعر قد نقصت في الاسلام ، وقيل هو من الخضرمة بالخاء وهي الخططة لأنه خلط الجاهلية والاسلام (٣٠٤ و ٢/٣٠٥ المزهري) (١) ٢/٢٩٦ المزهري .

(٢) ٢/٢٩٧ المزهري (٣) ٢/٢٩٦ المزهري (٤) ٢/٢٩٧ المزهري . وكان الفرزدق أروى الناس لأخيار امرئ القيس وأشعاره (٣٥٣/٤ العقد) ، وراجع يوم دارة جابل فيه (٤/٣٥٢)

(٥) ٢/٢٩٨ المرجع

وقدم خلف الأعشى ، وكذلك سوى خلف من العلماء (٣٠٠ ج ٢
المزهر) ، وكذلك الأخطل (٤٥ الجهرة)

وقدم جرير زهيراً ، وكذلك قدمه ابن أحر (١) ، ويروى أن جريراً
قدمه على الشعراء (١) .

وكان علماء البصرة يقدمون امرأ القيس وأهل الكوفة يقدمون الأعشى
وأهل الحجاز والبادية يقدمون زهيراً والناطقة وكان أهل العالية لا يعدلون
بالناطقة أحداً وأهل الحجاز لا يعدلون بزهير أحداً (١)

والخلاف في تقديم شاعر من هؤلاء الشعراء على الآخرين كثير ولا داعي
للافاضة فيه (٢)

والذين يقدمون امرأ القيس يقدمونه لكثرة ما ابتكر من معانٍ وخلق
من أساليب في الغزل وسواه (٣) .

والذين يقدمون الناطقة يقولون هو أوضحهم معنى وأبعدهم غاية
وأكثرهم فائدة (٤) .

والذين يقدمون زهيراً فلو ضوح أسلوبه وجمال نظمه وتأليفه وحسن
سبكه وتنوع فنونه .

والذين يقدمون الأعشى يقولون هو أمدحهم لللوك وأوصفهم للخمر
وأغزرهم شعراً وأحسنهم قريضاً (٥)

والذين قدموا لبداً قالوا هو أفضلهم في الجاهلية والاسلام وأقلهم
لغواً في شعره (٥) .

(١) ٢/٢٩٩ المرجع (٢) راجع في ذلك ٣١ — ٤٦ من الجهرة

(٣) راجع ٢/٢٩٧ المزهر وراجع ٣١ الجهرة و ٣٤ الشعر والشعراء

(٤) ٣٣ الجهرة وما بعدها

(٥) ٣٨ الجهرة وكانت عائشة رضي الله عنها تروى ألف بيت للبيد (٣٨٢/٣ العقد)

والذين قدموا عمرو بن كلثوم قالوا هو من قدماء الشعراء وأعزهم
نفسا وأكبرهم امتناعا وأجودهم واحدة^(١).
والذين قدموا طرفة قالوا هو أشعرهم إذ بلغ بجدائه سنه ما بلغ القوم
في طول أعمارهم ، نخب وركض معهم^(٢)

— ٥ —

ويقسمون الشعراء إلى أربعة : شاعر خنذيد وهو الذي يجمع إلى جودة
الشعر رواية الجيد من شعر غيره ، وشاعر مفلق وهو الذي لا رواية له
إلا أنه مجيد كالخنذيد في شعره ، وشاعر فقط وهو فوق الرديء بدرجة ،
وشعور وهو لا شيء له ، قال بعض الشعراء .

يارابع الشعراء كيف هجوتني وزعمت أني مفهم لا أنطق
وقيل بل هم . شاعر مفلق وشاعر مطبق وشويعر وشعور^(٣)

وقال العباس بن عبد المطلب عن امرئ القيس لا يفتقر الشاعر
إلى رواية الجيد من شعر غيره ، وشاعر مفلق وهو الذي لا رواية له
إلا أنه مجيد كالخنذيد في شعره ، وشاعر فقط وهو فوق الرديء بدرجة ،
وشعور وهو لا شيء له ، قال بعض الشعراء .

يقسمون الشعراء إلى أربعة : شاعر خنذيد وهو الذي يجمع إلى جودة
الشعر رواية الجيد من شعر غيره ، وشاعر مفلق وهو الذي لا رواية له
إلا أنه مجيد كالخنذيد في شعره ، وشاعر فقط وهو فوق الرديء بدرجة ،
وشعور وهو لا شيء له ، قال بعض الشعراء .

يقسمون الشعراء إلى أربعة : شاعر خنذيد وهو الذي يجمع إلى جودة
الشعر رواية الجيد من شعر غيره ، وشاعر مفلق وهو الذي لا رواية له
إلا أنه مجيد كالخنذيد في شعره ، وشاعر فقط وهو فوق الرديء بدرجة ،
وشعور وهو لا شيء له ، قال بعض الشعراء .

(١) ٤٠ المرجع

(٢) ٤١ المرجع

(٣) ٢/٣٠٥ المزهر وراجع ٢١ - ٢٢٤ البيان والتبيين للجاحظ (٥)

صلة الشعر العربي بالتاريخ

والشعر العربي الجاهلي كما يقول ابن فارس « ديوان العرب وبه حفظت الأنساب وعرفت المآثر ، ومنه تعلمت اللغة ، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله وغريب حديث رسوله صلوات الله عليه ^(١) ، وهو كما يقول ابن سلام : « ديوان علمهم ومنتهى حكمتهم به يأخذون واليه يصيرون ^(٢) ، وبحق أن الشعر الجاهلي وثيق الصلة بحياة الجاهليين وعاداتهم وأخلاقهم ومعارفهم لأنه يمثلها أصدق تمثيل ، مما يجعله سجلا لتاريخ العرب قبل الاسلام وإذا كان العرب في الجاهلية لم يستطيعوا تخليد حياتهم وتاريخهم في كتاب أو على الآثار ، فقد خلدوها على صفحات شعرهم الذي ضمنوه أخبارهم وحياتهم وأسماء بلادهم وحيواناتهم ونباتهم ، وأودعوه عاداتهم وتقاليدهم ومعارفهم وحروبهم ومجتمعاتهم ، حتى كان الشعر الجاهلي أكبر مصدر تاريخي لحياة العرب في الجاهلية ، وفيه أسماء محبوباتهم وأبطالهم وشعوبهم وقبائلهم وأيامهم وقائعهم وأسماء منازلهم ومياههم وعتاق خيولهم وأوصاف سيوفهم وملاعب ولدانهم إلى ما سوى ذلك مما سبق الأمام به .

الشعر الجاهلي صورة لأخلاق العرب في الجاهلية

وأهم أخلاق العربي قبل الاسلام . الشجاعة والكرم والوفاء والأنفة والآباء والحمية والعفة وحب الاستقامة والأخذ بالثأر .

يمثل شجاعتهم قول عمرو بن معد يكرب :

هم يندرون دمي وأنذر إن لقيت بان أشدا
كم من أخ لي صالح بوأته يسدي لحدا

ما إن جزعت ولا هلمت ولا يرد بكاي زندا
الْبَسْتَهْ أُوَابَهْ وخلقت يوم خلقت جلدا

وقول الحصين بن الحمام المرى :

تأخرت أستبق الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما
فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وقول وداك .

إذا استنجدوا لم يسألوهم من دعاهم لآية حرب أم بأى مكان
وبمثل كرمهم قول عتبة بن بجير :

وقالوا غريب طارق طوحت به متون الفيافي والخطوب الطوانح
فقمتم ولم أجثم مكان ولم تقم مع النفس علات البخيل الفواضح
وناديت شبلا فاستجاب وربما ضمنا قرى عشر لمن لا نصافح
فقيام أبو ضيف كريم كأنه وقد جد من فرط الفسكاهاة مازح
إلى جذم مال قد نهكنا سوامه وأعراضنا فيه بواق صحائح
جعلناه دون الذم حتى كأنه إذا عد مال المسكرين المنائح (١)
لنا حمد أرياب المئين ولا يرى إلى بيتنا مال مع الليل رائح

ويمثل عفتهم قول النابغة :

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحبون بالريحان يوم السبائب
وقول ابن الأظنابة :

المانعين من الخنا جاراتهم والحاشدين على طعام النازل

وقول شقران :

أولئك قومي بارك الله فيهم على كل حال ما أعف وأكرما

وقول حجر بن حية العبسى :

(١) جمع منسجة وهى الناقة أو الشاة تدفع إلى الجار ليفتنح بابنها مادام فيها ابن

لأحرم الجارة الدنيا إذا اقتربت ولا أقوام بها في الحى أخويها
إلى غير ذلك مما يمثل شتى أخلاقهم تمام التصوير
الشعر الجاهلى سجل لعقائد العرب

ورغم ما ضاع من الشعر الوثقى للعرب فى جاهليتهم فقد بقى منه الكثير
مما يعطيك صورة واضحة لحياة العرب الدينية
١ — يقول عبد العزى المزنى يحلف بمناة :

إنى حلفت يمين صدق برة بمناة عند محل آل الخزرج
ويقول أوس بن حجر يحلف باللات والعزى :
وباللات والعزى ومن داند دينها وبالله إن الله منهم أكبر
ويقول عبيد فى « اليعسوب » وهو صنم لجديلة طىء وكان لهم صنم أخذته
منهم بنو أسد فتبدلوا « اليعسوب » بعده

فتبدلوا « اليعسوب » بعد إلههم صنما فقرؤا ياجدیل وأعذبوا
إلى غير ذلك مما قيل الأصنام والأوثان
ب — وكان من العرب دهريون ، ويقول شاعر منهم :

منع البقاء تقلب الشمس وطلوعها من حيث لا تمسى
وطلوعها حمراء صافية وغروبها صفراء كالورس
تجرى على كبد السماء كما يجرى حمام الموت فى النفس
اليوم أعلم ما يحى به ومضى بفصل قضائه أمس

ج — وكان منهم الثأرون على الوثنية المتطلعون لدين من التوحيد ، قال
زيد بن عمرو بن نفيل :

أربا واحدا أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور
عجبت وفى الليالى معجبات وفى الأيام يعرفها البصير
يأن الله قد أفنى رجالا كثيرا كان شأنهم الفجور

ويقول أمية بن أبي الصلت :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا بالخير صبحنا ربي ومسانا

رب الحنيفة لم تنفذ خزائنه مملوءة طبق الآفاق أشطانا

وقال النابغة :

مجلتهم ذات الآله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب

وقال الأعشى :

استأثر الله بالوفاء وبالعهد ل ، وولى الملامة الرجال

وقال أبو قيس صرمة من بني النجار :

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسُه وكل هلال

يا بني الأرحام لا تقطعوها وصلوها قصيرة من طوال

يا بني النجوم لا تظلموها إن ظلم النجوم داء عضال

ولكثير من الشعراء الجاهليين حتى امرئ القيس أشعار تدل على

عقيدتهم الدينية ، أليس هو الذي ينسب إليه .

الله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيصة الرجل

ويقول : ومن الطريقة جائر وهدى قصد السبيل ومنه ذو دخل

معارف العرب في الشعر الجاهلي

والشعر الجاهلي يصور لك معارف العرب في جاهليتهم بوضوح ودقة

فحول الطب ومعرفتهم به الكثير من الآيات التي تدل بصورة واضحة

على هذا اللون من معارفهم ، قال الشاعر :

فهل لكم فيها إلى فاني خير بما أعيا الغطاس حديما

وفي العرافة جاء قول الشاعر :

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد إن هما شفياني

ويدل على معرفتهم بالكتابة قول لبيد :

وجلا السيول عن الطلول كأنها رير نجد متونها أقلامها

وقول المرقش :
 " كما رقص في ظهر الاديم قلم ،

وفي معرفتهم يا ملاحة قول عمرو بن كلثوم

ملأنا البر حتى ضاق عنا ونحن البحر نملؤه سفينا
وقول طرفة :

كان حذو ج المالكية غدوة
عدولية أو من سفن ابن يامن
يشق حباب الماء حيزومها بها
وفي الزجر قول الشاعر :

خبير بنو هلب فلا تك ملغيا مقالة لهي إذا الطير مرت
إلى غير ذلك من شتى أشعارهم التي تدل على معارفهم

الشعر الجاهلي والحياة الاجتماعية عند العرب

والشعر الجاهلي يصور لنا الحياة الاجتماعية في الجاهلية وعادات العرب فيها أدق تصوير .

١ - فقد كانوا يطلقون نساءهم ، قال الأعشى .
أيا جارتى بينى فانك طالقة كذاك أمور الناس غاد وطارقة
وكانوا يتزوجون نساء آبائهم بعد وفاتهم ، قال عمرو بن معد يكرب
فلولا إخوانى وبني منها ملأت لها بنى شطب يمينى

٢ - وكانوا يشربون الخمر ، قال عنتره
فاذا سكرت فانى مستهلك مالى وعرضى وافر لم يكلم
وإذا صحت فما أقصر عن ندى وكما علت شمائلى وتكرمى
وقال عمرو بن كلثوم

ألا هبى بصحنك فأصبحنا ولا تبق خمر الأندرينا
وكان بعضهم يحرمها على نفسه ، قال قيس بن عاصم :
لعمرك إن الخمر ما دمت شاربا لسالبة مالى ومذهبة عقلى
٣ - وكانوا يعنون بالخيال أتم عناية ، وحفظ الشعر الجاهلي أسماء
الكثير منها ، قال الحارث بن عباد :

قربا مربوط النعمامة منى لقحت حرب وائل عن حبال^(١)
ويقول بشر بن أبى خازم فى الفخر
وبكل أجرد سابح ذى ميعه متاحل فى آل أعوج ينتمى

وكانوا يحضرون الحلبة (١) ويشتركون في السباق ، قال عنتره :

فلله عينا من رأى مثل مالك عقيرة قوم إذ جرى فرسان

فليتهما لم يجرىا قيد خطوة وليتهما لم يرسلأ لرهان

وفي سباق داحس والغبراء وقعت هذه الحرب المشهورة .

٤ — وكانوا يعقرون نوقهم وأفراسهم على قبور العظماء ، من ذلك

قول الشاعر :

فاذا مررت بقبره فانضح به كوم الجلاذ وكل طرف سابح

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخادم وذبايح

٥ — والميسر والقمار عندهم شائع ، قال لبيد :

وجزور أيسار دعوت لحقتها بمغالق متشابه أجسامها

وقال امرؤ القيس :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

٦ — وكانوا يستقسمون بالأزلام ، فاذا أرادوا عمل شيء جاءوا إلى

هبل وهو أعظم صنم لقريش بمكة في الكعبة ومعهم مائة درهم فأعطوها

صاحب القداح أجرأ له حتى يجيل القداح لهم ، وهي سبعة محفظة عند

خازن الكعبة . اثنان للبضى في الأمور المهمة أو للتريث فيها كتب على أحدهما

«أمرني ربى» وعلى الآخر «نهاني ربى» ، وثلاثة لمعرفة النسب على أحدهما

«منكم» وعلى الثاني «من غيركم» وعلى الثالث «ملصق» ، واثنان لمعرفة القتاتل

على أحدهما «عقل» وعلى الثاني «غفل» ، وكانوا يستقسمون عند ذى الخلصة

أيضاً ، واستقسم عنده امرؤ القيس حين عزم على الأخذ بثأر أبيه فهناه فقال :

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا لم تنه عن قتل العداة زورا

(١) هي الدفعة من الخيل في الرهان وخيل يجتمع للسباق من كل أوب ،

وتطلق على مكان السباق تجوزاً

٧ — ومن عاداتهم تعليق الحلى والخلاخل على اللدبغ ليفيق ، قال
النابغة .

فبت كأن ساورتني ضيلة من الرقش في أنيابها السم نافع
يسهد من ليل التمام سليمها حللى النساء في يديه قداقع
٨ — ومن عاداتهم تحريم الخمر على أنفسهم في مدة طلب الثأر ، قال
تأبط شراً .

فأدر كنا الثأر فيهم ولما ينبج من الحيان إلا الأقل
جملت الخمر وكانت حلالا وبلائى ما أملت تحلل
٩ — وكانوا يتدون بناتهم ، وكان ذلك في بعض القبائل وخوف
الفقر أو العار وذلك مشهور لاداعى للكلام فيه . ويفتخر الفرزدق بجده
في الجاهلية لأنه أجار البنات حتى لا يوأدن فيقول .

أجار بنات الوائدين ومن يجر من الموت فاعلم أنه غير مخفر
١٠ — وكانوا إذا أوردوا البقر فلم ترد ضربوا الثور ليقتحم البقر بعده
قال الشاعر .

إني وقتلى سليكا ثم أعقله كالثور يضرب لما عاقت البقر
وإذا أصاب الجرب الأبل كواوا الصحيح ليبرأ السقيم ، قال النابغة .
وكلفتني ذنب امرئ وتركته كذى العر يكوى غيره وهو رافع

١١ — وإذا قتل منهم قتيل لم يؤخذ بشاره قالوا : انه يخرج من رأسه هامة
فتنادى على قبره : اسقوني فاني صديقه ، قال ذو الأصبع العدواني :

يا عمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى أضربك حتى تقول الهامة أسقوني
وكانوا يؤخرون البكاء على القتيل ويحرمون الخمر عليهم حتى يؤخذ بشاره

١٢ — وكان الرجل البغيض إذا نزل ضيفا عندهم أكرموه فاذا رحل
كسروا شيئا من الأواني وراه حتى لا يعود ، قال الشاعر :

كسرنا القدر بعد أبي سواح فعاد وقد رنا ذهب ضياعا

وقال آخر :

ولا نكسر الكيزان في أثر ضيفنا ولكننا نقضيه إذا ليرجعا

١٣ - وكانوا يعتقدون أن المرأة إذا شقت رداء الرجل وشق الرجل يرقعها صلاح حبهما ودام ، قال سحيم :

وكم شققنا من رداء محبير ومن برقع عن طفلة غير عابس

تروم بهذا الفعل بقيا على الهوى وألف الهوى يغري بهدى الوسوس

وكان النساء إذا غاب عنهن من يحببنه أخذن ترابا من موضع قدمه ويزعن أن ذلك أسرع في رجوعه ، قالت امرأة .

أخذت ترابا من مواطىء رجله غداة غدى ، كيما يؤوب مسلما

١٤ - وكانوا يحيون الملوك بالريحان في الأعياد ، قال النابغة د يحيون بالريحان يوم السياسة .

١٥ - النسيء وهو تأخير حرمة القتال في المحرم إلى صفر ، وكانت كنانة هي التي يلجأ إليها في ذلك ، قال عمرو بن قيس الكنانى الشاعر الجاهلى

ألسنا الناسئين على معد شهر الحل نجعلها حراما

١٦ - وكان الرجل منهم إذا أراد سفرا عمد إلى شجرة وشد غصنين منها فان رجع ووجدهما على غير حالهما علم أن أهله خاتته . ويسمون ذلك عقد الرتم وهو ضرب من الشجر واحدة رتمة ، والرتمة والرتيمة خيط يشد على الأصبع تستدكر به الحاجة ، قال شاعر :

خاتته لما رأت شيئا بمفرقه وغره حلفها ، والعقد للرتم

١٧ - ومنها ذهب خدر الرجل بذكر الحبيب ، ويقول الشاعر

وأنت لعينى قرة حين نلتقى وذكرك يشفينى إذا خدرت رجلى

١٨ - وكانوا يستشفون من عضه الكلب بدم الرؤساء وشرب قطرة

منه مخلوطة بالماء قال الشاعر :

بثاة مكارم وأساءة كلم دماؤهم من الكلب الشفاء

١٩ — وكانت العرب تؤرخ بالنجوم ، ثم أرخوا بالحوادث المشهورة فأرخوا بعام الفيل ، وأرخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي لجلالته فيهم .

إلى غير ذلك من شتى عاداتهم التي يمثلها الشعر الجاهلي أرق تمثيل

٢٠ — ويقول نيكلسون : « إن الشعر الجاهلي وصف نقدي لحياة الجاهلية وأفكارها ، ومعظم الشعر الذي قيده أبو تمام خاص بشجاعة العرب في الحروب وصبرهم على الشدائد ، ورأى نيكلسون أن شعر الحماسة يعد صورة لحياة الجاهلية ووصفا لأخلاقهم . »

رواية الشعر

١ - لم تكن العرب تدون شعرها في الجاهلية في ديوان أو سفر وإنما كان محفوظا في الصدور ، تعيه حافظتهم وقلوبهم وأذواقهم وملكانهم الأدبية الفطرية .

وقد تعجب مما تقرأ من رواة العرب بعد الاسلام وكثرة ما كانوا يحفظون ، ولكن لا عجب ، فملكات الذكاء والحفظ قوية عند العرب وكانت تعينهم على تخليد الشعر العربي حتى لا يضيع .

ولقد كان الأصمعي يقول : ما بلغت الحلم حتى رويت اثني عشرة ألف أرجوزة ، وكان خلف أروى الناس للشعر وأعلمهم بحجده ، وكان يخلف مع روايته وحفظه . يقول الشعر فيحسن وينحله الشعراء ويقال إن القصيدة .

إن بالشعر الذي دون سلع لقتيلا دمه ما يطل
خلف الأحمر نحلها ابن أخت تأبط شرا . وكذلك كان يفعل حماد يحقق
الشعر القديم ويقول : ما من شاعر إلا قد حققت في شعره أبياتا فجازت عنه
إلا أعشى بكر فاني لم أزد في شعره غير بيت ^(١) . ويقول المفضل : سلط
على الشعر من حماد ما أفسده .

ورغم هذه الرواية والحافظة القوية فقد ضاع الكثير من الشعر العربي
الجاهلي وغيره ، حتى قال أبو عمرو بن العلاء ، ما انتهى إليكم مما قالت العرب
إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاؤكم علم وشعر كثير ^(٢) .

وأصيب الشعر العربي مع الضياع بالافتراء والاختلاق عليه من بعض

(١) راجع ٣/٤٠٢ العقد

(٢) ٢/٢٩٤ المزهر

الرواء لأسباب كثيرة منها العصبية أو الرغبة في تفادي الأجرأ
أو سوى ذلك .

ولكن النقاد اهتموا بتمييز الصحيح من المنحول ونبهوا على الكثير
من المخلأق ، وألفوا كتباً كثيرة جمعوا فيها ما صح من الشعر الجاهلي والآثار
الأدبية الأأرى .

٢ - وكان لكل شاعر راوية يحفظ شعره وينشده ويأخذ من الشاعر
فن الشعر ومذهبه في القريض .

فكان امرؤ القيس راوية أنى دؤاد الأيادى ، وزهير راوية اوس بن
أجر ، والأعشى راوية المسبب ، كما كان الخطيئة راوية زهير .

هذا وسيأتى ذكر لكثير من رواة الشعر الجاهلي

الرجز في العصر الجاهلي

١- كان الشعر الجاهلي قبل أن ينتقل إلى النهضة الفنية الواسعة على يد مهلهل وامرئ القيس كان كله رجزا ، ينطق الشاعر بالبيت أو البيتين فيما يعرض له من شئون الحياة ، كالأبيات التي تؤثر عن دويد بن زيد والعنبر بن عمرو ابن تميم وأعصر بن سعد والمنوغر بن ربيعة وسواهم (١) ولكن هذا الرجز كان خاليا من آثار التهذيب ، ونخل شأنه بهذه النهضة الفنية في الشعر على يد امرئ القيس وسواه

٢- ثم جاء الأغلب العجلي ، فاتخذ الرجز صناعة فنية ونظم وأجاد فيه فكان الأغلب أول من طول شعر الرجز ، ويرى بعض النقاد كالجحى وغيره أنه أول من رجز ، وينفى ذلك ابن رشيق لأن الأغلب أدرك عصر الرسول (ص) وليس بقديم جدا مع أن الرجز كان قبله . ويذكر أبو عبيدة أن العجاج هو أول من أطال الرجز وقصده وشبب فيه وذكر الديار واستوقف الصحاب عليها واستوصف ما فيها وبكى على الشباب ووصف الراحلة ، كما فعلت الشعراء بالقصيدة فكان في الرجاز كامرئ القيس في الشعراء وارجوزته « قد جبر الدين الاله فخير » نحو من مائة بيت وهي موقوفة مقيدة (٢) ، ويؤيد ابن قتيبة أن الأغلب هو أول من أطال الرجز (٣) وهو الصحيح ، وأما العجاج فقد انتقل بالرجز خطوة جديدة فسار فيه على نهج الشعراء في القصيدة

٣- واشتهر بعد ذلك من الرجاز : العجاج وابنه رؤبة ، وأبو نخيلة ، وأبو النجم ، ودكين ، والأغلب

(١) ٢٩٤ و ٢/٢٩٥ المزهر ، ١٨ - ٢١ طبقات الشعراء

(٢) راجع في ذلك كله ص ٣٠١ / ٢ المزهر ، ٢٤٥ وما بعدها طبقات الشعراء

(٣) ٢٣٥ الشعر والشعراء

النقد الأدبي في الجاهلية

- ٧ -

النقد الأدبي هو الحكم الذي تصدره على الشعر والنثر ، وهو عند المحدثين تقدير النص الأدبي تقديراً صحيحاً وبيان قيمته ودرجته الأدبية (١) ، وهو كما أقول : تحليل الآثار الأدبية والحكم عليها وبيان قيمتها الأدبية والموازنة بينها وبين ما يشابهها من الآثار ، وأصول النقد قراءة وفهم وتفسير وحكم ، والغرض منه دراسة الأساليب أو السكتاب أو الآراء والأفكار (٢) لم يكن النقد الأدبي عند العرب في أول نشأته بهذا اللون من الدراسة والموازنة ، إنما كان تعبيراً خاطفاً ينم عن رأى في الإجابة أو الاستهجان للنصوص الأدبية العامة ، ثم تدرج في الدقة إلى أحكامه الأدبية عصرًا بعد عصر حتى وصل إلى ما هو عليه وعلى ما نفهمه الآن

نشأ النقد في الجاهلية مرتجلاً ، وكان هينا يسيراً ملائماً لروح العصر وللشعر العربي نفسه (٣) ، وعربي النشأة كالشعر لم يتأثر بثورات أجنبية ولم يقيم إلا على الذوق العربي السليم (٤)

وجد في أطوار تهذيب الشعر وفي اختيار المعلقات وتعليقها على الكعبة (٥) وفي حكومة أم جندب بين امرئ القيس وعلقمة (٦) ، وحكومة النابغة

(١) أصول النقد الأدبي للشايب (٢) ٩٠ وما بعدها مقدمة لدراسة بلاغة العرب

(٣) ٢٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب (٤) ٢٥ تاريخ النقد الأدبي عند العرب (٥)

٣٧٩/٣ العقد (٦) ١٢٨/٨ الأغاني ، ونقد الرافعي هذه الحكومة (٢٢٥ - ٢٣٤/٣

آداب العرب للرافعي) وتابعه في ذلك محمد هاشم (١٨٤ الأدب العربي في العصر الجاهلي)

ويرتاب باحث في صحة هذه الحكومة ويرى جورها ويقول وامل ذلك مما حمل

ابن المعتز على أن يذكر هذه القصيدة فيما أنكره من شعر امرئ القيس

(٢١ و ٢٢ تاريخ النقد الأدبي عند العرب)

بين الشعراء وكان تضرب له قبة حمراء في عكاظ ويأتيه الشعراء وينشدونه أشعارهم (١) ، ومن حكم ربيعة بن حذار الأسدي على الزبرقان بن بدر والمخبل السعدي وعبد بن الطيب وعمرو بن الأهتم (٢) ، ووجد في نقد الشعراء للشعر ، فامرؤ القيس يمر بكعب وأخويه : الغضبان والقعقاع فأنشدوه فقال . إني لأعجب كيف لا تمتلئ عليكم نارا جودة شعركم فسموا بني النار (٣) ويقول النابغة : أشعر الشعراء من استجيد كذبه وأضحك رديئه (٤) ، وسمى كعب الغنوي كعب الأمثال لكثرة ما في شعره (٥) منها ، وسمى طفيل الغنوي طفيل الخيل لكثرة وصفه إياها والنمر بن قولب المحبر لحسن شعره (٦) ، وسموا قصيدة سويد بن أبي كاهل بسطت رابعة الجبل لنا اليتيمة كما سموا بعد ذلك خطبة لسحبان الشوهاة لحسنها (٧) ، ويقول زهير ويروي لحسان وان أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا

ورأى ليبد بعد شيخوخته أن أشعر الناس امرؤ القيس ثم طريقة ثم نفسه (٨) إلى غير ذلك من مظاهر النقد في الجاهلية

- ٢ -

صور من النقد الأدبي في الجاهلية :

١ - كان النابغة تضرب له قبة حمراء في سوق عكاظ فتأتيه الشعراء

(١) ١٢٣ الشعر والشعراء

(٢) ١٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب (٣) ٧٠ من المؤلف للأمدى

(٤) ٢٥٦ سر الفصاحة لابن سنان ، ٥٠ و ٢/٥٨ العمدة (٥) ٣٤١ معجم الشعراء

(٦) ١٨٤ المؤلف ، ٢/١١٢ العمدة (٧) ١/٢٢٥ البيان والتبيين

(٨) ٢٠ الجمهرة ، ٣/٣٨٠ . ويقول ابن عبد ربه :

وهذا - أي تفضيل شاعر وأنه أشعر الشعراء - مما لا يدرك غايته ولا يوقف على حد منه والشعر لا يفوت به أحد ولا يأتي منه بديع إلا ما أتى بما هو أبداع منه ، ولله در القائل : أشعر الناس من أنت في شعره (٣٨١/٣ العقد)

وتنشده أشعارها ، فأتاه الأعشى فأنشده ، ثم أتاه حسان فأنشده ، فقال :
لولا أن أبا بصير أنشدني أنفا لقلت أنك أشعر الجن والانس ، قال حسان :
والله لأنا أشعر منك ومن أبيك وجدك ، فقبض النابغة على يده ثم قال يا ابن
أخي أنت لا تحسن أن تقول :

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت أن المتأى عنك واسع
ثم قال للخنساء فأنشدته :

قذى بعينك أم بالعين عوار أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار ؟
فلما بلغت قولها :

وان صخرأ ثأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
قال : ما رأيت ذا مثانة أشعر منك قالت ولا ذا خصيتين (١) وتزاد في هذه
الرواية زيادات فيها مبالغة كثيرة تتصل بنقد قول حسان :

لنا الجففات الغريلمعن بالضحي وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنا
وهي مشهورة ولاداعي لذكرها

٢ — وسمع طرفة وهو صغير بيت المسيب بن علس :

وقد أتناسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم
فنقده وأزرى به بقوله : «استنوق الجمل» لأنه وصف الفحل بالصيعرية
وهي عندهم من صفات إناث الإبل

٣ — وتنازع امرؤ القيس وعلقمة بن عبدة حول قصيدتين لهما وأيهما
أشعر من الآخر ، والقصيدتان في وصف الفرس والصيد ، ومطلع قصيدة
امرئ القيس :

خليلى مربى على أم جندب لنقضى حاجات الفؤاد المعذب

ومطلع قصيدة علقمة:

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقا كل هذا التجنب
فتحا كما إلى أم جندب الطائفة زوج امرىء القيس ، ففضلت علقمة عليه
قالت وقد سمعت قول امرىء القيس :
فللسوط أهوب وللساق درة وللزجر منه وقع أهوج منعب (١)
وقول علقمة :

فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه يمر كمر الرائح المتحلب
فقالت له : فرس علقمة أجود من فرسك لأنك حركته بساقل
وامتريته بسوطك وزجرته بصوتك ، وأدرك فرس علقمة ثانيا من عنانه
٤ — وقال الأعشى يمدح قيس بن معديكرب :

ونبت قيساً ولم أبله وقد زعموا ساد أهل اللين
فعاثوا عليه قوله زعموا ، . إلى غير ذلك من مظاهر النقد في الجاهلية

(١) الأهوب : شدة الجرى . الدرة : الجرى اللين . الأهوج : اللاحق .

المنعب : الذى يستعين بصوته .

فنون الشعر الجاهلي أو أغراضه

— ١ —

أغراض الشعر هي فنونه وموضوعاته التي يقول فيها الشعراء من مدح وهجاء وفخر ورثاء وغزل وحكمة وماشاكل هذه الموضوعات التي عرفها الشعر والشعراء من قديم

وأغراض الشعر طرقها الشعراء فنا ولكن لم يصطلحوا عليها اصطلاحاً ، وكانت أقسام الشعر في الجاهلية كما يقول أبو هلال خمسة : المديح والهجاء والوصف والتشبيب والمراثي حتى زاد فيها النابغة سادساً هو الاعتذار فأحسن فيه ولا أعرف أحداً من المحدثين بلغ مبلغه فيه إلا البحتري (١) ، وليس للعرب شيء ينسب إلى التهامي وما جاء عنهم من شكها فهو من جملة المدح (٢) وقالوا : بنى الشعر على المدح والهجاء والتشبيب والرثاء ، وقالوا قواعد الشعر : الرغبة ومنها يكون المدح والشكر ، والرغبة ومعها يكون الاعتذار والاستعطاف ، والطرب ومعها يكون الشوق ورقة التشبيب ، والغضب ومعها يكون الهجاء والعتاب . وقال الرماني أكثر أغراض الشعر خمسة : التشبيب والمدح والهجاء والفخر والوصف (٣)

وقالوا : للشعراء فنون كثيرة تجمعها أربعة : المديح والهجاء والحكمة واللمو ؛ ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون : فمن المديح المراثي والافتخار والشكر واللفظ في المسألة وغير ذلك مما أشبهه وقارب معناه ، ومن الهجاء الذم والعتاب والاستبطاء والتأنيب وما أشبه ذلك وجانسه ، ومن الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ وما شاكل ذلك ، ومن اللهو الغزل

* زيادة على المنهج الدراسي المقرر (١) ١/٩١ ديوان المعاني

(٢) ١/٩٢ المرجع (٣) ١/١٠٠ العمدة

والطرد وصفة الخمر وما أشبه ذلك وقاربه (١) . وأول من عد فنون الشعر ووهيز بينها تمييزاً هو أبو تمام فإنه رتب كتابه الحماسة في عشرة أبواب :

الحماسة ، والمراثي ، والأدب ، والتشبيب ، والهجاء ، والأضياف والمديح ، والصفات ، والسير ، والملح ومذمة النساء

أما الباحثرى فقد خالف أبا تمام في ذلك وجعل حماسته التي عارض بها حماسه أستاذة أبي تمام ١٧٤ باباً وأهداها للفتح بن خاقان . ونجد الحماسة البصرية (٢) لأبي الحسن البصري اثني عشر باباً . الحماسة والمديح . الرثاء . الأدب . الغزل . الأضياف . الهجاء . مذمة النساء . الصفات . النعوت . السير . الأكاذيب والخرافات . الزهد

ويجعل عبد العزيز بن أبي الأصبع أغراض الشعر ثمانية عشر (٣) ورواة الشعر العربي في العصور الأولى كان لهم أثر كبير في تقسيم الشعر إلى فنون وأبواب :

لجامع ديوان أبي نواس (٤) يقسمه إلى فنون ثمان : المديح . المرثي . العتاب . الهجاء . الزهد . الطرد . الخمریات . الغزل والمجون وديوان أبو تمام (٥) مقسم إلى أبواب : المديح . المرثي . المعاتبات . الأوصاف . الغزل . الفخر . الهجاء

و ديوان ابن المعتز رواية الصولي مقسم إلى عشرة أبواب : الفخر . الغزل المديح . الهجاء . الخمریات . المعاتبات . الطرد . الأوصاف . الرثاء . الزهد

(١) ٨١ نقد النثر (٢) ٥٢٠ أدب مخطوط بدار الكتب الملكية

(٣) ٣/٧١ تاريخ آداب العرب للرافعي

(٤) اعتنى بجمع شعره جماعة منهم الصولي وعلي بن حمزة الأصفهاني و ابن زاهم ابن أحمد الطبري .

(٥) جمعه الصولي ورتبه على الحروف وجمعه علي بن حمزة الأصفهاني ورتبه على الأنواع (١/٢٨٣ كشف الظنون)

وكان كثير من دواوين الشعر ترتب بحسب الحروف الهجائية للقوافي لا بحسب الأغراض ومنها ديوان البحترى (١) ، أما ديوان ابن الرومي فلم يطبع إلا مختارات منه ولا نعلم على أى نهج صنع جامعه في ترتيب شعره (٢) على أن ليس من السهل تقسيم الشعر العربي إلى أبواب شاملة تستوعب جميع ما جادت به قرائح الشعراء فالأبواب التى يطرقتها الشعراء تختلف باختلاف العصور وباختلاف شخصيات الشعراء.

وبعض العلماء والنقاد يدخل بعض هذه الفنون فى بعض . فقدمة يرجع فى نقد الشعر الرثاء إلى المدح ويرى أن لا فرق بينهما إلا فى اللفظ دون المعنى (٢) ، وإن كان هذا لم يحل بينه وبين أن يجعل أغراض الشعر ستة :

المديح والهجاء والرثاء والتشبيه والوصف والنسيب

وأغراض الشعر عند ابن رشيق كما عدها فى عمدته : النسيب والمديح والافتخار والرثاء والاستنجاز والعتاب والوعيد والانذار والهجاء والاعتذار ثم جاء البارودى فى العصر الحديث فسار قريبا من نهج أبى تمام فى تقسيم الشعر إلى فنونه المختلفة وهى عنده سبعة : الأدب والمديح والرثاء والصفات والنسيب والهجاء والزهد

هذا وأدباء الغرب يجعلون أبواب الشعر عامة ثلاثة : الشعر القصصى أو شعر الملاحم ، والشعر الغنائى أو الانشادى والشعر التمثيلى أو المسرحى ، وهذه الأقسام الثلاثة قد ظهرت للمرة الأولى فى الأدب اليونانى ثم أخذ الرومان يقلدون اليونان فى فنونهم وسار الأدب اللاتينى فى الطريق التى سار

(١) جمعه الصولى ورتبه على الحروف وجمعه على بن حمزة الاصفهاني ورتبه على الأنواع (٣٧٨) كشف الظنون)

(٢) عمل شعره ورتبه على الحروف الصولى وجمعه أبو الطيب وراق بن عبدوس من جميع النسخ فزاد فيه نحو ألف بيت وابن سينا انتخبه وشرح مشكلات شعره (٣٨٢) (كشف)

(٣) ٦١ نقد الشعر

فيها الأدب اليوناني ، وفي عهد النهضة أخذ الأوربيون يدرسون الأصول اليونانية فتأثرت بها آدابهم تأثراً مباشراً ، وبني الشعر الأوربي الحديث على الأصول اليونانية اللاتينية من حيث الأقسام الثلاثة المعروفة (١) . والعرب مع اطلاعهم على علوم اليونان وفلسفتهم لم يهتموا بالانتاج الأدبي اليوناني فلم يصل فن التمثيل إلى البلاد العربية إلا في العصر الحديث عن طريق الغربيين ، كذلك لم ينشئ شعراء العربية قصصاً منظومة على طريقة الألياذة (٢) والشعر العربي الذي بأيدينا اليوم كله من الشعر الغنائي (٣)

وبعد فإني أرى أن يقسم الشعر إلى أقسام يكون من أهمها :

- ١ — الشعر الوجداني وهو الذي يصف عواطف النفس ومشاعرها وآمالها وآلامها وأحزانها ومسراتها وحبا ولهاها
- ٢ — الشعر الاجتماعي وهو الذي يتحدث عن المجتمع وحالته والبيئة والمؤثرات فيها والشخصيات وأثرها الاجتماعي في حياة المجموعة العامة
- ٣ — الشعر السياسي ويتناول وصف الحياة السياسية وأحداثها والرجال الذين ييدهم زمام الأمور في الدولة بمن تربطهم بالشاعر صلات خاصة أو عامة
- ٤ — شعر الآداب والحكم والأخلاق
- ٥ — الشعر الفني وهو الذي يصور الحياة ويصف مظاهر الطبيعة والأحياء ويرسم لك صوراً حية لكل ما في الوجود من كائنات

— ٢ —

ولكن لاضير علينا في أن نقول إن الشعر الجاهلي ينقسم إلى فنون كثيرة منها : المدح . الهجاء . الرثاء . الفخر . الوصف . الغزل . الاعتذار . الحماسة . الحكمة . العتاب

وسياتي الكثير من مثل كل فن من هذه الفنون والشواهد له من صميم الشعر الجاهلي وعيونه

(١) ٢٥٨ التوجيه الأدبي (٢) ٢٢٠ المرجع . ويمكننا اعتبار أرجوزة

ابن المعتز في المعتضد وتاريخه من شعر الملاحم والقصص (٣) ٢٢١ التوجيه

معاني الشعر الجاهلي

١ — يقول الأمدى في الموازنة : « وهذا مذهب من مذاهب العرب عام في أن يصفوا الشيء على ما هو وعلى ما شوهده من غير اعتماد لأغراب ولا إبداع (١) . ويقول في امرئ القيس :

« وبهذه الخلة - لطف المعاني - دون ما سواها ، فضل امرؤ القيس ، لأن الذي في شعره من دقيق المعاني وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة ، فوق ما استعار سائر الشعراء ، من الجاهلية والاسلام ، حتى أنه لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من أن تشتمل من ذلك على نوع وأنواع ، ولولا لطيف المعاني ، واجتهاد امرئ القيس فيها ، وإقباله عليها ، لما تقدم على غيره ، ولما كان كسائر شعراء أهل زمانه ، إذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على فصاحتهم ، ولا لالفاظه من الجزالة والقوة ما ليس لألفاظهم ، ألا ترى أن العلماء بالشعر إنما احتجوا في تقديمه بأن قالوا هو أول من شبه الخيل بالعصى وذكر الوحش والطير ، وأول من قال « قيد الأوابد ، وأول من قال كذا وكذا ، فهل هذا التقديم إلا لأجل معانيه (٢) ،

وهكذا نجد بعض التصوير لمعاني الشعر الجاهلي في كتب الأدب والنقد كالوساطة والصناعتين وسر الفصاحة وسواها

ب — وبعد فمعاني الشعر الجاهلي تمتاز بما يأتي :

١ — البساطة والوضوح والصدق وعدم التكلف أو الأغراق وقلة

(١) ١٨٩ الموازنة طبعة صديح

(٢) ١٨٠ و ١٨١ المرجع . وقد ذكر ابن رشيق بعض ما اخترعه امرؤ القيس من معاني الشعر (٢/٢٣٢ العمدة) : وكذلك ابن سلام في طبقات الشعراء (٢٦ طبقات الشعراء) ، و ٢/٢٩٧ المزهرة للسيوطي

المبالغة ، وإنما يعبر الشاعر الجاهلي عن المعاني التي تدور بخله في سذاجة
وصدق ويسر لا مثيل لهما

ومافي الشعر الجاهلي من بعض المبالغات ، مثل قول النابغة في السيوف:
تقعد السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الجباب
وقول امرئ القيس :

من القاصرات الطرف لودب محول من الذر فوق الإتب منها لأثرا
وقوله :

تنورتها من أذرعات وأهلها يثرب أدنى دارها نظر عالي
وقول المتلمس :

أحار إنا لو تساط (١) دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما
يقول إن دمائهم تمتاز من دماء غيرهم ، وهذا مالا يكون كما يقول
ابن قتيبة (٢)

وقول المهمل

ولولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور (٣)
وقول عنتره :

وأنا المنية في المواطن كلها والطعن مني سابق الآجال
وقول النمر بن تولب في السيف :

تظل تحفر عنه إن ضربت به بعد الذراعين والساقين والهادي
فإنما كل هذه المبالغات مثل مفردة في الشعر الجاهلي الذي يمتاز في عمومها
بقلة المبالغة والتكلف والنهويل في الوصف لأن الشعراء الجاهليين كانوا
يسلكون دائما في معانيهم التعبير الصادق الواضح الساذج البريء من
الغلو والأسراف

(١) أي تخلط (٢) ٥٣ الشعر والشعراء (٣) هي أصلب الحديد وأشدّه يبيسا

٢ — عدم تركيب المعاني أو تعقيدها ، وقلما تجد معاني مركبة في الشعر الجاهلي ، وإنما قد توجد معاني حسية متعددة تلاحظ أشكالها وألوانها كأنها منفصلة بعضها عن البعض الآخر ، كقول النابغة :

فانك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب
وقول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
وقول زهير يشبه امرأة بثلاث أشياء في بيت واحد :

نازعت المها شبيها ، ودر البحور ، وشا كهت فيها الظباء
فأما ما فوق العقد منها فمن أدماء مرتعها الخلاء
وأما المقلتان فمن مهاة ولدر الملاحاة والصفاء
وقول امرئ القيس :

كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر
يعل به يرد أنيابها إذا طرب الطائر المستحرج
٣ — المعاني في الشعر الجاهلي مستمدة من أوصاف حسية ولا أثر للمعاني العقلية فيها ، فتجد امرأ القيس حين يصف الليل يقول :

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكل كل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الأصباح منك بأمثل
ويقول النابغة :

فانك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن التناى عنك واسع
إلى غير ذلك من المناظر الحسية المشاهدة

٤ — ومعاني الشعر الجاهلي مستمدة من البيئة العربية في العصر الجاهلي ، وهي تصورها تمام التصوير لأنها تعبير دقيق عن الحياة الجاهلية :

سلاما وحربا ، وجدا ولهوا ، وفرحا وحزنا ، وألما وأملا . كما تكثر في الشعر الجاهلي أوصاف جبال الجزيرة وصحراواتها وقفارها ووديانها ومياهها وأوصاف أعشابها وحيواناتها وقراها ومنازلها إلى غير ذلك مما يتصل بالبيئة الجاهلية ويصورها تمام التصوير ، ألا ترى إلى قول امرئ القيس :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

كيف ذكر الأما كن وحددها هذا التحديد الجميل الدقيق ؟

ه — قلة ترتيبهم للمعاني أو تأنيهم في نظمها ، إنما كانوا يرسلون الكلام على ما خيلت نفوسهم واستدعته فطرتهم وسجيتهم وبديهم ، فيدخلون معنى في معنى وينتقلون من غرض إلى غرض في اقتضاب واضح دون عنـاية بالتلطف وحسن النخيل في الانتقال ، وأحيانا يقولون : دع ذا وعد عن ذا ويكتفون بها في الانتقال من معنى إلى معنى ومن غرض إلى غرض ، كما قال زهير في هرم بن سنان يمدحه :

دع ذا وعد القول في هرم خير البداة وسيد الحضر
وسبب ذلك أمية العرب وبدائتهم وقلة حظهم من الثقافة والتفكير الحضرى العميق

ج — ويمتاز امرؤ القيس كما سبق بابتكاره المعاني الجديدة الكثيرة مما اتبعته الشعراء فيها . وكان أوس بن حجر عاقلا في شعره كثير الوصف لمكارم الأخلاق وهو من أوصفهم للخمر والسلاح ولاسيما القوس ، وسبق إلى دقيق المعاني وإلى أمثال كثيرة^(١) ، وكان أبو داود الأيادي أحد نعات الخيل المجيدين^(٢) ، وكان الأعشى أوصفهم للخمر والجر وأمدح وأهـجى^(٣) ، إلى آخر هذه النواحي التي امتاز بها الشعراء الجاهليون في المعاني وفنون الشعر

أخيلة الشعر الجاهلي

الخيال في الشعر العربي :

الخيال مادة خصبة تقدر على تخيل الأشياء وتصوير العواطف والآراء تخيلاً وتصويراً يوضح لنا نواحيها الغامضة ويعرض علينا ما فيها من أسباب الروعة والجمال عرضاً مؤثراً نحسبه حقيقة أو كالحقيقة الملموسة ، يأخذ الشاعر الأشياء المألوفة التي يراها الناس جميعاً ثم يعمل فيها خياله فيخرجها في صورة جديدة لم تكن تتوهمها ، فليس الخيال دائماً مجافاة للحقائق وبعداً عن المألوف وقدرة على الاغراب والأتیان بما لا يكون ، بل المهم أنه مرآة تنطبع فيها الصور فيعكسها وقد صفاها من كل شائبة وأخرجها اخراجاً جديداً والخيال خادم للحقيقة وغايته تصوير ما حجب عنا من حقائق الوجود ، وهو في حسن اختيار التفاصيل المميزة وحركة الذهن في انتقاء هذه التفاصيل وضم بعضها إلى بعض وترتيبها ، فالشاعر يشعر بما حوله ويعتاد الملاحظة الدقيقة في الحياة المخيطة به مما يتصل بالاحساس والشعور والعاطفة والتفكير ويلاحظ ذلك جملة وتفصيلاً فتسجله ذاكرته بدقة ثم يركز ذلك في ذهنه واعماق شعوره تركيزاً تاماً ، ويأخذ في الغوص في أغوار الذهن على التفاصيل ودلالاتها ، مستغرقاً في نشوته الروحية وفي تأملاته ، وتصوره وتخيله استغرقاً تاماً يساعده على نشر المطوى من الملاحظات وإظهارها في فن جميل وآية من سحر القريض وهذا الاستغراق وتلك النشوة والغبطة بالتعبير عن النفس يفجران ينبوعاً من القوة الباطنة يلهم الشاعر روائع الشعاعية وآثاراً من الفن والجمال ، فمادة الشعر الأولى في العواطف الإنسانية من حب وحزن وأمل وبأس وغير ذلك مما يشعر به الشاعر ويحس به الإنسان ، وهذه العواطف هي ينبوع الصادقة للشعر (١) ، وهي التي يعمل الخيال عمله لتصويرها ويسعى ليركب

(١) والقدماء من النقاد يختلفون في مادة الشعر اختلافاً كبيراً ، فالجاحظ يراها

في الأسلوب والنظم كما يدل على ذلك قوله : والمعاني مطروحة في الطريق وإنما —

الصور المودعة في العقل الباطن ومشاهده ليصوغها فنا شعريا يعبر عنها ويوضح ما خفي منها ، فليس الشعر صورا وألفاظا وعبارات إنما هو عواطف الشاعر وشعوره يركبها خيال صناع وملكات قادرة ومقدرة فنية موهوبة في صور من الألفاظ والأساليب ، وجمال الشعر وروعته موقوفان على مدى إحساس العاطفة وقدره الخيال على تصويرها ، فإذا كانت صور الخيال ناشئة عن عاطفة سقيمة أو سطحية كان الأثر الأدبي متكلفا مصنوعا لاحظ له من التقدير ، وإذا كان عمل الخيال محكما وإحساس العاطفة قويا نال الشعر حظه من الجودة والإعجاب ، والخيال إذا كان عمله وتأليفه لصور جديدة اختيرت عناصرها من بين الحقائق والمشاهدات المبعثرة المخزونة في الذاكرة وألفت تأليفا جديدا سمي خيالا مبتدعا ، ونهاية هذا الحديث أن هناك صلات وثيقة بين الخيال والعاطفة فهو الذي يصورها ويبدئها قوية مؤثرة ، وقوة الخيال مرتبطة بقوة العاطفة ، فإذا كانت صادقة قوية خلقت خيالا رائعا ، وإذا أردنا للأدب قوة وخلودا فعلينا أن نغني بهتيز الشعر ليكون إدراك الشاعر للحياة صادقا عميقا وآثاره الأدبية جميلة رائعة ، وخياله الأدبي موهوبا ملهما ، فالخيال أنفع المواهب والملكات في فن الشعر لأنه المعبر عن العاطفة واللغة الطبيعية لأداء الانفعالات والعواطف الإنسانية .

الشعر الجاهلي وحظه من الخيال :

١ — وفي الشعر الجاهلي الكثير من التشبيهات والاستعارات والأمثال

== الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وجودة السبك فانما الشعر صياغة وضرب من التصوير (٣/٤٠ بحيوان) ، وعلى رأى الجاحظ يسير عبد القاهر في الدلائل ، اما قدامة فيرى ان مادة الشعر هي المعاني (١٤ نقد الشعر) ، والامدى وابن خلدون يريانها في الألفاظ (١٨٣ الموازنة ، ٥٧٧ مقدمة ابن خلدون)

والكنائيات . وهذه هي أجنحة الخيال في التعبير والتصوير ، فتجد أمراً القيس
كثير التشبيهات في معلقته . وكنايته البليغة :

وتضحى فتات المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
لا يعاد لها جمال ، وقوله :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل
من أسلوب التمثيل البارع
وكذلك قول النابغة :

نبئت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زار من الأسد
وقول النمر بن تولب :

فصدت كأن الشمس تحت قناعها بدا حاجب منها وضفت بحاجب
تشبيه جميل جيد

ويقول زهير : لدى أسد شاكي السلاح مقذف ، وهي استعارة واضحة
ويقول تأبط شرا :

إذا حاص عينيه كرى النوم لم يزل له كالىء من قلب شيخان فاتك

وهي كذلك استعارة قريبة ويقول النابغة :

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب
فتجد كناية جميلة عن العفة والطهر

ويقول الأعشى :

تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمخلق
وهي كناية عن الكرم والجود في غنى عن الإشادة وأوصاف البلاغة
إلى غير ذلك من مثل هذه الأخيلة القريبة الواضحة الجميلة .

٢ — والخيال في الشعر الجاهلي خيال واضح مألوف يخلق قريباً من هذه

ألفاظ الشعر الجاهلي وأسلوبه

وألفاظ الشعر الجاهلي : تمتاز بما يأتي :

١ — كراهة استعمال الألفاظ الأعجمية إلا ما جاء قليلا فيه على سبيل الفكاهة والظرف والتلميح كما في شعر الأعشى وعدى بن زيد وأبي دؤاد الأيادي . وكان عدى يسكن بالحيرة ويدخل الأرياف فنقل لسانه واحتمل عنه شيء كثير جدا وعلمناؤنا لا يرون شعره حجة ^(١) والعرب لا تروى شعر أبي دؤاد وعدى بن زيد وذلك أن ألفاظهما ليست بنجدية ^(٢) ويقول الأعشى :

وشاهدنا الجل والياسمين والمسمعات بأقصائها
وربطها دائم معمّل فأى الثلاثة أزرى بها
فتجد أسماء فارسية بعيدة عن ألف العربي وسمعه ، وذلك أن الأعشى دخل بلاد الفرس وجالسهم وصدر عن ملوكهم وعلق بسمعه بعض ألفاظهم ويقول الأعشى أيضا :

لها جُلسانٌ عندها وبنفسج وسيسنبر والمرز جوش منمنما
٢ — كثرة استعمال الألفاظ في معانيها الحقيقية الموضوعه لها فهي بعيدة غالبا عن أسلوب المجاز والسكناية والتشبيهات وما شابهها .

(١) ٦٣ الشعر والشعراء

(٢) ٦٩ المرجع . ويقول أبو الفرج : كان عدى بن زيد شاعرا فصيحاً من شعراء الجاهلية وهو نصراني وليس ممن يعد من في الفحول ، وكان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان ، عدى في الشعر بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجرى معها ، وكذلك كان عندهم أمية بن أبي الصلت (ص ١٧ / ٢ الأغاني) . وكان امرؤ القيس يتوكل على أبي دؤاد ويروى شعره (٢٩٨ / ٢ المزهرة)

٣ — كثرة الغريب والحوشى ولا سيما عند وصف منظر أو حيوان أو غيرهما من مشاهد البيئة العربية في جاهليتها .

٤ — استعمال الألفاظ الجزلة غالبا . والجزل من الكلام هو الذى تعرفه العامة إذا سمعته ولا تستعمله فى محاوراتها (١) ، وأجود الكلام ما يكون جزلا سهلا لا ينغلق معناه (٢) . ويقول ابن الأثير : الألفاظ تنقسم فى الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ، ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه ، فالجزل منها يستعمل فى وصف مواقف الحروب وفى قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك . وأما الرقيق منها فانه يستعمل فى وصف الأشواق وذكر أيام البعاد وفى استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك ، ولست أعنى بالجزل من الألفاظ أن يكون وحشيا متوعرا عليه عنجهية البداوة بل أعنى به أن يكون متينا على عذوبته فى الفم ولذاذته فى السمع وكذلك لست أعنى بالرقيق أن يكون ركيكا سفسفا وإنما هو اللطيف الرفيق الحاشية الناعم الملمس كقول أبى تمام :

ناعمت الأطراف لو أنها تلبس أغنت عن الملاء الرقاق (٣) ،

ويقول : وأما البداوة فى الألفاظ فملك أمة قد خلت وقد عيبت على مستعملها فى ذلك الوقت فكيف الآن (٤) وقد عرف النقاد أمر الجزالة والركة وشأنهما فى الكلام وبحشها منهم كثيرون فى نقدهم ودراساتهم فالفرزدق يقول فى جرير : ما أحوجنى مع قسوتى إلى رقة شعره . وأحوجه مع عفافه إلى خشونة شعرى (٥) ، فهو يرى أن الجزالة والركة بحسب الشاعر والموضوع الذى ينظم فيه . ويقول عبيد الملك فى الأعشى : قاتله الله ما كان أعذب بحره وأصلب صخره (٦) . ويقول الأصمعى فى شعر النابغة : ان قلت ألين من الحرير صدقت وان قلت أشد من الحديد صدقت (٧) وقال أبو عبيدة فى

(١) ٦٤ الصناعتين (٢) ٦٦ المرجع (٣) ٦٥ المثل السائر (٤) ٦٨ المثل

السائر (٥) ١٢٧ الشعر والشعراء (٦) ٢٨ الجمهرة (٧) ٣٨٠ / ٣ العقد

شعره : له ديباجة إن شئت قلت شهيدا ان مسسته ذاب وان شئت قلت
صخر لو رديت به الجبال لأزالها (١)

وبحث الجرجاني في وساطته الجزالة والرقعة بتفصيل (٢) وذكر أثر نفس
الشاعر وحياته وبيئته وعصره ولون معيشته فيهما ورأى أن الرقة إنما تأتيك
من قبل العاشق المقيم والغزل المنهالك ودعا إلى تنزيل الجزالة والرقعة منازلهما
بحسب المعاني والأغراض والموضوعات (٣). وقد ذكر الجاحظ في البيان
الجزالة والرقعة عرضا فتراه يقول : ومن الكلام الجزل والسخيف والخفيف
والثقل وكل عربي وبكل قد تكلموا (٤) وذكر أن سخيف الألفاظ مشا كل
لسخيف المعاني وأنه قد يحتاج إليه في بعض المواضع وربما أمتع كثيرا .

ويقول : وحاجة الكلام إلى الخلاوة كحاجته إلى الجزالة (٥) ويدعو إلى
ترك الوحشى والسوقى في مواضع كثيرة من بيانه (٦) وعرض لهما ابن المدبر
عرضا فقال : لا يعتد بالمعنى الجزل مالم تلبسه لفظا جزلا (٧) وعرض لهما
أرسطو في كتابه الخطابة فذكر أنه لا ينبغي أن تكون الألفاظ سفسافة
ولا مجاوزة في المثانة مبلغ الأمر الذى يدل عليه فلا تبلغ درجة العامية ولا
تحوج إلى الكلفة المشنوءة ، وذكر أنه لا ينبغي أن يلام بين اللفظ والمعنى
فالمعنى الجزل يعبر عنه بألفاظ جزلة والمعنى الرقيق يعبر عنه بلفظ رقيق (٨)

(١) ٣٢ جمهرة أشعار العرب

(٢) ٢٢ وما بعدها من الوساطة

(٣) ٢٩ المرجع

(٤) ١١٠ ج ١ البيان والتبيين

(٥) ٣٠ ج ١ البيان

(٦) ١٠٥ و ١١٠ و ١٧٦ ج ١ المرجع

(٧) ١١ الرسالة العذراء

(٨) راجع الف الثامن من الخطابة في الشفاء لابن سينا مخطوط (٥)

وبعد فالشعر الجاهلي فريد في جزالته ونخامته وجلالته وشدة تركيبه وقوة أسره ، وإن شئت فاقراً قول زهير :

قد جعل المبتغون الخير في هرم والسائلون إلى أبوابه طرقاً
إن تلق يوماً على علاته هرماً تلق السباحة منه والندى خلقاً
لو نال حي من الدنيا بمكرمة أفق السماء لنالت كفه الأفقا
أو قول أمية بن أبي الصلت :

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك ، ان شيمتك الحياء
وعلمك بالحقوق وأنت فرع لك الحسب المهنذب والسناء
خليـل لا يغيره صباح عن الخلق الجميل والامساء
وأرضك كل مكرمة بذتها بنو تيم وأنت لها سماء
إذا أثني عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الشناء
تبارى الريح مكرمة ومجداً إذا ما الكلب أجحره الشتاء
وقول امرئ القيس في عذوبة وخفة :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل
أغرك مني أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمرى القلب يفعل
إلى غير ذلك من الشواهد والمثل

أما أسلوب الشعر الجاهلي فنسجد عنه بافاضة فنقول :

ما هو الأسلوب :

الأسلوب في اللغة الطريق وعنق الأسد والوجه والمذهب
والأسلوب الأدبي يعرفه ابن خلدون في حديث طويل بأنه « المنوال
الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه (١) ، فهو يراه في الصورة

الأدبية الممتازة التي يتميز بها الأدباء والشعراء وينسجون في أدبهم وشعرهم على منوالها . ويعرفه بعض المحدثين بأنه طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإقناع والتأثير ، وهو طريقة التفكير والتصوير والتعبير (١) .

ويعرفه آخر بأنه المعنى المصوغ من ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام وأفعال في نفوس سامعيه ، ويعرفه آخرون بأنه طريقة اختيار الكلمات ونظمها لتؤثر في نفس القارئ أو السامع ، ويذكرون أن له غرضين : نقل الحقائق أو المعاني إلى ذهن السامع أو القارئ ونقل شعور الكاتب أو المتكلم إلى نفسيهما للتأثير

ونعرفه نحن بأنه نهج الكاتب والشاعر في صوغ أدبه وشعره وأداء أفكاره ومعانيه والطريقة التي يسير عليها في اختيار كلماته وتراكيبه وما يؤثر في لغة تعبيره وتصويره من سهولة أو غرابة ومن عذوبة أو جزالة ومن وضوح أو خفاء وطبع أو صنعة ، وألوان الصنعة في شعره وأدبه من تشبيه واستعارة وكناية وطباق ومقابلة وتعليل ومبالغاة وتورية وتدييح وعكس ومشاكلة ، وطرق الأداء التي يسير عليها في صياغته من تقديم وتأخير وذكر أو حذف وفصل أو وصل وإيجاز أو إطباب إلى غير ذلك من شتى أوصاف الأسلوب ، وما يراعيه الكاتب والشاعر من أوصاف في بدء كلامه وفي فصوله وخاتمته . والأسلوب هو الوسيلة التي ينقل بها الأديب فكرته وعاطفته وأراؤه ومعانيه إلى الناس . ومقياس جودة الأسلوب هو القدرة على نقل ذلك والتعبير عنه بدقة وقوة تأثير

ويمتاز أسلوب الشعر بما فيه من عاطفة ، وما يشيع في نظمه من خيال وسحر صنعة وعذوبة موسيقى وحرية في الأداء والتصوير ، وبشدة تأثيره

في النفوس وأثره في العاطفة والشعور والوجدان . أنشد أبو العتاهية قصيدته :

أنته الخلافة منقادة إليه تجر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

ولو رامها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها

وكان بشار حاضرا ، فلما سمع الأبيات اضطرب وسحر وقال :

أنظروا إلى أمير المؤمنين هل طار عن أعواده (١) وسمع الجاحظ رجلا

ينشد أرجوزة أبي العتاهية التي سماها ذوات الأمثال ، فبلغ قوله :

يا للشباب المرح التصابي روائح الجنة في الشباب

فقال للنشد : قف ثم قال : أنظروا إلى قوله : « روائح الجنة في الشباب »

فان له معنى كمنعى الطرب لا يقدر على معرفته إلا القلوب وتعجز عن ترجمته

الأسنة إلا بعد التطويل وإدانة التفكير

نعم إن الشعر ينبعث غالبا عن إحساس قوى ، ويلبس حلة جميلة من

النظم تصور المعاني تصويراً قويا رائعا فكل ذلك يجعله ذا أثر شديد في

نفوس سامعيه وقارئيه على السواء

وأهم خصائص أسلوب الشعر الجاهلي هي :

١ — القصد إلى المعنى في إيجاز وعدم إطباب أو تطويل ، تلك ميزة

شعراء الجاهلية عامة ، وإن كان زهير كما يقول ابن سلام كان « أجمعهم لكثير

من المعنى في قليل من المنطق كما كان أشدهم مبالغة في المدح (٢)

٢ — الزهد في المحسنات البديعية وعدم الإلمام بها إلا لماما وعن غير قصد

وكان العرب لا يعرفون ألوان البديع والبيان علما وإنما يعرفونها فنا وذوقا

(١) ١٣٧/٣ الأغاني ، ٦٨ المثل السائر

(٢) ٢٩ طبقات الشعراء لابن سلام

وملكة ، وما جاء من المحسنات البديعية - من سجع وجناس وطباق ومقابلة وغيرها - في شعرهم فقليل نادر وعن غير قصد ولا التفات

٣ — الابتداء في قصائدهم بذكر الأطلال والديار ، والترويح عن النفس بالالمام بالتشبيهات القوية البديعة

٤ — متانة الأسلوب وقوته ودويته في الأذن والذوق ، كما يقول النابغة :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نوى وأحجار
وقول امرئ القيس :

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا
وقول الأعشى في ناقته :

فآليت لأرثي لها من كلالة ولا من حفي حتى تلاقى محمدا

٥ — هذا الطابع البدوي الذي يمتاز به أسلوب الشعر الجاهلي الذي نما وعاش في هذه البيئة البدوية الغريبة ، وكثرة ما فيه من مخاطبة الأطلال وذكور الناقة والفرس وسواهما

٦ — كما يمتاز بحذف الفضول والسلامة من اللحن والقصد إلى المعنى ،

في بلاغة وسحر ودقة تصوير

نماذج من الشعر الجاهلي

١ — المدح

١ — من أهم أبواب الشعر العربي ، وكان للمدح مكانة كبيرة في العصر الجاهلي ، وخاصة بعد أن تكسب الشعر بالشعر واتخذوه صناعة ومدحوا به الملوك والرؤساء كالأعشى والنابغة وزهير وغيرهم

كان الشعراء في الجاهلية يمدحون أبطال القبيلة وساداتها ، ويشيدون بمكائدهم بين القبائل ، ويصفون أخلاقهم ومآثرهم ومحامدهم وشجاعاتهم ويتغنون ببطولتهم

ثم قصد المتكسبون بالشعر منهم رؤساء القبائل والأمراء والملوك فمدحهم وأشادوا بمفاخرهم ومكارمهم وأخلاقهم وخلقيهم ، وقصة النابغة مع النعمان وزهير مع هرم مشهورة

وتمتاز المدايح الجاهلية ببساطتها وصدقها وبعدها عن الغلو والمبالغة ، وهي أثر جميل لشاعريتهم القوية

ب — نماذج للمدح الجاهلي :

قال الأعشى الشاعر الجاهلي الفحل يمدح الأسود بن المنذر وهو أخو النعمان لأمه ، وكان النعمان ولاءه على بني سعد وغيرهم ، وكان عنده أسرى من بني سعد بن ضبيعة فأتاه الأعشى فمدحه وسأله أن يطلقهم ففعل . ويعد صاحب الجهرة هذه المدحة من المعلقات ، ومطلع هذه القصيدة .

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وماترد سؤالي

ومنها يخاطب الناقة :

لاتشكى إلى وانتجعي الأسود أهل الندى وأهل الفحل
فرع نبع يهتز في غصن المجد ، غزير الندى شديد المحال

عند البر والتقى وأسى الشق (١) وحمل للبعضلات الثقال
وصلات الأرحام قد علم الناس وفك الأسرى من الأغلال
وهو ان النفس الكريمة للذكر إذا ما التقت صدور العوالى
أنت خير من ألف ألف من القوم إذا ما كبت وجوه الرجال
ووفاء إذا ما أجرت فما غر ت (٢) حبال وصلتها بحبال
وعطاء إذا سئلت إذ العذرة (٣) فينا عطية البخال
أريحي صلت (٤) يظل له القوم م وقوفا قيامهم للسهال
وأرى من عصاك أصبح محزونا وكعب الذى يطيعك على
جندك الطارف التليد من الغا رات أهل الهبات والآكال (٥)
للعدا عنذك البوار ومن وا ليت لم يعر عقده باغتيال
لن يزالوا كذلككم، ثم لازلت لهم خالدا خلود الجمال
وقال زهير يمدح هرم بن سنان والحرث بن عوف المرمى سيدى بنى
غطفان لسعيهما فى الصلح بين عبس وذبيان ، وهى قصيدة من النمط العالى ،
ولها مكانتها فى البلاغة العربية قال :

تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها وذبيان قد زلت بأقدامها النعل
فأصبحتما منها على خير موطن سديلا كما فيه وإن أحزنوا سهل
رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم قطينا بها حتى إذا نبت البقل
وفيههم مقامات حسان وجوههم وأندية ينتابها القول والفعل
على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلين السباحة والبذل
وإن جشتم ألفيت حول بيوتهم مجالس قد يشفى بأحلامها الجمل

(١) الشق : الصدع والكسر . وأسى الشق : رأبه وإصلاحه

(٢) أى نقضت (٣) العذرة المعذرة

(٤) الأريحي : من الأريحية وهى الارتفاع للندى . الصلت : الماضى فى الحوانج

(٥) أى الأطايع

سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم فلم يفعلوا ولم يليموا (١) ولم يألوا
فما بك من خير أتوه فإنما توارثه آبائهم وآبائهم قبل
وهل ينبت الخطي إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل
وقال أبو البرج القاسم بن حنبل المري في زفر بن أبي هاشم بن مسعود
ابن سنان :

من البيض الوجوه بني سنان لو أنك تستضيء بهم أضاءوا
هم حلوا من الشرف المعلى ومن حسب العشيرة حيث شاءوا
بنات مكام وأساءة كلم دماؤهم من الكلب الشفاء
فلو أن السماء دنت لمجد ومكرمة دنت لكم السماء
وقصائد المابغة في مدح ملوك الحيرة وغسان مشهورة معروفة ولاداعي
لذكرها في هذا المجال الضيق الموجز

٢ - الهجاء

١ - كان الهجاء في الجاهلية يقصد به الخط من شأن قبيلة أو عشيرة ،
أو فرد من أعداء قبيلة الشاعر وخصومها ، وكان الهجاء سوطا يصبه الشاعر
على خصومه وخصوم قبيلته . فيشلبهم ويتنقص من مقامهم ، ويزري بهم ،
ويضع من مكانتهم ، وينسب اليهم البخل والجبن والذلة والهوان ، وكانت
الخصومات الكثيرة بين القبائل ، والحروب المشتعلة في الجزيرة العربية في
العصر الجاهلي ، سببا في الاكثار من شعر الهجاء ، ولكن المأثور من هذا
الباب لا يضارع المأثور من باب المديح

ويمتاز فن الهجاء في الجاهلية بالقصد في السب والشتم وتعتمد الأوصاف
الاجتماعية المزرية بالفرد والقبيلة من الهوان والبخل والجبن وسواها

(١) يليموا : أى لم يأتوا ما يلامون عليه ويألوا : يقصروا

ب — نمازح لفن الهجاء :

قال عارق الطائي وهو شاعر جاهلي يهجو المناذرة :

والله لو كان ابن جفنة (١) جاركم لكسا الوجوه غضاضة وهو انا
وسلا سلا يثنين في أعناقكم وإذا لقطع ثلكم الأقرانا (١)
وقال مساور بن هند بن قيس بن زهير يهجو بني أسد :

زعمتم أن إخوتكم قریش لهم إلف وليس لكم إلاف
أولئك أومنوا جوعاً وخوفاً وقد جاءت بنو أسد وخافوا
وقال قريظ بن أنيف أحد بني العنبر :

لكن قومي وإن كانوا ذوی عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كان ربك لم يخلق لحشيتيه سواهم من جميع الناس إنسانا
فليت لي بهم قوما إذا ركبوا شدوا الاغارة فرسانا وركبانا

وقال مدرك الفقعسي يهجو عبسا :

وأعرضت عن سلمي وقلت لصاحبي سواء علمينا بخل سلمي وجودها
فلا تحسدن عبساً على ما أصابها وذم حياة قد تولى زهيدها
تشبه عبس هاشما ان تسربلت سراويل خز أنكرتها جلودها

٣ — الفخر

وهو تباهي الرجل بنفسه أو قبياته أو قومه أو أمته . والفخر باب كبير

(١) يزيد به ملك غسان

(١) الأقران جمع قرن بفتح الراء وهو الحبل . وثقطع الأقران كناية عن

في الشعر الجاهلي ، أكثر الشعراء فيه من الفخر بأحسابهم وأنسابهم وأيامهم
وأبطالهم وما أثرهم

ونماذجه كثيرة في الشعر الجاهلي :

قال عمرو بن كلثوم يفتخر بقومه أمام الملك عمرو بن هند ملك الحيرة :

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقيننا

بأننا نورد الرايات بيضاً ونصدرهن حمراً قد رويننا

وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن نديننا

ورثنا المجد قد علمت معد نطاعن دونه حتى يبيننا

وقد علم القبائل غير نخر إذا قبب بأبطحها بنينا

بأننا العاصمون إذا أطعنا وأنا الغارمون إذا عصينا

وأنا المنعمون إذا قدرنا وأنا المهلكون إذا أتينا

وأنا الحاكمون بما أردنا وأنا النازلون بحيث شينا

ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدراً وطينا

إذا ما الملك سام الناس خسفا أبيننا أن نقر الخسف فينا

إذا بلغ الفطام لنا رضيع تخر له الجبابر ساجديننا

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

وعلى نمطها يقول أمية بن أبي الصلت :

ورثنا المجد عن كبرى نزار فأورثنا مآثرنا البيننا

وكنا حيثما علمت معد أقمنا حيث ساروا هاريننا

وأنا النازلون بكل ثغر وأنا الضاربون إذا التقينا

وأنا المانعون إذا أردنا وأنا المقبلون إذا دعينا

وأنا الرافعون على معد أكفاني المكارم مابقينا

نشرد بالخفاقة من أتاننا ويعطينا المقادة من يلينا^(١)

وقال الخصفي من محارب واسمه عامر المحاربي :

وأبقت لنا آياؤنا من تراثهم دعائم مجد كان في الناس معلما
ونزسى إلى جرثومة أدركت لنا حديثا وعاديا من المجد خضرما^(٢)
بنى من بني منهم بناء فشكنوا مكانا لنا منه رفيقا وسالما
أولئك قومي إن يلد ببيوتهم أخو حدث يوما فإن يتهمنا
وكم فيهم من سيد ذي مهابة يهاب إذا ما رائد الحرب أضرمنا
لنا العزة القعساء تحتطم العدى بها، ثم نستعصى بها أن نخطما
وهم يدعمون القوم في كل موطن بكل خطيب يترك القوم كظما
وكنا نجوما كلما انقض كوكب بدا زاهر منهم ليس بأقما
فما يستطيع الناس عقدا نشده وننقضه منهم وإن كان مبرما

وقال حजर بن خالد الشعلي وهو شاعر جاهلي :

وجدنا أبانا حل في المجد بيته وأعياء رجالا آخرين مطالعه
فمن يسع منا لا ينل مثل سعيه ولكن متى ما يرتحل فهو تابعه
وقال عوف بن عطية التيمي^(٣)

لعمرك إنني لأخو حفاظ وفي يوم السكريه غير غمر^(٤)
أجود على الأبعد باجتماع ولم أحرم ذوى قربي وإصر^(٥)
وماني ، فاعلموه ، من خشوع إلى أحد ، وما أزهى بكبر

(١) راجع القصيدة في الجمهرة ١٨٦ — ١٩٠ ، وقصيدة عمرو بن كلثوم في

الجمهرة أيضا ١١٧ — ١٢٩

(٢) الجرثومة : الأصل . العادى : القديم . الخضرم : الكثير أو الواسع

(٣) شاعر جاهلي مفلح ومن فرسان العرب .

(٤) الغمر : الذي لم يجرب الأمور . (٥) الإصر : العهد .

ألم تر أننا مردى حروب نسيل كأننا دفاع بحر^(١)
ونلبس للعدو جلود أسد إذا نلقاهم وجلود نمر
ونزعى ما رعيناه بين عبس وطيتها وبين الحى بكر
وكلهم عدو غير مبق حديث قرحه يسعى بوتر

٤ — الرثاء

١ — وهو ذكر مناقب الميت وما أثره ومفاخره ، ووصف الحزن عليه
والجزع لفقده ، وبيان مكانته في قومه وأثره في مجتمعه الذى كان يعيش فيه
والرثاء كثير في الشعر الجاهلى ، ومن أمثله عينية ليبيد في رثاء أخيه أربد
ورائية المهلهل في رثاء أخيه كليب ، والرثاء هو الذى هيج شاعرية المهلهل
فأطال القصيد في رثاء كليب سيد بنى ربيعة ، ولاسية تأبط شرا في رثاء ابن
أخته وسوى ذلك من عيون الرثاء في الشعر الجاهلى .

ب — نماذج لفن الرثاء :

قال المهلهل يرثى أخاه كليباً :

أهاج قذاه عيني الأذكار	هدوا فالدموع لها انحدار
وصار الليل مشتملاً علينا	كأن الليل ليس له نهار
وبت أراقب الجوزاء حتى	تقارب من أوائلها انحدار
أصرف مقلتي فى أثر قوم	تباينت البلاد بهم فغاروا
دعوتك يا كليب فلم تجبني	وكيف يحببني البلد القفار
أجبنى يا كليب خلاك ذم	ضنينات النفوس لها مزار
أجبنى يا كليب خلاك ذم	لقد فجعت بفارسها نزار

(١) مردى حروب : أى تقوم بها ، وأصل المردى الحجر يرمى به .

سقاك الغيث انك كنت غيثا ويسراً حين يلتبس اليسار
أبت عيناى بعدك ان تكفيا كأن غضا القنادلها شفا
وانك كنت تحلم عن رجال وتعفو عنهم ولك اقتدار
وتمنع أن يمسه لسان مخافة من يحير ولا يحار
وكنت أعد قربى منك رجحا إذا ماعدت الربح التجار
فلا تبعد فكل سوف يلقي شعوبا يستدير بها المدار
يعيش المرء عند بنى أبيه ويوشك أن يصير بحيث صاروا
أرى طول الحياة وقد تولى كما قد يسلب الشيء المعار
كأنى إذ نعى الناعى كليباً تطاير بين جنبى الشرار
فدرت وقد عشى بصرى عليه كما دارت بشاربها العقار
سألت الحى أين دفنتموه فقالوا لى بسفح الحى دار
فسرت اليه من بلدى حشيشا وطار النوم وامتنع القرار
وحادت ناقتى عن ظل قبر ثوى فيه المكارم والفخار
أتغدو يا كليب معى إذا ما جبان القوم أنجاه الفرار ؟
أتغدو يا كليب معى إذا ما خلوق القوم يشحذها الشفار ؟
أقول لتغلب والعز فيها اثيروها لذلكم انتصار
تتابع اخوتى ومضوا لأمر عليه تتابع القوم الحسار
ولست بخالع درعى وسيفى إلى أن يخلع الليل النهار
وإلا أن تبيد سراة بكر فلا يبقى لها أبداً آثار
وقال تأبط شرا فى الرثاء :
لقتيلاً دمه ما يطل (١)

(١) الشعب : طريق فى الجبل . سابع : موضع وهو ارض قوم تأبط شرا .
طل دمه : ذهب هو لا يشار به . المعنى : ان القتيلى الذى بالشعب دون سابع لن
ينذهب دمه هدرا . =

خلف العباء على وولى أنا بالعباء له مستقل (١)
ووراء الثأر منى ابن أخت مصع عقده ماتحل (٢)

= ترجمة الشاعر :

هو ثابت بن جابر بن سفيان شاعر جاهلي مجيد . سمي تأبط شرا لأنه تأبط سيفاً وخرج فقيل لأمه : أين هو ؟ فقالت : تأبط شرا وخرج وكان أحد لصوص العرب المغيرين ، وكان هو والشنفري الأزدي وعمرو بن براق من أعدى العدائين في العرب ، والشنفري هو ابن أخت تأبط شرا ، ويصف الشنفري خاله تأبط شرا في قصيدة تاتية له في المفضليات في الآيات ١٩ — ٢٧ من القصيدة العشرين (ص ١٠٦ / ١ المفضليات طبعة المعارف ١٣٦١) . والشنفري شاعر جاهلي فحل وتجد ترجمة لتأبط شرا في الشعر والشعراء (ص ٦٢ ط الخانجي ١٣٢٢ هـ) القصيدة

والقصيدة عالية الطبقة في الفصاحة وهي من عيون الشعر الجاهلي ورواها صاحب الحماسة (١/٣٤٨ ديوان الحماسة طبعة محمود توفيق) . وقد ترجمها جوته إلى الألمانية ونشرها في الديوان الشرقي . وكانت هذيل قد قتلت ابن تأبط شرا ورمته به في غار فرثاه والده وذكر أخذه بثأره في هذه القصيدة أو هي له في رثاء ابن أخت له . وقيل إن القصيدة للشنفري يرثي بها خاله تأبط شرا . وقيل إن القصيدة منحولة نحلمها بعض الرواة لتأبط شرا وليست له وأنها مولدة ، بدليل قوله « جل حتى دق فيه الأجل » فان ذهن الجاهلي لا يكاد يصل إلى مثل هذه الدقة في الأسلوب والتفكير ، وبدليل ذكره لسلع وبيع بالمدينة وابن تأبط شرا من سلع ولكنه قتل في بلاد هذيل ويمكننا أن نقول إنهم رموا بجثته بعيدا عن بلادهم أو أن قومه نقلوه من هذيل إلى سلع أرض قومه .

(١) العباء : الثقل . مستقل : محتمل يقال استقل كذا حملة ورفع . والمعنى

أنه ترك ثقل الثأر على وذهب وأنا قادر على حمل ثقله غير عاجز عن طلبه

(٢) المصع : الشديد الثابت الشجاع . العقدة : العزيمة . والمعنى : أن هذا

الثأر الذي أطلبه إن لم أقدر على أخذه فخلفني ابن أخت ثابت الجنان قوى العزيمة

لا تتعثر عزيمة .

- مطرق يرشح سما كما أطرق أفعى ينفث السم صل (١)
 خبر ما ، نابنا ، مصمئل جل حتى دق فيه الأجل (٢)
 بزنى الدهر وكان غشوما بأبى جاره مايدل (٣)
 شامس فى القر حتى إذا ما زكت الشعرى فبرد وظل (٤)
 يابس الجنين من غير بؤس وندى الكفين شهم مدل (٥)

(١) أطرق : أرخى عينيه ينظر إلى الأرض . الرشح كالعرق . ينفث . يقذف
 الصل : الخبيث من الأفاعى . السم ما يقتل وهو مثلث السنين
 المعنى : إن ابن أختى بطرق إلى الأرض إطراق الحية الرقطاء ، شجاع فى
 الحرب مقدم فى النزال لا يسلم أعداؤه من شره

(٢) المصمئل : الشديد . جل : عظم . دق : صغر . الأجل . الجليل
 والمعنى أن الذى نزل بنا وأصابنا بخبر موته أمر كبير يصغر عنده ما هو عظيم
 جليل من الحوادث

(٣) بزى الشئ : سلبه إياه والمراد : فجعنى به . الغشوم : الظلوم . الأبى :
 الذى لا يحتمل الضم

والمعنى أن الدهر يتجبره وظلمه فجعنى وسلبنى رجلاً عزيزاً إذا أنفة لا يحتمل
 الذل يحمى جاره فيعز ولا يضام

(٤) الشامس : السكائن فى الشمس . القر : البرد . زكت : استعلت
 والمعنى أن هذا الرجل ذو كرم وسخاء فمن لجأ إليه فى الشتاء وجد عنده
 ما يدفئه من الطعام واللباس كالشمس تدفئ الممرور ومن وفد عليه فى الصيف
 حين يطلع نجم الشعرى وجد عنده ظلاً ظليلاً وماء بارداً يطفىء به حرارة جوفه
 (٥) يابس الجنين أى هزيل وذلك دليل الشجاعة والقوة . البؤس : الفقر :

الشهم : الذكى القلب . المدل : الواثق بنفسه وبعده
 والمعنى أنه قليل الأكل هزيل لا عن فقر بل لأنه سخي يؤثر أضيافه بالزاد على
 نفسه ، وهو ذكى القلب يقظان واثق بنفسه وبما أعده لحوادث الدهر

- ظاعن بالحزم حتى إذا ما حل حل الحزم حيث يحل (١)
 غيث مزن غامر حيث يجدى وإذا يسطو فليث أبل (٢)
 مسبل فى الحى أحوى رفل وإذا يغزو فسمع أزل (٣)
 وله طعمان أرى وشرى وكلا الطعمين قد ذاق كل (٤)
 يركب الهول وحيدا ولا يصحبه إلا اليماني الأفل (٥)

(١) الظعن : ضد الإقامة . والمعنى أنه متصف بالحزم فى جميع شئونه وأحواله
 والحزم ملازم له حيث كان

(٢) المزن جمع مزنة وهى السحابة البيضاء . والمراد السحابة التى فيها الماء لأن
 السحاب الأبيض لاماء فيه . غمره الماء : علاه . يجدى : يعطى الجدوى وهى
 العطية . يسطو : يقهر ويصول . الليث الأبل : المصمم الماضى على وجهه لا يبالي مالقى
 والمعنى : أنه جواد كريم شجاع إذا أعطى اجزل العطاء كالسحاب الذى يغمر
 الناس بكثرة امطاره وإذا أصال فكألسد المصور لا يبالي بالعدو

(٣) مسبل فى الحى مفعوله محذوف أى مسبل إزاره فى الحى وهم يمدحون
 ذا النعمة بذلك وقت السلم فأما فى الشدائد فاتهم يمدحون الرجل بالتشهير وعدم
 اللين . الأحوى : من فى شفتيه سواد وهو محمود فيهما . الرفل : الكثير اللحم .
 والسمع : ولد الذئب . الأزل : السريع المشى الممسوح العجز

والمعنى أنه يتمتع فى حالة السلام ويسبل رداءه ويأكل ما يشتهى وإذا نزل فى
 فالحرب كان كالسبع الضارى

(٤) الأرى : العسل . الشرى : الخنظل . وكلا مفعول ذاق . والمعنى أنه
 رجل سهل الجانب حلو المذاق لمحبه ، مر الطعم لعدوه ، وكل من المحب والعدو
 قد ذاق كلا الطعمين

(٥) وحيدا حال . اليماني : السيف . الأفل : المشتم . المعنى أنه شجاع
 لا يخاف الأهوال لكثرة ممارسته لها يقتحمها بنفسه ولا يستصحب معينا إلا السيف
 اليماني المشتم من كثرة الضرب به

وفتو هجروا ثم أسروا ليلهم حتى إذا ما انجباب حلوا (١)
كل ماض قد تردى بماض كسنا البرق إذا ما يسيل (٢)
فأدر كنا الثأر منهم ولما ينجم الحين إلا الأقل (٣)
فاحتسوا أنفاس نوم فلما هوموا رعتهم فاشمعلوا (٤)
فلئن فلت هذيل شباه لهما كان هذيل يفل (٥)
صليت منى هذيل بخرق لا يمل الشر حتى يملوا (٦)
ينهل الصعدة حتى إذا ما نهلت كان لها منه عل

(١) فتو : جمع فتى . هجر : سار وقت الهجرة وهي اشتداد الحر في نصف النهار . أسروا : لفظة في سروا ، والسرى : السير في الليل خاصة . انجباب : انكشف . سلوا : أقاموا . والمعنى : ورب فتیان واصلوا سيرهم من وقت الهجرة إلى آخر الليل فاذا انكشف الضوء أقاموا

(٢) تردى بسيفه مثل ارتدى به إذا تقلده ويسمى السيف رداء . سنا البرق : ضوءه . والمعنى ان كل رجل ماض منهم قد تقلد بالسيف الماضى الذى يحكى سنا البرق عند إخراجهم من الغمد

(٣) أدركنا : أخذنا . والمعنى . أخذنا ثأرنا منهم ولم ينج منهم إلا اليسير
(٤) احتسى الشراب : تناول شئنا فشيئنا . الأنفاس : الجرع . هوم الرجل : إذا هز الرأس من النعاس . اشمعلوا : أسرعوا في السير . رعتهم : أفزعهم . يقول كانوا في النعاس فلما أفزعهم جدوا في السير

(٥) الفل : كسر في حد السيف . الشبا : الحد . وقوله « لهما كان » معناه كثيرا ما كان

(٦) صليت بكذا : قاست شدقه . الخرق : الشجاع الكريم . والمعنى أن هذيل قاست الشدائد من شجاع ذى صبر وثبات على القتال فلا يسأه حتى يجد السامة من أعدائه فيرأف بهم

حلت الخمر وكانت حراما وبلاى ما أملت تحل (١)
 فاسقنيها ياسواد بن عمرو ان جسمي يعد خالى لخل (٢)
 تضحك الضبع لقتلي هذيل وترى الذئب لها يستهل (٣)
 وعناق الطير تغدو بطانا تتخطاهم فما تستقل (٤)
 ولدريد بن الصمة قصيدة في الرثاء يرثي بها أخاه عبد الله بن الصمة لما
 قتل ، ومن الغريب أنه بدأها بالغزل ، ومطلعها :
 أرث جديد الحبل من أم معبد لعاقبة أم أخلفت كل موعد
 ومنها :
 تنادوا فقالوا : أردت الخيل فارسا فقلت أعبد الله ذلكم الردى
 فإن يك عبد الله خلى مكانه فما كان وقافا ولا طائش اليد
 صباما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل ابعده

= أنهله الشراب : سقاه إياه أول مرة . وعلاه : سقاه الثانية . الصعدة :
 القناة تنبت مستويه . المعنى أنه لا يكفى بطعن أعدائه بقناته مرة بل يكرره مرة
 بعد أخرى كالشارب الذى لا يكفيه النهل فيشتاق إلى العلل

(١) أملت من الأمام وهى الزيارة الخفيفة . اللأى : البطء . والمعنى أنه فاز
 بأخذ الثأر بعد بظه ومضى مدة فصارت الخمر حلالا له بعد أن حرمها على نفسه
 جريا على عادتهم من تحريم الخمر وغسل الرأس قبل أخذ الثأر
 (٢) سواد مرخم سواده . الخل : الممزول . والمعنى : اسقى الخمر الآن فان
 جسمي قد هزل بعد خالى

(٣) تضحك الضبع استعارة عن سرورها ومثله الاستهلال للذئب . والمعنى
 أن الضبع والذئب فى سرور بقتلي هذيل لحصولهما على كثرة الغذاء من لحومها
 (٤) عناق الطير : جوارحها . تستقل : تطير . والمعنى أن جوارح الطير
 تنزل على القتلى من هذيل فتملا بطومها حتى لا تسكاد تطيق الطيران لكثرة أكلها
 من قتلاهم (١٦ الأدب)

والقصيدة رواها صاحب الجهرة (١) وصاحب الحماسة (٢)

وقصيدة جليلة في رثاء كليب ورثاء حياتها الزوجية بعد أن ارتكب
أخوها جساس جرما فظيعا بقتله كييا مشهورة ذائعة ، وقد سبق بعضها
وقال امرؤ القيس لما بلغه مقتل أبيه حجر :

أرقت لبرق بليل أهل يضى سناه بأعلى الجبل

أتانى حديث فكذبته بأمر تززع منه القلـل

بقتل بنى أسد ربهم ألا كل شيء سواه جمل

فأين ربيعة عن ربها وأين تميم وأين الخول ؟

ألا يحضرون لدى بابه كما يحضرون إذا ما استهل

وقال لييد في رثاء النعمان

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

ألا كل شيء ماخلا الله باطل وكل نعيم لامحالة زائل

وكل اناس سوف تدخل بينهم دويمة تصفر منها الأنامل

فإن أنت لم ينفعك عليك فانتسب لعلك تهديك القرون الأوائل

وإن لم تجد من دون عدنان والدا ودون معد فلتزعك العواذل

وقال عبدة بن الطبيب :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ماشاء أن يترحمها

فما كان قيس هلكه هلك واحد وليكنه بنيان قوم تهـدما

ولأم السليك ترثيه :

طاف يبغى نجوة من هلاك فهلك

ليت شعري ضلة أي شيء قتلك
 أريض لم تعد أم عدو ختلك
 أم تولى بك ما غال في الدهر السلك
 والمنايا رصد للفتي حيث سلك
 أي شيء حسن لفتي لم يك لك ؟
 كل شيء قاتل حين تلقى أجلك
 طالما قد نلت في غير كد أملك
 إن أمراً فادحاً عن جوابي شغلك
 ساء عزي النفس إذ لم تجب من سألك
 ليت قلبي ساعة صبره عنك ملك
 ليت نفسي قدمت للنايا بذلك

وقصيدة أوس في رثاء فضالة بن كادة والتي مطلعها :

أيتها النفس أجهلى جزعا إن الذى تحذرين قد وقعا
 مشهورة معروفة .

٥ — الحماسة

وهي ما أثر عن العرب في جاهليتهم من شعر قالوه في وصف شجاعتهم
 ونضالهم وحروبهم ومواقعهم ، وفي الدعوة إلى الأخذ بالثأر والانتقام من
 العدو ، وفي التحريض على القتال ، وبعث عزائم الأبطال في الحروب ،
 وفي ماسوى ذلك من شتى أغراض شعر الحماسة ومناحيه

وهو باب كبير في الشعر الجاهلى ، وصدر به أبو تمام حماسته ، ونماذجه
 كثيرة ، ولنعرض هنا شواهد لهذا الفن من فنون الشعر

قال الفند الزماني في حرب البسوس :

- صفحنا عن بني ذهل وقلنا القوم إخوان (١)
 عسى الأيام أن يرجعن قوما كالذي كانوا (٢)
 فلها صرح الشر فأمسى وهو عريان (٣)
 ولم يبق سوى العدو ن دناهم كما دانوا (٤)
 مشينا مشية الليث غدا والليث غضبان (٥)
 بضرب فيه توهين وتخضع وإقران (٦)
 وطعن كفم الزق غذا والزق ملائ (٧)
 وبعض العلم عند الجهل للذلة إذعان (٨)
 وفي الشر نجاة حين لا ينجيك إحسان (٩)

(١) صفحنا أعرضنا :

(٢) كالذي كانوا . أى مثل ما كانوا ودا وإخلاصا .

(٣) صرح : انكشف قوله « عريان » ضربه مثلا لظهور الشر ووضوحه ويرى « فأضحى » وهو أحسن لأن الشيء فى الضحى أظهر وأبين .

(٤) العدو ان : الظلم الصريح . دناهم : جزيئناهم والدين الجزاء يقول : جزيئناهم بفعلهم القبيح كما ابتدأ أو نابه .

(٥) غدا : ابتكر . والمعنى مشينا إليهم مشية الأسد ابتكروا وجائع غضبان

(٦) التوهين : التضعيف . والتخضع : التذليل . الاقران : الاسترخاء أو التتابع

(٧) غذا : سال ، شبه الطعنة إذا سال منها الدم بفهم الزق - وعاء الخمر - إذا

سال منه الخمر .

(٨) الاذعان : الانقياد . اعتذر فى هذا البيت عن تركهم التحلم مع الاقرباء

لأنه يفضى إلى الذل .

(٩) الشر : الانتقام . الاحسان : العفو .

ترجمة الشاعر : الفند شاعر جاهلي كان أحد فرسان ربيعة المشهورين
المعدودين شهد حرب بكر وتغلب وقد قارب المائة سنة واسمه أشهل بن شيبان
بن ربيعة بن زمان .

القصيدة : من عيون الشعر الجاهلي رواها صاحب الحماسة (١٥ ج ١
ديون الحماسة طبعة محمود توفيق) . وقد نظمها الشاعر في حرب البسوس التي
كانت بين بكر وتغلب وذلك أن بكر بن وائل قوم الفند بعثوا إلى بني حنيفة
في حرب البسوس يستنصرونهم فأمدوهم به وبقومه بني زمان
وقال : وذاك بن ثميل المازني وهو شاعر جاهلي :

رويد بن شيبان بعض وعيدكم	تلاقوا غدا خيلي على سفوان
تلاقوا جيادا لا تحيد عن الوغي	إذا ما غدت في المأزق المتداني
عليها السكامة الغر من آل مازن	ليوث طعان عند كل طعان
مقاديم وصالون في الروع خطوهم	بكل رقيق الشفرتين يمانى
إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم	لأية حرب أم بأى مكان

وقال عمرو بن معديكرب الزبيدي :

ليس الجمال بمنز	فاعلم وإن رديت بردا
إن الجمال معادن	ومناقب أورث مجدا
أعددت للحدثان سا	بغة وعداء علندي (١)
وعلمت أنى يوم ذا	ك منازل كعبا ونهدا
قوم إذا لبسوا الحديد	تنمروا حلقا وقدا (٢)
كل امرئ يجرى إلى	يوم الهياج بما استعدا

(١) السا بغة : الدرع الواسعة . العداء : الفرس كثير العدو . العلندي : الشديد

(٢) الحلق : الدروع . القيد : شبه درع كان يتخذ من الجلد

لما رأيت نساءنا يفحصن بالمعزاء شداً (١)

وبدت لميس كأنها بدر السماء إذا تبدى

وبدت محاسنها التي تخفى ، وكان الأمر جداً

نازلت كبشهم ولم أرمن نزال الكباش بدا

هم يندرون دى وأنذر إن لقيت بأن أشدا

كم من أخ لي صالح بوأته يبدى لحدا

ما إن جزعت ولا هلعـ ت ولا يرد بكاي زندا

ألبسته أثوابه وخلقت يوم خلقت جلدا

أغنى غناء الزاهيين أعد للأعداء عدا

ذهب الذين أحبهم وبقيت مثل السيف فردا

وقال الحصين بن الحمام المرى :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

نفلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعز وأكرما

وقال الحارث بن ويلة الجرمى وهو شاعر جاهلى من فرسان قضاة

وأعلامها :

قوى هم قتلوا - أميم - أخى فاذا رميت يصيبني سهمى

ولئن عفوت لأعفون جللا ولئن سطوت لأوهن عظمى

لا تأمن قوما ظلمتهمـو وبدأنهم بالشتم والرغم

وزعتم ألا حلوم لنا إن العصا قرعت لدى الحلم

(١) المعزاء : الأرض الصلبة . ويفحصن أى يؤثر فيها من شدة الجرى

وقال عبد الشارق بن عبد العزى :

ألا حبيت عنا يارديننا نحسبها وإن كرمت علينا
ردينة لو رأيت غداة جئنا على أضماتنا وقد اختويننا (١)
فأرسلنا أبا عمرو ربيئنا فقال ألا أنعموا بالقوم عينا
ودسوا فارسا منهم عشاء فلم نغدر بفارسهم لدينا
فجاءوا عارضا بردا وجئنا كمثل السيل نركب وازعينا (٢)
تنادوا يا لبهشة إذ رأونا فقلنا : أحسنى ضربا جهينا
سمعنا دعوة عن ظهر غيب فجلنا جولة ثم ارعويننا
فلما أن تواقفنا قليلا أنحننا للكلأ كل فارثينا
فلما لم ندع قوسا وسهما مشينا نحوهم ومشوا إلينا
فلا لواء مزنة برقت لأخرى إذا حجلوا بأسياف ردينا
شددنا شدة فقتلت منهم ثلاثة فتية وقتلت قينا (٣)
وشدوا شدة أخرى فجروا بأرجل مثلهم ورموا جويننا (٣)
وكان أخى جوين ذا حفاظ وكان القتل للفتيان زينا
فآبوا بالرماح مكسرات وأبنا بالرماح قد انحنينا

٦ — العتاب

وهو فن ليس بذائع فى الشعر الجاهلى . ومن شواهدة :
قال أمية بن أبى الصلت يعاتب ابنه :
غذوتك مولودا وعلمتك يافعا تعل بما أدنى إليك وتنهل

(١) الأضم : شدة الحقد . اختويننا : أى لم نطعم شيئا .

(٢) الوازع : الذى يرتب الجيش ويصاحبه . أى جئنا خلفه مباشرة

(٣) انهم فارس

إذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت
كأنني أنا المطروق دونك بالذي
تخاف الردى نفسى عليك وإنها
فلما بلغت السن والغاية التى
جعلت جزائى منك جبها وغلظة
فليتك إذ لم ترع حق أبوتى
وسميتنى باسم المفند رأيه
تراه معدا للخلاف كأنه
لشكواك إلا ساهدا أتمل
طرقت به دونى وعينى تهمل
لتعلم أن الموت حتم مؤجل
إليها مدى ما كنت فيك أو مل
كأنك انت المنعم المتفضل
فعلت كما الجار المجاور يفعل
وفى رأيك التنفيذ لو كنت تعقل
برد على أهل الصواب موكل

وقال حكيم بن أقيبصة الضبي يعاتب ابنه بشرا :

لعمري أبى بشر لقد خانه بشر
فما جنة الفردوس هاجرت تبتغى
على ساعة فيها إلى صاحب فقر
ولكن دعاك الخبز أحسب والتمر

وقال ذو الاصبغ العدواني :

لاه ابن عمك^(١) لا أفضلت فى حسب
ولا تقوت عيالى يوم مسغبة
فان ترد عرض الدنيا بمنقصتى
إن الذى يقبض الدنيا ويبسطها
الله يعلمكم والله يعلمنا
ماذا على وإن كنتم ذوى رحى
لو تشربون دمي لم يرو شاربكم
يا عمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى
كل امرئ صائر يوما لشيئته
عنى ولا أنت ديانى فتخزونى
ولا بنفسك فى العزاء تكفينى
فان ذلك مما ليس يشجبنى
إن كان أغناك عنى سوف يغنينى
والله يجزيكم عنى ويجزىنى
أن لا أحبكم إذ لم تحبونى
ولا دماؤكم جمعاً تروينى
أضربك حتى تقول الهامة اسقونى
وإن تخلق أخلاقاً إلى حين

(١) أى لله ابن عمك . الديان : القائم بالأمر القاهر . خزاه . ساسه . ودبره

يا عمرو لو كنت لي ألفيتني بشرا
والله لو كرهت كفى مصاحبتى
سمحا كريما أجازى من يجازينى
لقلت إذ كرهت قربى لها بينى

٧ — الاعتذار

وأول من أجاد فيه واشتهر به هو النابغة الذبياني، واعتذارياته إلى النعمان
ابن المنذر ملك الحيرة من عيون الشعر الجاهلي

وقصيدة النابغة :

أتانى — أبيت اللعن — أنك لمتنى
ومنها : فانك شمس والملوك كواكب
وتلك التى أهتم منها وأنصب
إذا طلعت لم يبد منها كوكب

وقصيدته :

أتانى — أبيت اللعن — أنك لمتنى
والتي منها : فانك كالليل الذى هو مدركى
وتلك التى تستك منها المسامع
وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

قصيدتان مشهورتان فى الاعتذار

وقال النابغة يعتذر إلى النعمان :

فلا لعمرى الذى قد زرتك حججا
والمومن العائذات الطير يمسحها
وما إن نديت بشيء أنت تكرهه
إذا فعاقبنى ربى معاقبة
إلا مقالة أقوام شقيت بهم
هذا التبرؤ من قول قذفت به
مهلا فداء لك الأقوام كلهم
أنبت أن أبا قابوس أو عدنى
وما هريق على الانصاب من جسد
ركبان مكة بين الغيل والسند
إذا فلا رفعت سوطى إلى يدي
قوت بها عين من يأتيك بالحسد
كانت مقاتلهم قرعا على السكبد
كانت نوافذه حرا على السكبد
وما أومل من مال ومن ولد
ولا قرار على زار من الأسد

٨ - الحكمة والاخلاق

وهي كثيرة في الشعر الجاهلي

تجدها في معلقة زهير حيث يقول :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله	على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يعترب يحسب عدوا صديقه	ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه	يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن لم يصانع في أمور كثيرة	يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه	يفره ومن لا يتقى الشتم يشتم
ومهما تكن عند امرئ من خليقة	وان خالها تخفى على الناس تعلم
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش	ثمانين حولاً لا أبالك يسأم
وأعلم ما في اليوم والأمس قبله	ولكنني عن علم ما في غد عمي
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب	تمته ومن تخطيء يعمر فيهرم

كما تجدها في معلقة طرفة حيث يقول :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى	عقيلة مال الفاحش المتشدد
أرى الدهر كنزاً ناقصاً كل ليلة	وما تنقص الأيام والدهر ينفد
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفقى	لكا لطول المرخي وثنياه باليد
وظلم ذوى القربى أشد مضاضة	على النفس من وقع الحسام المهند
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً	ويأتيك بالأخبار من لم تزود
لعمرك ما الأيام إلا معارة	فما استطعت من معروفها فتزود
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه	فكل قرين بالمقارن يقتدى
وفي قصيدة عبيد بن الأبرص	البائية حكمة كثيرة ، وقد رواها

صاحب الجهرة . ويقول منها :

وكل ذى غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب
من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخب
والله ليس له شريك علام ما أخفت القلوب
والمرء ماعاش فى تكذيب طول الحياة له تعذيب

وكذلك فى دالية عدى بن زيد التى رواها صاحب الجهرة ويقول منها :

أعا ذل ما يدريك أن منيتى إلى ساعة فى اليوم أوفى ضحى الغد
أعا ذل ما أدنى الرشاد من الفتى وأبعده منه إذا لم يسدد
أعا ذل إن الجهل من لذة الفتى وإن المنايا للرجال بمرصد
ذرينى فإنى إنما لى ماضى أمامى من مالى إذا خف عودى
وللوارث الباقي من المال فاتركى عتبانى فإنى مصلح غير مفسد
كفى زاجراً لله أياهم دهره تروح له بالواعظات وتغتدى
فنفسك فاحفظها عن الغى والردى متى تغوها يغو الذى بك يقتدى
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى
وبالعدل فانطق إن نطقت ولا تلم وذا الذم فاذمه وذا الحمد فاحمد
عسى سائل ذو حاجة إن منعه اليوم سؤلاً أن ييسر فى غد

إلى آخر ما فى هذه القصيدة الطويلة من حكم وتجارب وآراء (١)

ويقول الأفوه الأودى :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جها لهم سادوا
تهدى الأمور بأهل الراى مصلحت فان تولت فبالأشرار تنقاد
إلى ماسوى ذلك من ألوان الحكمة الكثيرة فى الشعر الجاهلى مما

لاداعي إلى الاطالة فيه ، ويمكنك أن تقرأ قصيدة عبدة بن الطبيب في
المفضليات ^(١) والتي مطلعها :

أبني إني قد كبرت ورايتي بصري وفي لمصالح مستمتع
ويقول منها :

ونصيحة في الصدر صادرة لكم ما دمت ابصر في الرجال وأسمع
أوصيكم بتقى الاله فانه يعطي الرغائب من يشاء ويمنع
وببر والدم وطاعة أمره إن الابر من البنين الأطوع
إن الكبير إذا عصاه أهله ضاقت يداه بأمره ما يصنع
إن الذين تروهم إخوانكم يشفي غليل صدورهم ان تصرعوا
فستجد حكمة وجمالا ونصائح خلقية كريمة

٩ - الوصف

وهو باب واسع في الشعر الجاهلي سعة مناظر الحياة ومشاهد الوجود
نفسها . ولقد صور الشاعر الجاهلي بيئته وحياته وألوان معيشته في شعره
تصويرا رائعا بديعا ، مما لا يمكن إحصاؤه وتعداد القول فيه
فقد وصف الجبال والرمال والوديان والمياه والأمطار والسيول والبرق
والرياح واختلافها ، كما وصف الابل والغنم والخيول والوحش والصيد
وما في بلاده من حيوان ونبات وجماد ، ووصف دياره وأماكن نزوله
ومواضع لهوه وكره ، ووصف معارك الحرب والأسلحة التي يستعملها فيها ،
ووصف ملابسه وكل ما يتصل به أو بيئته ، مما نكتفي بالإشارة إلى شواهد
قليلة له .

قال امرؤ القيس في وصف الليل :

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بانواع الهموم ليلتي
فقلت له لما تمطى بصليبه وأردف أعجازا وناء بكا كل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الاصبح منك بأمثل
فيا لك من ليل كائن نجومه بكل مغار القتل شدت يذبل
وقال طرفه يصف السفينة :

كأن حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية ، أو من سفين ابن يامن يحور بها الملاح طوارا ويهتدى
يشق حباب الماء حين ومهاها كما قسم الترب المفايل باليد
وقال عنتره يصف روضة :

ولقد مررت بدار عبلة بعد ما لعب الربيع بربعها المتوسم
جادت عليه كل عين ثرة فتركن كل قرارة كالدرهم
سحا وتسكيا فكل عشية يجرى عليها الماء لم يتصرم
وخلا الذباب بها فليس بيارح غردا كفعل الشارب المترنم
هزجا يحك ذراعه بذراعه قدح المسكب على الزناد الأجزم
ولحسان السعدي يصف القمر :

مهما يكن ريب المنون فاني أرى قمر الليل المعذب كالقفي
يهل صغيرا ثم يعظم ضوءه وصورته حتى إذا ما هو استوى
تقارب يخبو ضوءه وشعاؤه ويمص (١) حتى يستمر (٢) فهايرى
ويصف عنتره الغراب فيقول :

ظعن الذين فراقهم أتوقع وجرى بينهم الغراب الأبقع
 خرق الجناح كأن لحى رأسه جلمان ، بالأخبار هش مولع
 ويصف فرسه الذى خاض به المعركة فيقول :

ما زلت أرميهم بشجرة نحره ولبانه ، حتى تسربل بالدم
 فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعيرة وتحمحم
 لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولو كان لو علم الكلام مكلمى
 ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم
 والخيول تقتحم الخبار عوابسا ما بين شيطرة وأجر دشيظم
 ويصف طرفه ناقتة فيقول :

وانى لأمضى الهم عند احتضاره بهوجاء مرقال تروح وتغتدى
 أمون كألواح الأران نسأتها على لاحب كأنه ظهر برجد
 لها نخدان أكمل النحض فيهما كأنهما بابا منيف مـرد
 فإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت مخافة ملوى من القد محصد
 إلى آخر هذا الوصف الغريب

وحسبنا فى باب الوصف ذلك الآن

١٠ — النسيب

وهو من أكثر أبواب الشعر العربى ، وأغزرها ، وقد أكثر الشعراء
 الجاهليون منه ، وابتدأوا به قصائدهم (١)

والنسيب هو ذكر جمال المرأة ووصف محاسنها وأثر تبريح الشوق

(١) لا تكاد تخلو قصيدة منه اللهم إلا قصيدة عمرو بن كلثوم :

ألا هي بصحك فاصبحينا ولا تبقى خور الاندرينا

بالشاعر وحنينه اليها وقص ذكرياته مع محبوبته وساعات لقائها ، والديار التي كانت تنزل بها ، ومسارح اللهو واللعب التي كانت تلعب وتلهو فيها ، إلى غير ذلك من حديث الجمال والظما إليه وذكريات الحب والحنين والشوق إلى المرأة . والغزل والنسيب متقاربان في المعنى وإن كان بعض الباحثين يعرف الغزل بأنه « الاشتهار بموادم النساء وتتبعهن والحديث إليهن » ، والتشبيب قاصر على ما يأتي به الشاعر في مطلعته كلامه من ذكر للمرأة والأطلال والديار وذكريات اللقاء والحب ، وإن كان بعض الباحثين يرى أن الجميع بمعنى واحد لا اختلاف في مدلولها

وامرؤ القيس هو أول من رقق الغزل وأطاله وشبه المرأة بالمها والظلي والظلم ووصف ديبه اليها وفجوره في حبه ولهوه مع محبوباته
وها كم أمثلة للنسيب من الشعر الجاهلي :

قال امرؤ القيس إمام الشعراء ، وشيخ النسيب والغزل ومبتدئه ، من لاميته الطويلة المشهورة :

بلى رب يوم قد هوت وليلة	بأنسة كأنها خط تمثال
يضىء الفراش وجهها لضجيعها	كصباح زيت في قناديل ذبال
كأن على لباتها جمر مصطل	أصاب غضى جز لا وكف بأجذل
ومثللك بيضاء العوارض طفلة	لعوب تنسينى إذا قت سربالى
تنورتها من أذرعاه وأهلها	يشرب أدنى دارها نظر عال
نظرت اليها والنجوم كأنها	مصاييح رهبان تشب لققال
سموت اليها بعد ما نام أهلها	سمو حباب الماء حالا على حال
فقلت سباك الله انك فاضحى	ألست ترى الستمار والناس أحوالى
فقلت يمين الله ابرح قاعدا	ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى
فلما تنازعنا الحديث وأسمحت	هصرت بغصن ذى شمار يخ ميال
فصرنا إلى الحسنى ورق كلاءنا	ورضت فذلت صعبة أى اذلال

لناموا فما إن من حديث ولا صال
عليه القتام كاسف الظن والبال
ليقتلني والمرء ليس بقتال
ومسنونة زرق كأنياب أغوال

حلفت لها بالله حلقة فاجر
فأصبحت معشوقاً وأصبح بعلمها
يعط غطيظ البكر شد خناقه
أيقتلني والمشرقي مضجعي

وقال الأعشى

وهل تطيق وداعاً أيها الرجل
تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل
مر السحابة لاريث ولا عجل
ولا تراها لسر الجار تختل
إذا تقوم إلى جاراتها السكسل
والزنبق الورد من أردانها شمل
خضراء جاد عليها مسبل هطل
مؤزر بعيم النبت مكتمل
ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل
ويلي عليك وويلي منك يارجل
إنا كذلك مانحنى وننتعل
وقد يحاذر مني ثم ما يثل
وقد يصاحبني ذو الشرة الغزل

ودع هريرة إن الركب مرتحل
غراء فرعاء مصقول عوارضها
كأن مشيتها من بيت جاريتها
ليست كمن يكره الجيران طلعتها
يكاد يصرعها لولا تشدها
إذا تقوم يضوع المسك أصوره
ماروضة من رياض الحزن معشبة
يضاحك الشمس منها كوكب شرق
يوماً بأطيب منها نشر رائحة
قالت هريرة لما جئت زائرهما
أما ترانا حفاة لا نعال لنا
وقد أخالس رب البيت غفلته
وقد أقود الصبي يوماً فيتبعني

وقال النابغة :

ماذا تحيون من نوى وأحجار ؟
هوج الرياح بهابي الترب موار
عن آل نعم أمونا عبر أسفار
والدار لو كلمتنا ذات أخبار
إلا الثمام وإلا موقد النار

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار
أقوى وأقفر من نعم وغيره
وقفت فيها سراة اليوم أسألها
فاستعجمت دار نعم مات كلمنا
فما وجدت بها شيئاً ألوذ به

وقد أراني ونعماً لاهيين بها
أيام تخبرني نعم وأخبرها
لولا حبائل من نعم علقت بها
نبئت نعماً على الهجران عاتبة
رأيت نعماً وأصحابي على عجل
فريع قلبي وكانت نظرة عرضت
ميضاء كالشمس وافت يوم أسعدها
والطيب يزداد طيباً أن يكون بها
أقول والنجم قد مالت أواخره
ألحمة من سنابرق رأى بصرى
بل وجه نعم بدا والليل معتكر
وقال المخبل السعدى :

ذكر (الرباب) ، وذكرها سقم
وإذا ألم خيالها طرفت
كاللؤلؤ المسجور أغفل في
وأرى لها داراً بأغدره السيدان لم يدرس لها رسم (٤)

(١) الرباب : اسم محبوبته - الصبوة : العشق . الحلم : العقل
(٢) الشؤون : مجارى الدمع واحداً شأن . سجم مصدر من سجم الدمع :
سال والمراد بالمصدر اسم الفاعل
(٣) المسجور : المنظوم المسترسل . أغفل : أهمل . والمعنى أنه حين يرى
خيال حبيبته تسيل دموعه كأن قطراتها در منظوم في سلك انقطع فتحد رمنه الدر
(٤) الأغدره : جمع غدير . السيدان . أرض لبنى سعد قوم المخبل . الرسم :
الآثر بلا شخص . درس : عفا وذهب . يريد أن دار حبيبته لم تذهب آثارها
بل بقيت بعض رسومها ، فهو حين يراها ، يذكر صاحبته ويحزن كثيراً
لفراقها وبعدها

إلا رماداً هامداً دفعت عنه الرياح خوالد سحماً (١)
فكدأن ما أبقي البوارح وال أمطار من عرصاتها الوشم (٢)
وكان أطلاء الجآزر وال غزلان حول رسومها البهم (٣)

ترجمة الشاعر :

المخبل أبو يزيد التميمي السعدي ، شاعر مشهور ، واسمه ربعة بن مالك .
عمر في الجاهلية والاسلام طويلا ، ومات في خلافة عمر أو عثمان وهو شيخ
كبير [راجع ترجمته في الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٩٦ ط الخانجي
١٣٢٢ هـ ، و ١٧٧ المؤلف الأمدى]

القصيدة :

والقصيدة عالية الطبقة في البلاغة ، رواها صاحب المفضليات وذكر منها
أربعين بيتا .

بدأها بالذكرى والطيف ، ووصف دار صاحبتها الدارسة ثم وصف

(١) هامد : خامد ، وإنما همد اطول مكثه . الخوالد . البواقى قصد بها
الآثافى وهى الحجارة التى تنصب عليها القدور . سحماً من السحمة وهو لون
يضرى إلى السواد . يريد أن الآثافى حفظت الرماد من أن تذروه الرياح
وقوله « إلا رمادا » « إلا » هنا بمعنى الواو كما يقول أبو عبيدة يقول .
وأرى لها رمادا

(٢) « ما » اسم موصول . البوارح الرياح الشديدة من الشمال خاصة وهى
من رياح الصيف . العرصات : جمع عرصة وهى ساحة الدار . الوشم : النقش
فى اليد

والمعنى أن الآثار الباقية من دار حبيبتها التى كادت تعفوها الرياح والأمطار
تبدو كأنها الرسم المنقوش فى اليد

(٣) الأطلاء . جمع طلاء وهو الصغير من ذوات الظلف . الجآزر . جمع
جؤذر وهو الصغير من ولد البقر . البهم . صغار أولاد المعزى الواحدة بهمة

جمالها وبياض وجهها وكشافة فرعها ؛ ثم أنحى على لائمه التي لائمه على كرمه
وإنفاقه ، واحتج بأن الخلود في البذل والجود لا في الثراء والشح ، وبأن
المنية غاية الأحياء . ومنها :

ولقد تحل بها الرباب لها سلف يقل عدوها فخم (١)
بردية سبق النعيم بها أقرانها وعلا بها عظم (١)
وتريك وجهها كالصحيفة لا ظمان محتلج ولا جهم (٣)
كعقيلة الدر استضاء بها محراب عرش عزيزها العجم (٤)
وتضل مدرها المواشط في جعد أغم كأنه كرم (٥)

وتقول عاذلتي وليس لها بغد ولا مابعد علم (٦)
إن الثراء هو الخلود وإن المرء يكره يومه العدم (٧)

(١) السلف . الخيل المتقدمة . يقل . يهزم . يريد أن قومها ذوو شجاعة
واستعداد ضخم في الحرب

(٢) بردية أى كبردية ، يشبهها بالبردى في صفاتها وبياضها واستوائها . غلا :
ارتفع . المعنى أنها يبيضاء زاد النعيم والترف في شبابها حتى أتراها كبيرة السن عن
أقرانها وهى صغيرة كبيرة الجسم والعظم .

(٣) يشبه وجهها بالصحيفة لملاسته وليته ، المختلج : القليل اللحم الضامر .
الجهم : الكثير اللحم البشع

(٤) العقيلة . السكرية ، وعقيلة كل شيء خيره . العجم فاعل استضاء وهو
لازم ، ومحراب منصوب على نزع الخافض . والمحراب صدر المجلس

(٥) المدرى : المشط . الجعد : الشعر المتقضب ليس بالسبوط . الأغم :
الشعر الكثير . الكرم . شجر العنب شبهه به لكثرته

(٦) العاذلة . اللائمة

(٧) يكره : يدنى . العدم : الفقر

- إني وجدك ماخلدني مائة يطير عفاؤها ، آدم (١)
ولئن بنيت لي المشقر في هضب تقصردونه العصم (٢)
لتنقب عنى المنية إن الله ليس كحكمه حكم (٣)
إني وجدت الأمر أرشده تقوى الآله وشره الأثم (٤)

وقال المنخل اليشكري وهو شاعر جاهلي كان يعاصر النابغة ونادم
النعمان بن المنذر :

ولقد دخلت على الفتاة الخدر في اليوم المطير
الكعب الحسنا تر فل في الدمقس وفي الحرير
فدفعتها فتدافعت مشى القطة إلى الغدير
ولشمتها فتتنفست كتتنفس الظبي الغدير
فدنت وقالت يامنخل ما بجسمك من حرور
ماشف جسمي غير حبك فاهدئي عنى وسيري
وأحبها وتحبني ويحب ناقتها بعيري

وقال ورد الجعدي :

خليلى عوجا بارك الله فيكما وإن لم تكن هند لأرضكما قصدا
وقولا لها ليس الضلال أجارنا ولكنا جرننا لنلقاكمو عمدا

-
- (١) يطير عفاؤها : يذهب وبرها من السمن . الأدم : الأبل الخالصة البيضاء
(٢) المشقر حصن بالبحرين . وكان المنخل وأولاده قد هاجروا إلى البصرة
وأقام بعض أبنائه بالأحساء والبحرين ، وهم شعراء . العصم : الوعول واحدها
أعصم يريد أن الهضبة عالية لا ترقاها الوعول
(٣) تنقب : تبحث . المنية : الموت
(٤) أرشده من الرشد وهو الهدى والاستقامة . الأثم : الذنب

وقال المرقش الأكبر

وهي قصيدته المفردة في الغزل (١).

سرى ليلاً خيال من سليمي	فأرقني وأصحابي هجود
فبت أدير أمرى كل حال	وأرقب أهلها وهمو بعيد
على أن قد سما طرفي لنار	يشب لها بذى الأارطى وقود (٢)
حواليها مها جم التراقى	وأرآم وغزلان رقود
نواعم لاتعالج بؤس عيش	أوانس لاتراح ولا ترود
يرحن معاً بطاء المشى بدا	عليهن المجاسد والبرود
سكن ببلدة وسكنت أخرى	وقطعت الموائق والعهود
فما بالى أفى ويخان عهدى	وما بالى أصاد ولا أصيد
ورب أسيلة الخدين بكر	منعمة لها فرع وجيد
وذو أشر شتيت النبت عذب	نفى اللون براق برود
لهوت بها زماناً من شبابى	وزارتها النجائب والقصيد
أناس كلها أخلقت وصلا	عنانى منهم وصل جديد

وقال طرفة :

(وهي قصيدته المفردة في الغزل)

ومطلعها

أتعرف رسم الدار فقرا منازلها كجفن اليماني زخرف الوشى مائله
ومنها :

ديار سليمي إذ تصيدك بالمنى وإذ جبل سلمى منك دان تواصله

(١) راجعها في المفضليات ٢٣ ج ٢ طبع دار المعارف ١٣٦١ هـ

(٢) سما : ارتفاع . يشب : يرفع الخطب حواليها وهو الوقود . الأارطى

بسكون الراء : شجر ينبت في الرمل : وذو الأارطى . موضع

المعلقات ومنزلاتها من الشعر الجاهلي

أولاً : سيب تسميتها بالمعلقات :

١ — قال المفضل — في « امرئ القيس م سنة ٥٦٠ ، وزهير م سنة ٦٣٥ ،
والنابغة م سنة ٦٠٤ ، والأعشى م سنة ٦١٢ ، ولييد م سنة ٦٤٥ ، وعمرو بن كلثوم
وطرفة م سنة ٥٦٥ م ، — هؤلاء أصحاب السبع الطوال التي تسميها العرب
« السموط » ، وقد أدر كئنا أكثر أهل العلم يقولون إن بعدهن سبعاً ما هن
بدونهن ولقد تلا أصحابهن أصحاب الأوائل فما قصروا ، وهن « المجهرات » ،
لعبيد وعنترة م سنة ٦٠٠ وعدى م سنة ٥٨٠ وبشر بن أبي خازم وأمّية بن أبي
الصلت وخداش بن زهير والنمر بن تولب ، وأما متقيات العرب فهن للمسيب
والمرقش والمتلمس وعروة بن الورد ومهلهل ودريد بن الصمة والمتنخل ،
وأما المذهبات فللأوس والخزرج خاصة ، وهن لحسان وابن رواحة ومالك
ابن العجلان وقيس بن الخطيم وأحيحة بن الجلاح وأبي قيس بن الأسلت
وعمر بن امرئ القيس ، « وعيون المرائي سبع » ، لأبي ذؤيب وعلقمة بن ذى
جند م ٥٤٠ م وكعب بن سعد الغنوي والأعشى الباهلي وأبي زيد الطائي
ومالك بن الريب ومتمم بن نويرة ، وأما « مشوبات العرب » ، وهن اللاتي
شابهن الكفر والاسلام فللعدي وكعب بن زهير والقطامي والخطيئة
والشماخ وعمر بن أحمروا بن مقبل ، وأما « الملحمات السبع » ، فهن للفرزدق
وجرير والأخطل والراعي وذو الرمة والكميت والطرماح . قال المفضل :
فهذه التسع والأربعون قصيدة عيون أشعار العرب في الجاهلية والاسلام^(١)
ونحن في هذا النص نجد تقسيماً جديداً لا إلف لنا به للقوائد الشعرية
في الجاهلية والاسلام ، حيث يقسمها المفضل م ١٨٩ هـ إلى سبعة أنواع ويعدها

ب — والظاهر أن صاحب الجهرة وهو أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي كان يتتلمذ على المفضل وتأثر به وبرأيه هذا فرتب الجهرة وقصائدها وفق هذا التقسيم . كما نلاحظ أنه بدلا من أن يقول « السموط » سماها « المعلقات » وعرضها واحدة بعد واحدة بعد أن قدمها بوصف المعلقات ولكنه زاد عليها واحدة هي قصيدة عنتره ، فهي عند أبي زيد ثمان ، وهي :

١ — معلقة امرئ القيس : قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

٢ — زهير : أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

٣ — النابغة ومطلعها :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نوى وأحجار

٤ — معلقة الأعشى ومطلعها :

ما بكاء الكبير بالاطلال وسؤالي وما ترد سؤالي

٥ — ومعلقة لييد : عفت الديار محلها فمقامها

٦ — معلقة عمرو بن كلثوم . ألا هي بصحنك فأصبحينا

٧ — طرفه . خولة أطلال ببرقة ثمهد

٨ — عنتره . هل غادر الشعراء من متردم ؟

وبذلك نجد أنفسنا أمام اسم « المعلقات » ، وهي قصائد سبع أو ثمان

لأشهر شعراء الجاهلية (١)

(١) قال حماد الرواية . كانت العرب تعرض أشعارها على قريش فما قبلوا منه

كان مقبولا وما ردوا منه كان مردوداً فقدم عليهم علقمة الفحل فأنشدهم قصيدته التي أولها .

هل ماعلت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأذك اليوم مصروم

فقالوا هذه سمط الدهر ثم عاد إليهم العام المقبل فأنشدهم قصيدته التي أولها .

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

فقالوا . هاتان سمط الدهر =

ح — ويروى أن زهيراً كان يسمى كبار قصائده الحوليات^(١).
 « ويقول الجاحظ : ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة عنده حولا
 كريتاً^(٢) وزمناً طويلاً يردد فيها نظره ، وكانوا يسمون تلك القصائد
 « الحوليات » ، و « المقلدات » ، و « المنقحات » ، و « المحكمات » ، ليصير قائلها ،
 فلا خنذيذاً وشاعراً مفلقاً ،^(٣) .

ونجد في هذه النصوص أسماء جديدة للقصائد الجاهلية ، ولكن الذى
 الذى يهمنا من كل هذه الأسماء هو « المعلقات » .

د — ويقول ابن قتيبة فى قصيدة عبيد بن الأبرص « أقفر من أهله ملحوب ،
 وهذه القصيدة أجود شعره وهى « إحدى السبع »^(٤) ، فكانه يعدها من
 السبع الطوال أو السبع المعلقات . ويقول فى قصيدة عنتره : « هل غادر

= كما يروى أن حماداً لما رأى زهد الناس فى الشعر جمع لهم هذه القصائد
 السبع وقال . هذه هى المشهورات فسميت « القصائد المشهورة »

وعلى هامش شرح الزوزنى للمعلقات مانصه « إنما سميت المعلقات لأن العرب
 فى الجاهلية كان الرجل منهم يقول الشعر فى أقصى الأرض فلا يعبأ به ولا ينشده
 أحداً حتى يأتى مكة فيعرضه على أندية قريش فان استحسنوه روى وكان فخراً
 لقائله وإن لم يستحسنوه طرح ولم يعبأ به ، قال أبو عمرو بن العلاء . وكانت
 العرب تجتمع فى كل عام بمكة وكانت تعرض أشعارها على هذا الحى من قريش ،
 قال ابن الكلبي : فأول شعر علق فى الجاهلية شعر امرئ القيس علق على ركن من
 أركان الكعبة أيام الموسم حتى نظر إليه فعلق الشعراء بعده وكان ذلك فخراً
 للعرب فى الجاهلية وعدد من علق شعره سبعة إلا أن عبد الملك طارح شعر أربعة
 منهم وأثبت مكانهم أربعة وروى آخرون إن بعض أمراء بني أمية أمر من اختار
 له سبعة أشعار فسمها المعلقات الثوائى ،

وبذلك نجد أول تفسير لتسمية هذه القصائد بالمعلقات وهى تعليقها على الكعبة
 وأول من قال بذلك ابن الكلبي

(١) ١٦ الشعر والشعراء ، ١٤٩ ج ١ البيان والتبيين

(٢) أى كاملاً (٣) ٢١ ج ٢ البيان والتبيين (٤) ص ٨٥ الشعر والشعراء

الشعراء من متردم ، . وكانت العرب تسميها الذهبية ، ^(١) . ويقول في قصيدة عمرو بن كلثوم « ألاهي بصحنك الخ ، . وهى من جيد شعر العرب وإحدى السبع المعلقة ، ^(٢) .

ه — ويقول ابن عبد ربه في العقد :

وقد بلغ من كلف العرب وتفضيلها للشعر ان عمدت الى سبع قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطى المدرجة وعلقتها في أستار الكعبة ، فمنه يقال مذهب امرئ القيس ، ومذهب زهير ، والمذاهب سبع وقد يقال لها المعلقة (٣) ،

ونجد أنفسنا في هذا النص أمام تفسير للمعلقة وبيان لسر تسمية هذه القصائد بهذا الاسم ^(٤) ، وهو مقتبس من رأى ابن السكلى

و — وفي المزهري للسيوطى وهو مأخوذ عن العمدة لابن رشيق : وكانت المعلقة تسمى المذاهب وذلك أنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطى بماء الذهب وعلقت على الكعبة ، وقيل بل كان الملك اذا استجيدت قصيدة يقول : علقوا لنا هذه لتكون في خزانته ، ^(٥)

فتراه يذكر - رواية عن غيره - سببا آخر لتسمية هذه القصائد بالمعلقة ^(٦) وقريب من هذا ما ذكره الأسكندري تفسيرا لتسميتها بالمعلقة ، وهو

(١) ٧٦ المرجع (٢) ٦٧ المرجع

(٣) ٣٧٩ ج ٣ العقد ، ٣٠٩ تهذيب العقد الفريد

(٤) ويسير على ذلك رأى البغدادى في خزائن الأدب ، وابن خلدون في المقدمة

(٥) ٢٩٨ ج ٢ المزهري ، ويقول ابن رشيق . « وكانت المعلقة تسمى

المذاهب وذلك أنها اختيرت من سائر الشعر القديم فكتب في القباطى بماء الذهب وعلقت على الكعبة فلذلك يقال مذهب فلان إذا كانت أجود شعره وذكر ذلك

غير واحد من العلماء »

(٦) وهذا رأى هو رأى أبى جعفر النحاس م سنة ٣٣٨ م =

أن العرب لم تكن تكتب في دفاف وإنما كانوا يكتبون في رقاع مستطيلة من الحرير أو الجلد يوصل بعضها ببعض ثم تطوى على عود أو خشبة وتعلق في جدار الرواق أو الخيمة

ويقول الألوسي صاحب بلوغ الأرب في الجزء الأول منه : وفيها — أى فى سوق عكاظ — علفت القصائد السبع الشهيرة افتخارا بفصاحتها على من يحضر الموسم من شعراء القبائل .

هذا ولكن المستشرقين ينكرون تعليق هذه القصائد بأى حال و — وبعد فنحن أمام رأيين فى سر تسمية هذه القصائد الجاهلية المشهورة بالمعلقات ، وهما :

الرأى الأول : أنها علفت على الكعبة . ويذهب إليه ابن عبد ربه فى العقد ، وابن خلدون فى المقدمة والبغدادى فى خزانة الأدب^(١) وتبعهم كثيرون . وقيل التعليق كان فى سوق عكاظ وهو رأى الألوسى ، وقيل إن

== قال أبو جعفر النحاس فى آخر شرحه للمعلقات . « وقيل إن العرب كانوا يجتمعون بعكاظ فيتنشدون الأشعار فإذا استحسن الملك - لعله النعمان بن المنذر - قصيدة قال : علقوا لنا هذه وأثبتوها فى خزائى . فأما قول من قال أنها علفت فى الكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة ، وأصح ما قيل إن حمادا الراوية لما رأى زهد الناس فى الشعر جمع هذه السبع وحضهم عليها وقال لهم هذه المشهورات فسميت القصائد المشهورة لهذا »

وقال أبو جعفر فى شرحه على تلك المعلقات : « واختلفوا فى جمع القصائد السبع ، وقيل : إن العرب كانوا يجتمعون بعكاظ فيتنشدون الأشعار فإذا استحسن الملك قصيدة قال : علقوا لنا هذه وأثبتوها فى خزائى ، وأما قول من قال أنها علفت بالكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة

(١) وأول من قال بتعليقها على الكعبة وتسميتها بالمعلقات من أجل ذلك هو

— كما فى كتاب الآداب العربية للرافعى — هشام بن الكلبي الراوية م ٢٠٤ هـ

التعليق كان في الرواق أو الخيمة وهو رأى الأسكندري ، وقيل إن التعليق كان في خزانة الملك وهو رأى أبي جعفر النحاس العالم اللغوي الأديب م ٣٣٨ هـ ، ولعله يريد بالملك النعمان بن المنذر الذي كان عنده ديوان مكتوب جمع فيه أشعار الفحول ، وينكر أبو جعفر تعليقها على السكبة ذا كرا أن ذلك لا يعرفه أحد من الرواة . وبعض الباحثين كابن رشيق والسيوطي يذكر الرأيين « أنها عُلقت على السكبة أو في خزانة الملك » ،

أما الرأي الثاني فينكر مسألة تعليقها بأي شكل من الأشكال ولون من الألوان ، ومن أصحاب هذا الرأي المستشرق الألماني نولدكي الذي كتب كتابا في هذا الموضوع ورجح (١) أن المعلقات معناها المنتخبات وأنها سميت بذلك تشبيها لها بالقلائد التي تعلق في النحور ، واستدل على ذلك بأن من اسمائها السموط والقلائد . وقد أيد رأيه الأستاذ كليمان هيار الفرنسي الذي ألف باللغة الفرنسية كتابا في الأدب العربي ، فرأى أن المعلقات جمع معلقة بمعنى القلادة بدليل أنهم يسمونها أيضا السموط بمعنى العقود والآلي . وأيد هذا الرأي « اسكندر أغا ابيكار يوس » في كتابه تزيين نهاية الأرب في أنباء العرب ، حيث قال : إن العلماء من المتقدمين قد انتخبوا من نفائس أشعار القدماء القصائد المسبغات التي هي سبعة أسابيع ورواها صاحب الجمهرة وأولها المعلقات ، ويرجح نيكلسون المستشرق الإنجليزي المشهور أن كلمة معلقة قد اشتقت من قولهم « علق » وهو الشيء النفيس الثمين العالي المستوى . وذلك لأن

(١) ونص كلام نولدكي — كما ورد في الفصل الذي كتبه عن المعلقات في دائرة المعارف البريطانية هو : « إن قصة القول بأن هذه القصائد كتبت بالذهب ترجع إلى تسميتها بالقصائد المذهبات وهي تسمية مجازية للدلالة على عظم أمرها وكذلك يجب أن تؤول تسميتها بالمعلقات على هذا الأساس نفسه فمن المحتمل جدا أن تعني هذه التسمية أن هذه القصائد قد سمت إلى درجة خاصة ، وهناك اشتقاق آخر من المادة نفسها وهو كلمة علق بمعنى الشيء النفيس

الانسان يتعلق بها تعلقا شديدا ، ثم قال : وقد ظهرت خرافة تزعم أن تسمية المعلقة بهذا الاسم راجعة لتعلقها بأستار الكعبة تقديرا لفضلها الذي قضى لها به المحكمون في عكاظ على مقربة من مكة حيث يجتمع الشعراء متنافسين في إنشاد أروع ما دبحته قرائحهم وأنها كانت تكتب بماء الذهب على القباطي الواردة من مصر قبل تعلقها على الكعبة (١)

ومن استبعد تعلقها على الكعبة الاستاذ حامد مصطفى وأيد رأيه بعدة أدلة (٢) ، وذهب إلى أنها سميت بالمعلقة لتعلقها وحفظها في الرأس أو في الدفاتر عناية بها لنفاستها

ويرد أصحاب الرأي الأول على من ينكرون تعلقها على الكعبة بأن تعليق الصحف الخطيرة على الكعبة كان سنة في الجاهلية والاسلام ، كتعليق قریش الصحيفة التي وكدوا فيها على أنفسهم مقاطعة بني هاشم والمطلب ، وتعليق هرون الرشيد لعهد بالخلافة من بعده إلى ابنه الأمين والمأمون ، فأى مانع يمنع أن تكون هذه القصائد لخطرها وبعد أثرها قد علفت في الكعبة ؟ ولذلك مثل في الأدب الاغريق القديم فان القصيدة التي نظمها زعيم الشعر الغنائى بندار في المدح قد كتبها الاغريق بالذهب على جدران معبد

(١) أما أن بعض هذه المعلقة قد أنشد في عكاظ فمسلم وأما أنها سميت بالذهبات لكتابتها في القباطي بماء الذهب فغير مسلم ، إذ ربما كانت تسميتها بالذهبات لجليل قيمتها الأدبية وعظيم خطرهما الفني

(٢) ١٨٨ تاريخ أدب اللغة العربية في العصر الجاهلي ط ١٣٦٦ هـ . ومن هذه الأدلة : ما في بعض المعلقة من فجر مما يبعد تعلقها على الكعبة ، واختلاف الرواة في عددها وأصحابها ، وعدم ورود شيء لنا عنها في عصر الرسول ، ولأن أول من ذكر تعلقها على الكعبة هو ابن السكبي م ٢٠٤ هـ وهو راوية غير موثوق به

أثينا في لمنوس . هذا ويقول التبريزي : وذهب فريق إلى أن وجه تسميتها بالمعلقات علوقها بأذهان صغارهم وكبارهم ومرقوسهم ورؤسائهم وذلك لشدة اعتنائهم بها

وبعد : فالمعلقات كانت مشارعجاء الرواة والأدباء والنقاد وتقديرهم وحبهم ، وعلقت بأذهان الجميع ، وحفظوها ورددوها

فليس ببعيد أن يكون رأى التبريزي هو أرجح الآراء في هذه التسمية لتلك القصائد الرائعة

ثانيا : عدد المعلقات :

وعدد هذه القصائد وأصحابها مختلف فيه :

١ — فقد سبق أن ذكرنا نقلا عن المفضل وسواه أنها سبع لأمريء

القيس والنابغة وزهير والأعشى وطرفة ولييد وعمرو بن كلثوم

٢ — ويجعلها صاحب الجهرة ثمانية بإضافة عنتر ومعلقته الميمية

إلى ما سبق

٣ — ويجعلها الزوزني تسعة : لأمريء القيس والنابغة والأعشى وزهير

وطرفة ولييد وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعنتر بزيادة الحارث

ابن حلزة

٤ — ويجعلها النعماني الحلبي شارح المعلقات في كتابه نهاية الأرب

من شرح معالقات العرب ، الذي ألفه سنة ١٣٢٤ هـ — عشرة وذلك بإضافة

قصيدة عبيد بن الأبرص :

ليس (١) رسم على الدفين ببالى فلولى ذروة فجنى ذيال

(١) الدفين : قرب مكة . اللوى : متقطع الرمل . ذروة : واد ابني فزارة

ذيال : رملة تواجه ذروة

ولكنه يجعل معلقة الأعشى هي :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا (١)

ومعلقة النابغة هي :

يادارمية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

هـ — و أكثر الرواة على أنها سبع لامرىء القيس وزهير وطرفة وليبد
وعنبرة وعمر وبن كلثوم والحارث بن حلزة

ثالثا : شرح المعلقات :

وقد شرح هذه المعلقات كثيرون منهم : أبو جعفر النحاس م ٣٣٨ هـ ،
والزوزنى م ٢٧٥ هـ ، ومحمد بدر الدين ابى فراس النعمانى الحلبى فى القرن
الرابع عشر الهجرى ، كما شرحها كثيرون مما عداهم

وطبعت المعلقات طبعات كثيرة باللغة العربية فى الشرق والغرب . وطبعها
سير شارلز ليل سنة ١٨٩٤ بـكلكتا ، كما ترجم نولدكة خمس معلقات ، مسقطا
معلقتى امرىء القيس وطرفة وارفق بها شرحا بالألمانية وهى أمتع ترجمة كما
ترجمها إلى الانكليزية شعرا مع شىء من التصرف مستر وفرد بلنت ولادى
أن بلنت ، ومن أشهر طبعاتها طبعة ليبسيا بعناية العلامة أر نولد سنة ١٨٥٠ م
رابعا : منزلة المعلقات فى الشعر الجاهلى :

وللمعلقات منزلة عظيمة فى الشعر الجاهلى ، فهى أعلى قصائده طبقة فى
البلاغة وبعد الأثر وجلال التأثير والسحر ، وهى لشعراء ممتازين فى منزلتهم
فى هذه الجزيرة المقفرة البدوية ، فوق انها هى الناطقة بمجد العرب ومحمد

(١) وذلك بدلا من قصيدته : ما بكاه الكبير بالأطلال . وبعض الرواة

ينذكرون أن معلقة الأعشى هي .

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل

معلقة طرفة

١ — وطرفة بن العبد البكري شاعر جاهلي مشهور ؛ نشأ يتيما في كفالة أعمامه ، يؤثر اللهو والدعة والبطالة ويدمن الخمر ويهجو الناس حتى الملك عمرو بن هند الذي أضمر له الشر وأرسله لعامله بالبحرين فقتله ولم يتجاوز السادسة والعشرين ، وتقول أخته الخرنق في رثائه :

عددنا له ستا وعشرين حجة فلما توفاهما استوى سيدا نخما

وكان طرفة ملتهب المشاعر والعواطف ، حاد التفكير واللسان ، متأجج الشعاعية ، نظم الشعر يصور فيه حياته وآماله وبطالته ، يصف فيجيد الوصف ويأتي بالحكمة العالية والفكرة الرائعة ، وهو أجود الجاهليين طويلا كما يقول ابن قتيبة ^(١) وشعره قليل بأيدي الرواة ^(٢) .

٢ — ومطلع هذه المعلقة الرائعة :

خولة أطلال ببرقة ثممد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد ^(٣)

وقد عد بها الشاعر من فحول الشعراء الجاهليين ومشهورهم ، واستحق من أجلها أن يضعه أبو عبيدة في الطبقة الثانية منهم وابن سلام في الطبقة الرابعة وأن يذهب بعض الشعراء والنقاد إلى أنه أشعر الجاهليين . وهي أطول المعلقات ، أبياتها خمسة ومائة بيت ، وتمتاز بكثرة معانيها وجزالة أسلوبها . نظمها طرفة بعد عودته إلى أرض قومه إثر تنقله في الأحياء حين كان مغاضبا لقومه وعشيرته ، وقبل أن يتصل بملوك الحيرة وينادهم .

ويبدو من روح المعلقة ولهجتها أن الشاعر نظمها عتابا لابن عمه ، ويبدو

(١) ٤٩ الشعر والشعراء (٢) ٤٩ الشعر والشعراء و ٤٩ طبقات الشعراء

(٣) خولة : اسم محبوبته . ثممد : أكمة في بلاد خثعم . تلوح : تظهر

أيضا أن السبب في عتابه له أن أخاه « معبدا » كان له إبل يرعاها هو وأخوه
 طرفة ، فأغلبها طرفة في المرعى حتى دخلت مرعى ابن عمه فحجزها ، فلام معبد
 أخاه ، وألقى عليه عبء طلبها واستردادها من ابن عمه ، فذهب طرفة إليه ،
 فلم يجد كلامه معه ، فعاد ثائرا غاضبا ، ونظم قصيدته يعاتب فيها عبد عمرو
 عتابا شديدا قاسيا بما تقرأه في المعلقة في قوله :

فألى أرانى وابن عمى مالكا متى أدن منه ينأ عنى ويبعد
 وأياسنى من كل خير طلبته كأنا وضعناه على رمس ملحد
 على غير شئ قلته غير أنى نشدت فلم أغفل حمولة معبد
 وإن أدع للجلى أكن من حماها وإن تأتلك الأعداء بالجهد أجهد
 فلو كان مولاي امرأ هو غيره لفرج كربى أو لآنظرنى غدى
 ولكن مولاي امرؤ هو خانقى على الشكر والتسأل أو أنا مفقد
 وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على المرء من قع الحسام المهند
 فلو شاء ربى كنت قيس بن خالد ولو شاء ربى كنت عمرو بن مرثد (١)
 فأصبحت ذا مال كثير وعادنى بنون كرام سادة لمسود

ولما سمع عبد عمرو بن مرثد معلقة طرفة أرسل اليه ، فقال له : أما الوالد
 فالله يعطيكه ، وأما المال فلا تبرح حتى تسكون من أوسطنا فيه ، وأمر سبعة
 من أبنائه وثلاثة من بنى أبنائه أن يعطوه عشرة عشرة من الإبل ففعلوا .

٣ -- ويذكر بعض الباحثين من المستشرقين أن المعلقة لم توضع مرة
 واحدة ، كقوله :

إذا مت فانهينى بما أنا أهله وشقى على الجيب يا ابنة معبد
 وما يليه من أبيات قالها وهو فى سجن البحرين قبيل موته وهذا خطأ فى

(١) قيس بن خالد ذو الجدين من عظماء سادة الشيبانيين وعمرو بن مرثد

هو ابن عم الشاعر .

البحث ، فلم يقل طرفة هذه الأبيات وهو في سجن البحرين ، بل نظمها ونظم القصيدة كلها مرة واحدة وهو صحيح مقيم في أرض قومه . والقصيدة قطعة واحدة من الشعر الحى والتصوير الرائع والديباجة الساحرة والوصف الصادق

٤ — وتمتاز المتعلقة بوفرة معانيها وتنوع أغراضها وجمعها بين السهولة والغرابة في اللفظ ، وبين الرقة والمتانة في الأسلوب ، وبين الحكمة واللهو والجد والهزل في النهج والحياة .

وتصور الشاعر وحياته وأمانيه ومطامحه ولذاته ولهو وبيئته والحياة فيها تصويرا جميلا رائعا بالغاً حد الدقة والاحكام والجمال .

٥ — وحدة القصيدة وفنونها :

ونحن نقف أمامها معجبين بجمالها وانسجامها وقوة شاعريتها وتأجج عواطف الشاعر فيها ، وهذه الوحدة التامة الظاهرة على أغراضها وفنون القول فيها :

١ — بدأها الشاعر بالغزل :

فذكر أطلال خولة محبوبته ووقف عليها وبكاها :

لخولة أطلال بركة ثمند تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
وقوافيها صحي على مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتجلد
ثم يذكر قباب خولة وهى ظاعنة ويشبها بالسفينة تشبها جميلا قويا فيقول
كأن حدود الممالك غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية أو من سفين ابن يامن يحور بها الملاح طورا ويهتدى
يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفايل باليد (١)

(١) الحدود . القباب . الممالك . هى خولة . الخلايا : جمع خلية وهى

السفينة الكبيرة . النواصف . مجارى الماء إلى البحر . دد أرض معروفة . =

وهو في هذا الوصف يرسم صورة جميلة للسفن الكبيرة التي كان يراها
ويشاهدها تسير في الماء على شواطئ البحرين وسواها

ثم يصف جمال محبوبته وينعتها نعتاً جميلاً قوياً مؤثراً غزباً يدل على امتلاء
نفسه بالحب وعلى خضوعه لأسر الجمال :

وفي الحى أحوى ينفض المرد شادن مظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجد^(١)

وتبسم عن ألى كأن منوراً تخلل حر الرمل دعص له ندى^(٢)

ووجه كأن الشمس حلت رداءها عليه ، نقى اللون لم يتخذ^(٣)

ب — ثم يأخذ الشاعر في وصف ناقتة التي يسير عليها ليسلي عن نفسه

الهموم والأحزان ، ووصفه لها طويلاً في خمسة وثلاثين بيتاً ، ويحیی به في

= وعدولية : أى قديمة ، وهى الكبيرة من السفن ، وتنسب إلى موضع

يقال له عدولى . ابن يامن : ملاح قديم من أهل البحرين . يجور : يضل . يهتدى :

أى يعرف طريق السير

حباب الماء : طرائقه وما ارتفع منه . الحيزوم : الصدر . المفايل : الذى

يجمع ترايا ويحيى فيه شيئاً مثل الحلقة ويقسم الترب نصفين ويطلبه في أحدهما فان

أصاب ظفر وإن أخطأ فر

(١) أحوى : فى لونه حوة وهى السواد . والمرد : شجر الأراك . الشادن :

ولد الظبية إذا قوى . سمطى : خيطى . مظاهر : يضع واحداً على آخر . اللؤلؤ

والزبرجد : جوهران معروفان

(٢) تبسم : يفرغ ثغرها . اللعى : سواد فى الشفة . المنور : الألقوان . تخلله

توسطه ودخل فيه . حر الرمل : النقى منه . الدعص : الكشيب : الصغير من

الرمل . الندى : من صفة الألقوان يصفه بالندوة

(٣) حلت : ألفت . رداءها : بهاءها . يتخذ : يضطرب حتى يصير فيه

شقوق .

لفظ غامض غريب لا تكاد تفهمه إلا بصعوبة وعسر ومشقة ومراجعة وطول عناء .

قال طرفة فيما قال في وصف ناقته :

وإني لأمضي الهم عند احتضاره بهوجاء مرقال تروح وتغتدى (١)
أمون كألواح الأران نسأتها على لاحب كأنه ظهر برجـد (٢)
إلى أن يقول :

وإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت مخافة ملوى من القـد محصد (٣)
على مثلها أمضى إذا قال صاحبي ألا ليتني أفديك منها وأفتدى (٤)
وجاشت إليه النفس خوفاً وخاله مصابا ولو أمسى على غير مرصد (٥)
ح — ثم يفتخر الشاعر بنفسه ويفرغ لها ويصف فتوته وكرمه ولذاته
ومجده ولطوه بشرب الراح ، في وضوح وسهولة فيقول :

إذا القوم قالوا : من فتى ؟ قلت أننى عنيت ، فلم أكسل ولم أتبلد (٦)

(١) الهوجاء : الخفيفة الفؤاد ، ويروى بعوجاء وهي المهزولة . مرقال صفة للناقة ، أى كثيرة الأرقال ، وهو شدة السير

(٢) الأمون : المأمونة العثار . الأران : التابوت الذى تحمل فيه الموقى . نسأتها : زجرتها . اللاحب : الطريق الواضح . البرجد : كساء من أكسية العرب . شبه استقامة الطريق بخط أبيض يكون فى الكساء من قطن

(٣) الأرقال : ضرب من السير . القـد : السوط . المحصد : المحكم القتل

(٤) الضمير فى « منها » للفازة والبرية

(٥) جاشت : علت . خاله : ظن نفسه . وإن أمسى الخ : أى وإن أمسى

لا يرصد ولا يخاف

(٦) أتبلد : أتخير . الكسل : العجز .

ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد (١)
 وإن تأتني في حلقة القوم تلقى وإن تقتنصني في الحوانيت تصطد (٢)
 وإن يلتق الحى الجميع تلاقى إلى ذروة البيت الرفيع المصمد (٣)
 ندماىبيض كالنجوم وقينة تروح علينا بين برد ومجسد (٤)
 ثم يذكر أثر لوه وشربه الخمر في حياته وبين قبيلته ، ويتحدث عن لذاته
 في الحياة ويصفها ، ويلوم من يعذله في اللهو والإسراف ويفند رأيهم ويقول
 إن الكريم المسرف والبخيل المقتر مألهما واحد إلى القبر :

وما زال تشرابى الخمر ولذتى ويبى وإنفاقى طريفى ومتلدى (٥)
 إلى أن تحامتنى العشيرة كلها وأفردت إفراد البعير المعبد (٦)
 رأيتنى بنى غبراء لا ينكرونى ولا أهل هذاك الطرف الممدد (٧)
 ألا أيها اللائى أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

(١) التلاع : الأرض المرتفعة والمنخفضة ، والمراد هنا المعنى الثانى لأن البخيل
 يحل فى الأماكن المنخفضة ، لئلا يراه أحد ، وأرى أنه يجوز أن يحل فى الأماكن
 المرتفعة حتى لا يصل إليه أحد

(٢) حلقة القوم : مجالس أشرفهم . الحوانيت : بيوت الخمارين

(٣) الذروة : أعلى الشئ ، المصمد : الذى يصمد إليه أى يقصد

(٤) الندماى : الأصحاب على الخمر . القينة الجارية ، البرد : الثوب الأبيض .
 المجسد : المصبوغ بالجلساد وهو الزعفران

(٥) الطريف : المكتسب . التليد أو المتلد : الموروث

(٦) تحامتنى : اجتمعتنى . العشيرة : بنو العم ، أفردت : أبعدت ، المعبد : المذلل
 المطلى بالقطران

(٧) بنو غبراء : اللصوص . الطرف : بيت من جلد . يريد أنه لا ينكره

صعلوك ولا غنى

فان كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي
ويعتد بذااته اعتدادا كبيرا ويذكرها :

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودي
فمنهن سبق العاذلات بشربة كمت متى ما تعل بالماء تزد (١)
وكرى إذا نادى المضاف مجنبا كسيد الغضا نبيهته المتورد (٢)
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب بيهكنة تحت الطراف الممدد (٣)
أى شرب الراح وركوب الخيل ، واللهو مع امرأة جميلة
أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوى فى البطالة مفسد (٤)
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد (٥)
أرى الدهر كمنزنا ناقصا كل ليلة وما تنقص الأيام والدهر ينفد
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه باليد (٦)
د - ثم ينتقل إلى عتاب ابن عمه مالك وقد سبق أن ذكرناه فى
أول المعلقة .

-
- (١) كمت : خمرة تضرب إلى السواد ، تعل : أى يصب الماء عليها
(٢) كرى : عطفى ، المضاف : الذى أضافته الهموم ، المجنب : الفرس
المعوجة الساقين ، السيد : الذئب . الغضا : شجر
(٣) الدجن : المطر الخفيف ، معجب : أى يعجب من رآه ، البهكنة : التامة
الخلق أو الحسناء
(٤) النحام : يريد البخيل ، الغوى : الذى يتبع هواه ولذته . البطالة : اتباع
الهوى والجهل
(٥) يعتام : يختار . الكرام : الخيار الأماجد ، يصطفى : ينتخب ، عقيلة
كل شئ : خيرته . الفاحش : القبيح السيئ . الخلق : المتشدد : كثير البخل
(٦) الطول : الحبل ، ثنياء : طرفاه

هـ — ثم يعود إلى التحدث عن نفسه ووصفها بالذكاء والشجاعة ، ويتنبأ بموته ويطلب من ابنة أخيه معبد أن تبكيه إذا مات :

إذا مت فانعيني بما أنا أهله وشقي على الجيب يا ابنة معبد

ولا تجعليني كامرئ ليس همه كهمي ولا يغني غنائى ومشهدى

وهو في هذا البيت يعرض بابن عمه

و — ثم ينتقل إلى الحكمة ، فيأتى منها بحكم رائعة وأمثال بليغة رويت

على مر الزمان :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

لعمرك ما الأيام إلا معارة فما استطعت من معروفها فتزود

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

لعمرك ما أدري وإنى لواجل أفى اليوم إقدام المنية أو غد

إذا أنت لم تنفع بوءك أهله ولم تنك (١) بالبؤسى عدوك فابعد

معلقة امرىء القيس (١)

قفانك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحول
مطلع معلقة امرىء القيس الرائعة الذائعة الشهرة ؛ والتي تدل على شخصية
صاحبها المرححة ، وروحه الموهوب ، ومجونه الماثور .

أسلوب القصيدة أسلوب جزل فيه أسر وقوة في عذوبة حيننا ، مع
الجمال والصدق والتنقل في الخيال ، ومع سحر المطلع ونخامته .

ومعانينا قريبة ، لاتعقيد فيها ، تتكىء على الحس والمشاهدات ، فهو حين
يتحدث عن الحب يصف جمال المرأة ومحاسنها ، وحين يصف الفرس يتحدث
عن ساقه ومنتنه وشعره ، وحين يتحدث عن المطر يصف كثرتة وأنه ألقي
مياهه على جبل كذا وكذا ففزعت العصم وهدمت البيوت وسقطت جذوع
النخيل ، دون أن يتحدث الشاعر عما وراء هذه الأوصاف الحسية في الخيل
والمطر أو عن عواطفه الانسانية في حبه وغزله .

وتمتاز المعلقة بأنها مظهر للبلاغة العربية ، وبما فيها من أساليب البيان ؛
ومناهج الأداء ، وصور التعبير ، وألوان الرسم والخيال والتفكير ؛ فيها
تشبيهات جميلة عذبة كثيرة ، واستعارات جميلة بالغة ، وكنيات أنيقة ساحرة
وسوى ذلك من أدوات التعبير والبيان .

ولتفصيل ذلك كله نقول :

١ — للمعلقة مطلعها الساحر القوى ، وأسلوبها الجزل ، وخيالها
البدوى الموهوب ، وتشبيهاتها الحسية الساذجة المكرورة أحيانا ،
وفيا فوق ذلك ورغم الكثير من ألفاظها البدوية الجافة رقة النسيب

(١) درس الباقلاني في كتابه « اعجاز القرآن » المعلقة دراسة نقد وموازنة
وهي دراسة رائعة جديدة ، فارجع اليها إن شئت .

ودقة الوصف وتنوع الأغراض وبراعة التصوير والبيان ، وفيها جل ما ابتكره
أمرئ القيس من المعاني الشعرية التي فضل بها على غيره من الشعراء وعدها
أميرهم وقائدهم ، ففيها بكاء للديار ، واستيقاف للصحب ، وتجويد في النسيب
وتصوير لاستهتاره ومجونه ، وقص لذكرياته وأيامه ، وابداع في وصف
الليل وطوله ، والفرس ومحاسنه ، والبرق ، والمطر وآثاره .

٢ — وفي المعلقة الكثير من التشبيهات الجميلة : كتشبيه موقفه حين
رحيل أحبائه بموقف ناقف الحنظل في غزارة ما ينهمر منهما من دموع ،
وكتشبيه عبق الرائحة من حبيبه بعبق رائحة النسيم وقد جاء برياً القرنفل ،
وتشبيه شحم ناقته بهداب الدمقس المقتل ، والشعر بالأقحوان المنور ، وتعرض
الثريا في السماء بتعرض أثناء الوشاح المفصل ، وتشبيه ترائب المرأة بالمرآة
المجلوة ، وجيدها بجيد الأطباء ، وبنائها بأساريع الظبي ، وجمالها المشرق بمنارة
الراهب المتبتل ، وتشبيه الليل بموج البحر ، واهتزام الفرس بغلي المرحل ،
فقد أخذ الحسن من جميع الحيوانات ، أخذ من الظبي خاصرته ومن النعامة
ساقها ، ومن الذئب والشعلب مشيهما ، فهو جواد وياله من جواد ، ضافي
الذيل مستقيم العسيب (١) ، لماع الظهر كما تلعب صلاية الحنظل مما يعلق بهامن
الدهن اللامع أو صلاية عروس تدق فيها العطر والطيب ، وكأن دماء
هوادي فريساته في نحره المخضوب عصارة حناء في شيب مسرح .

٣ — وتمتاز المعلقة بكنايانها الساحرة ، كنؤومة الضحى في وصف المرأة
بالترف والنعمة ، وقوله « لم تنتطق عن تفضل » وفي وصفها بأنها عريضة منعمة
لم تعز بعد ذل ولم تنعم بعد شقاء ، وقوله « إذا ما اسبكرت بين درع ومجول »
يريد إذا بلغت سن الشباب لأن الدرع هو قميص المرأة والمجول ثوب تلبسه
الفتاة وتجول فيه قبل أن تخدر ، وقوله « قيد الأوابد » في وصف الفرس

بسرعة العدو ، وقوله « ولم ينضح بماء فيغسل » في وصفه بالنشاط . وفيها كثير من المجازات الجميلة والاستعارات المبدعة ، كقوله « فسل ثيابي من ثيابك تنسلي » . يربد بالثياب القلب أو الصداقة ، وقوله « وبيضة خدر » يريد امرأة كريمة مخدرة ، وقوله في وصف الليل بالطول « فقلت له لما تمطى بصلبه » . وقوله « وتتقى بناظرة من وحش وجرة » وكذلك قوله له أبطلا ظي وساقا نعامة « من أساليب التجريد أو التشبيه الجميلة .

٤ - وقد تجد في المعلقة تنقلا في الخيال وفي رسم الصور الشعرية ولكن لا ضير في ذلك : لأن الشعر فن ، والفنون تأبى أن تخضع لقيود المنطق والفلسفة ، وحريتها في التعبير والتصوير هو سر جمالها وخلودها ، وفوق ذلك فإن الشعر صورة للحياة العربية في سذاجتها وبساطتها فضلا عن أثر الارتجال والبديهة في نظم الشعر وإنشاده وخاصة في العصر الجاهلي .

٥ - وفي المعلقة وصف لما يحبه العربي من مظاهر الجمال في المرأة وفي الفرس ، وفيها بيان مفصل لزينة المرأة وترفها .

وفيها نواة للقصص الشعرى وخاصة في الغزل ، مما نهج عليه عمر بن أبي ربيعة ثم بشار وأبو نواس .

وليس فيها أثر للمدح ، لأن شخصية امرئ القيس العظيمة أرفع من المدح ، ولأن المعلقة لم تنظم إلا لوصف ذكرياته ولهوه وترفه ومجونه ، مما يرجح أنها نظمت في أيام صباه وشبابه قبل أن يحمل عبء الأخذ بشار والده ، حيث تجدها خالية من ذكر الأحداث التي أطافت به بعد ذلك

وتعدد الأغراض والفنون في القصيدة يتفق ونهج العربي والشعراء الجاهليين في صياغة قصائدهم ، حيث كانوا يروحون عن أنفسهم ومسامعهم بهذا الاستطراد الجميل ، وبتعدد نواحي القصيدة ومراميها ، حتى تكون أشد أثرا وسحرا

٦ - وروح الشاعرية في المعلقة متحدة متناسقة إلا في أبيات يضيفها بعض الرواة إليها وهي :

وقربة أقوام جعلت عصامها على كاهل منى ذلول مرحل
وما بعده من أبيات ، مما تخالف روحها روح المعلقة . والصحيح أن هذه
الآبيات لتأبط شرا وأنكرها الكثير من الرواة ، وقيل هي لامرئ القيس
في عصر مشيبه وكهولته وأضيفت إلى المعلقة إضافة فهي لا تمثل روحه في فترة
شبابه اللاهية الماجنة التي تراها في معلقته

٧ - وتمثل هذه المعلقة الحياة العربية في كثير من نواحيها المختلفة ، كما
تصور حياة امرئ القيس وترفه وروحه اللاهية المسرقة في العبث
والمجون أتم التصوير ، فهي صورة جميلة واضحة لحياة الشاعر وقومه ،
وأثر أدبي كبير نستطيع أن نفهم منه الكثير من عادات العرب وأخلاقهم
نشأ امرؤ القيس في بيت سؤدد ومجد ونعمة ، نخب في سبل اللهو وذاق
أفويق الجمال والحب ، وقضى أيام شبابه في مغازلة الغيد الحسان ، فكانت
له معهن أيام وذكريات قص الكثير منها في هذه المعلقة ، وما برح في لهوه
ومجونه حتى ضاق به والده ذرعا فأبعده عنه ، فأقام مع أمثاله من أهل البطالة
واللهو ، حتى قتل أبوه ، فذهبت سكرته ، وطالت حسرته ، وهب للأخذ
بشأره حتى قضى عليه أخيرا اسرافه في الانتقام .

ذلك هو امرؤ القيس قائد الشعراء في الجاهلية ، وحامل لواء الشعر في
ذلك العصر البعيد ، والمفتن في أبواب الشعر وأغراضه ، والمجلى في بيان أسرار
الجمال واللهو ، وفي رقة الأسلوب وسحره ، وفي جزالة اللفظ وأسرره ، وفي
روائع التشبيه وبدائع الخيال ، وفي ابتداع الكثير من المعاني الشعرية الطريفة
التي قلده فيها سواه من الشعراء .

٨ - وتتناول المعلقة كثيرا من فنون الشعر ، وتحوى الكثير من الأفكار

المنوعة ، ففيها بكاء لديار أحبابه في ثلاثة أبيات وتصوير لخيرته وذهوله يوم رحيلهن واستيقاف لأصحابه ليحملوا معه عبء الحزن والشجى في بيتين ، وفيها شرح للهوه وعشه وقص لذكرياتة وأشجانه مع محبوباته ووصف للجمال العربي وزينه المرأة في الجاهلية ولأثر الجمال وسحره في النفوس وذلك في عشرين بيتا ، وفيها مناجاة لليل وذكر لطوله وآلامه فيه في خمسة أبيات ، ووصف دقيق لفرسه في ثمانية عشر بيتا وللبرق والمطر ونشوة الطبيعة في عشرة أبيات فأبياتها تبلغ الستين أو تزيد . وهي كلها في درجة من الاحسان ليس بعدها من مزيد .

٩ - ويقول الزوزنى في سبب إنشاد هذه القصيدة :

السبب في إنشادها هو قصة غدير دارة جلجل حيث كان امرؤ القيس يحب ابنة عمه عنيزة فتركها تستحم في هذا الغدير مع أترابها وجمع ملابسهن ثم لم يعطها لهن إلا بعد مرورهن أمامه عاريات ، ثم ذبح لهن ناقته ، وقسم متاعه عليهن يحملنه ، وركب مع عنيزة في هودجها .

نماذج من المعلقة :

١ - بدأها ببكاء الديار :

قفانبك من ذكر حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول وخومل^(١) وهو مطلع جميل ساحر .

ثم يستمر في وصف الديار وآثارها حتى يقول :

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لاتهلك أسي وتحمل

(١) اللوى : ما الثوى من الرمل . سقط اللوى : منتهاه . الدخول وخومل

وتوضح والمقراة : أسماء أماكن يقع بينها سقط اللوى وفيه منزل الحبيب .

وإن شفتائي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول (١)

٢ - ثم يصف ذكريات لوه وعشه فيقول فيما يقول :

ويوم عقرت للعذارى مطيقي فيا عجباً من كورها المتحمل (٢)

فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل (٣)

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات إنك مرجلي (٤)

. تقول (٥) وقد مال الغبيط بنا معا

. فقلت (٦) لها سيري وأرخي زمامه ولا تبعديني من جنائك المعلل

فمهلك (٧) حبلي قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمام محول

ثم يستمر في غزله :

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت أزمعت صرعى فأجملي (٨)

وأنك قسمت الفؤاد فنصفه قتيل ونصف بالحديد مكبل (٩)

فإن تك قد ساءت منك خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي (١٠)

(١) مهراقة : مراقبة مسكوبة . المعول . المستعان به

(٢) المطية هنا . الناقة . العذارى : الأبقار . الكور الرحل . المتحمل : المحمول

(٣) هداب الدمقس : أطراف الحرير . المفتل : المفتول

(٤) الخدر : الهودج وهو في الأصل الستر . عنيزة . اسم محبوبته . مرجلي .

فاضحى بين رجالي .

(٥) الغبيط . الرحل . عقرت بعيري : أدميت ظهره لثقله

(٦) الجنى . الثمر . المعلل . الذى جنى مرة بعد مرة

(٧) محول . مضى عليه حول

(٨) أزمع الأمر . ثبت عزمه على إفضائه . الصرم . الهجر . الأجمال . الرفق

(٩) مكبل . مقيد ، من الكبل وهو القيد

(١٠) الخليقة السجية . الثياب هنا . القلب . تنسل : تسقط

وما ذرفت عياك إلا لتضربني بسهميك في أعشار قلب مقتل (١)
إلى أن يقول :

تضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهب مبتلى
تسلت عمايات الرجال عن الصبا وليس فؤادى عن هواك بمنسلى (٢)
أغرك منى أن حبك قاتلى وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل
٣ - ثم يصف الليل وطوله فيقول :

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى (٣)
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكل كل (٤)
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الأصباح منك بأمثل
فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت يذبل (٥)
٤ - ثم يصف فرسه فيقول :

وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل (٦)

(١) ذرف دمه . سال . السهمان هنا هما العينان . الأعشار . أجزاء الجزور
الذى ينحرف فى الميسر يأخذ منه السهم المعلى سبعة والرقيب ثلاثة . مقتل
أهلكه العشق .

(٢) تسلت . تكشففت وانزاحت . عمايات . ضلالات وغوايات .
منسلى . سال

(٣) السدول . السطور . يبتلى . يختبر

(٤) الصلب : الظهر . الأعجاز : المآخير . الكلكل : الصدر : ناء : نهض

(٥) مغار : محكم شديد . يذبل . اسم جبل . يصف نجوم الليل بالشبات

(٦) وكنات جمع وكنة وهى العش . منجرد : قصير الشعر رقيقه . الأوابد :

الوحوش النافرة .

مكر مفر مقبل مدبر معا كجهد صخر حظه السيل من عل (١)

ثم يذكر الصيد الذي صاده وطهى الطهارة له وسط الصحراء :

فذل (٢) طهارة اللحم ما بين منضج صفيق شواء أو قدير معجل (٣)

٥ — ثم يصف البرق والمطر في عذوبة وسحر وجمال ، مما لا داعي لذكره في هذه العجالة السريعة ، فيليرجع إليه القارئ في مجموعات المعلقات المطبوعة .

(١) مكر : مراقبة . مفر : مسكوبة . مدبر : المستعان به .

(٢) فذل : طهارة اللحم . ما بين : ما بين اللحم والخبز . صفيق : لحم صفيق . شواء : لحم مشوي . معجل : لحم معجل .

(٣) قدير : لحم قدير . معجل : لحم معجل .

(٤) الحذر : الحذر وهو في الأصل السر . خيرة : اسم عورت . مفر : مفر .

فاقتنى : فاقتنى . كلكه : كلكه . تناول : تناول . صفيق : صفيق .

(٥) القبط : القبط . الرجل : الرجل . عقرت : عقرت . أميت : أميت .

(٦) الحنق : الحنق . العال : العال . الذي : الذي .

(٧) الحنق : الحنق . العال : العال . الذي : الذي .

(١) مكر مفر : سريع السكر والفر . عل : فوق .

(٢) الطهارة : جمع طاه وهو الطباخ . لحم صفيق : صف على النار (يشوى)

أو في الشمس ليقدد . قدير : مطبوخ في القدر .

معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي

١ — وعمرو بن كلثوم جاهلي قديم ، قتل عمرو بن هند الملك ، أمه ليلي بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب أعز العرب ، ووالده كلثوم بن عتاب فارس العرب ، وكان عمرو سيدا في قومه من بني تغلب ، وتوفي في أواخر القرن السادس الميلادي

وعمره شاعر قوى الشعاعية مجيد ، ومعلقته « ألأهي بصحنك فاصبحينا مشهورة ، « وهي من جيد شعر العرب وإحدى السبع المعلقات ، ، وكان قام بها خطيبا فيما كان بينه وبين عمرو بن هند^(١) .

يمتاز عمرو في شعره بالبديهة والارتجال ، وبأسلوبه الرائق ، وأغراضه العالية . وهو مقل لم ينظم في فنون الشعر جميعها ، وكل ما روى عنه معلقته وبعض مقطوعات لا تخرج عن موضوعها . أجاد في الفخر إجادة منقطعة النظير

٢ — والمعلقة مشهورة بالركة والسلاسة والسهولة وفيها تكرير في بعض معانيها وألفاظها ، ومبالغة واضحة شديدة في الفخر مما لم يؤلف نظيرها في الشعر الجاهلي ، مثل :

إذا بلغ الرضيع لنا فطاما تخر له الجبابر ساجديننا
ومثل :

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

١ — بدأها عمرو بن كلثوم بوصف الخمر ، وهذه المعلقة فريدة في هذه الناحية ، فلم تبدأ معلقة أو قصيدة بوصف الخمر في الجاهلية إلا هذه القصيدة ولعل سر ذلك أن تغلب كانت النصرانية موجودة في بعض ربوعها وأن الخمر

(١) ٦٧ الشعر والشعراء

كانت شائعة في هذه الربوع ، قال :

ألا هي بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا (١)
مشعشعة كأن الحص فيها إذا ما الماء خالطها سخينا (٢)
صددت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا (٣)
وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا (٤)
وكأس قد شربت ببعلك وأخرى في دمشق وقاصرينا (٥)
إذا صمدت حمياها أريبا من الفتيان خلت به جنونا (٦)

ب — ثم يأخذ في الغزل ووصف محبوبته وجمالها .

قفي قبل التفرق يا طعينا نخبرك اليقين وتخبرينا
قفي نسألك هل أحدث صرماً لو شك البين أم خنت الأميننا (٧)
أنى ليلة يعاتبني أبوها وإخوتها وهم لى ظالمونا

ح — ثم ينتقل إلى الفخر بقومه ومجدهم وعزتهم ، ويهدد الملك عمرو بن هند وينذره ويتوعده في أسلوب قوى جزل مع عنوبة وجمال ، والظاهر أن ذلك كان أيام التحاكم أمام عمرو بن هند والمفاخرة بين تغلب وبكر :

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقيننا

(١) هي : استيقظي . الصحن : القدح العريض . اصبحينا : اسقيننا . الصبوح وهو الشرب في الغداة . الأندرينا : جمع الأندر وهي قرية بالشام جمعها بما حوالها
(٢) مشعشعة : مزوجة . الحص : الورس . سخينا : جدنا وتمكرمنا من السخام .

(٣) صددت : أى صرفت . أم عمرو : هى والدته

(٤) أى لست أنا شر الثلاثة فتعدلى عنى الكأس

(٥) بلاد معروفة (٦) صمدت : قصدت . الحميا : صورة الراح . الأريب :

العافل (٧) الصرم : الهجر . الوشك : السرعة . البين : الفراق . الأمين :

الوفى بعهده

يأنا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمراً قد رويننا
وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن نديننا
ورثنا المجد قد علمت معد نطاعن دونه حتى يديننا
والجزء التالى من المعلقة يبدو أنه نظم بعد قتل عمرو بن هند ، وهو :

بأى مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
تهددنا وتوعدنا رويدا متى كنا لأملك مقتويننا
وأن قناتنا يا عمرو أعيت على الأعداء قبلك أن تليننا
ثم ينتقل إلى ذكر وقائع قومه مفتخراً بها على بكر ، ومنها يوم خزاز ،
ثم يختمها بفخر الأقوى منه :

وأنا الحاكمون بما أردنا وأنا النازلون بحيث شيننا
وأنا النازلون بكل ثغر يخاف النازلون به المنونا
إذا ما الملك سام الناس خسفاً أبيننا أن نقر الخسف فينا
ألا لا يجهل أحدهم علينا فنجهل فوق جهل الجاهليننا
ملأنا البر حتى ضاق عنا ونحن البحر نملؤه سفينا
إذا بلغ الفطام لنا رضيع تخر له الجبابر ساجديننا
لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
وبعد فالمعلقة من روائع الفخر ، ويقال إنها كانت تزيد على الألف بيت
وإنما وصل إلينا بعضها مما حفظه الناس منها

والغالب — كما ذكرنا — أن الشاعر نظمها على مرتين : فى مفاخرته
لبكر عند عمرو بن هند ، وفى حادثة أمه ، ولذلك رأينا فيها إشارة إلى كليهما
وقد وقف عمرو بن كلثوم بهذه المعلقة فى سوق عكاظ فأنشدها فى موسم مكة
وكان بنو تغلب يعظمونها ويروونها صغارهم وكبارهم لما حوته من الفخر والحماسة
مع جزالتها وسهولة حفظها
وقد أثرت هذه القصيدة فى نفوس قبيلة تغلب وفخروا بها ، واتخذوها

أنشودتهم ، حتى قال فيها بعض البكرين :

ألهى بنى تغلب عن جل أمرهم قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يفأخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مستوم

والميزة الواضحة فيها السهولة والقوة ، والاعتداد بالنفس والقبيلة ، والمبالغة

في الفخر ، وأنها شعر صدر عن سيد قومه يعتز فيه بسيادته وسيادة قبيلته

ومجدها وأيامها وبطولة أبطالها وانتصاراتهم

وبدؤها بالخرير جمع الى انتشار النصرانية في تغلب وانتشار الخمر بينهم ،

وتكاد تكون هي القصيدة الوحيدة في بدئها بالخرير على غير عادة الشعراء

الجاهليين .

ويعجب النقاد بمعلقة عمرو إعجاباً شديداً ، قال ابن قتيبة : وهي من جيد

شعر العرب واحدى السبع المعلقة (١) ، وقهقهه بها النقاد (٢) ، وقال مطرف

عن عيسى بن عمر : لو وضعت أشعار العرب في كفة وقصيدة عمرو بن كلثوم

في كفة لمالت بأكثرها (٣)

(١) ص ٦٧ الشعر والشعراء (٢) ص ٤٠ جمهرة أشعار العرب

(٣) ص ٤١ المرجع

معلقة زهير

وهي أثر آخر من آثار البلاغة العربية القديمة ، تقع في تسعة وخمسين بيتا صاحبها زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني ، نشأ في أقاربه بني غطفان ، وتخرج في الشعر على خال أبيه بشامة بن الغدير ، وكان يروى لأوس بن حجر أيضا وكان أوس زوج أمه ، فكان شاعرا فخلا ، كما كان صائب الرأي عاقلا حازما حكيما .

كان يتأله ويتعفف في شعره ، ويدل شعره على إيمان بالبعث .

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينقم ^(١)

وفضله عمر بن الخطاب على الشعراء لأنه كان لا يعاقل بين القول ولا يتبع حوشى الكلام ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه ^(٢) .

وكان زهير أحكمهم شعرا وأبعدهم من سخف وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق وأشدهم مبالغة في المدح ^(٣) .

كانت حرب داحس والغبراء بين عيس وذيان ثورق زهيرا وتضنيه ، وتثير شاعريته ، ولما سعى هرم بن سنان والحارث بن عوف المريان في الصلح وحقن الدماء وتحملا ديات القتلى أنظقت تلك المأثرة زهيرا ، فنظم معلقته هذه يمدح هذين السيدين وينوه بعملهما الجليل ويدعو إلى السلم وينفر من الحرب ويصف مآسيها وآلامها ، وهي قصيدة رائعة ، وتمتاز بحكمها الكثيرة وكان زهير ذا حكمة في شعره .

(١) ٤٥ الشعر والشعراء (٢) ٤٤ المرجع ، ٢٩ طبقات الشعراء ،

٣٠٥ ج ٢ المزهر ، وراجع ٣٢ الجهرة (٣) ٢٩ طبقات الشعراء لابن سلام

تحليل للقصيدة .

١ - بدأ زهير معلقته يذكر الديار وزيارته لها ووقوفه فيها بعد عشرين عاما طوالا يتذكر ذكريات حبه ووفائه ، قال .

أمن أم أوفى دمنة لم تسكلم بحومانة الدراج فالتمثل^(١)

وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأيا عرفت الدار بعد توهم^(٢)

فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا انعم صبا حاياها لربع واسلم

ثم أخذ يصف النساء اللاتي ارتحلن عنها ، فيتبعهن ببصره كئيبا حزينا ، ويصف الطريق التي سلكها ، والحوادج التي كن فيها والمياه التي نزلها في عذوبة وسهولة وجمال إلى أن يقول :

فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم^(٣)

تذكرني الأحلام ليلي ومن تطف عليه خيالات الأحبة يحلم

٢ - ثم ينتقل إلى مدح هرم والحارث والاشارة بمنقبتهما الكريمة في إنقاذ السلام وإطفاء الحرب بين عبس وذبيان وتحملهما ديات القتلى من مالهما وقد بلغت ثلاثة آلاف بعير . قال :

سعى^(٤) ساعيا غيظ بن مرة ، بعدما تنزل ما بين العشيرة بالدم

فأقسمت^(٥) يالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قریش وجرهم

(١) أم أوفى . محبوبه الشاعر . الدمنة : آثار الديار . تسكلم . تسكلم .

حومانة الدراج والمثل . موضعان

(٢) الحجة . السنة . لأيا . أى بعد لأى ومشقة . توهم . ظن

(٣) جمام الماء . ما اجتمع منه . والجمام الزرق : المياه الصافية . وضع العصي

كناية عن الإقامة . الحاضر . النازل على الماء . المتخيم . المقيم

(٤) غيظ بن مرة من غطفان اسم جد القبيلة . تنزل . تفجر . الساعيان هما

هرم والحارث

(٥) البيت : السكبة

يُمِينَا لِنَعْم^(١) السَّيْدَانِ وَجَدْنَاهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ
تَدَارَكْتُمَا عَبَسَا^(٢) وَذِيَّانٍ بَعْدَمَا تَفَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عَطَرَ مَنْشَمٍ
وَقَدْ قَاتِمَا^(٣) إِنْ نَدْرَكَ السَّلْمُ وَاسْعَا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْأَمْرِ نَسْلَمُ
فَأَصْبَحْتُمَا^(٤) مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدِينَ فِيهَا مِنْ عَقُوقٍ وَمَأْتَمٍ
٣ - ثُمَّ نَدَّدَ بِالْحَرْبِ وَوَصَفَ فِظَائِعَهَا ، وَدَعَا إِلَى السَّلْمِ وَأَكْدَهُ وَأَوْجِبَهُ
عَلَى الْمُتَحَارِبِينَ ، قَالَ :

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذَقْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجُمِ^(٥)
مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً وَتَضُرُّ إِذَا ضَرَيْتُمُوهَا فَتَضُرُّ^(٦)
ثُمَّ يَنْصَحُ قَوْمَهُ بِأَنْ يَبْقُوا عَلَى السَّلْمِ ، وَيَنْدَدُ بِالْحَصِينِ بْنِ ضَمْضَمٍ وَبِأَثَارِ
عَمَلِهِ فِي تَهْيِيجِ الشَّرِّ وَإِعَادَةِ نَارِ الْحَرْبِ ، وَكَانَ الْحَصِينُ حِينَ اجْتَمَعَ الْقَوْمُ
لِلصَّلَاحِ قَدْ حَمَلَ عَلَى رَجُلٍ لَهُ عِنْدَهُ نَارٌ فِي الْحَرْبِ فَقَتَلَهُ ، وَيُعِيدُ التَّنْوِيهَ
بِالرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ احْتِمَلَا دِيَاتِ الْقَتْلِ وَاحِدًا وَاحِدًا عَلَى غَيْرِ جَرِيرَةٍ كَانَتْ مِنْهُمَا .
٤ - ثُمَّ يَنْتَقِلُ مِنْ هَذَا الْمَجَالِ الرَّهيبِ مَجَالِ النَّصِيحِ وَالتَّوْجِيهِ وَتَأْكِيدِ
السَّلَامِ إِلَى مَجَالِ الْحِكْمَةِ الْإِنْسَانِيَةِ الْعَامَّةِ ، حِكْمَةِ الرَّجُلِ الْمَجْرَبِ لِلْحَيَاةِ الَّذِي
ذَاقَهَا وَخَبَرَهَا وَعَاشَ فِي خُضْمِهَا ثُمَّ امْتَدَّ بِهِ الْعُمُرُ فَزَهَّدَهَا وَانْصَرَفَ عَنْهَا قَالَ :

(١) السَّحِيلُ : ضِدُّ الْمُبْرَمِ . وَالْمُبْرَمُ ، الْمَقْتُولُ . وَالسَّحِيلُ كُنْيَاةٌ عَنِ الرَّخَاءِ
وَالْمُبْرَمِ عَنِ الشَّدَةِ

(٢) مَنْشَمٌ . امْرَأَةٌ مِنْ خَزَاعَةِ كَانَتْ تَبِيعُ عَطْرًا فَذَا حَارَبُوا اشْتَرَوْا مِنْهَا
كَافُورًا لِمَوْنَاهُمْ

(٣) وَاسْعَا . مِمَّا كُنَّا أَوْ خَالِصَا

(٤) الْعَقُوقُ . قَطِيعَةُ الرَّحِمِ . الْمَأْتَمُ . الْإِثْمُ وَالْعُدْوَانُ

(٥) الْمَرْجُمُ . الْمَظْنُونُ

(٦) ضَرَيْتُهُ فَضَرَى : أَيْ هَجَيْتُهُ فَهَاجَ . تَضُرُّ : تَشْعَلُ

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن (١) لا يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن (٢) يجعل المعروف من دون عرضه يفره ، ومن لا يتق الشتم يشتم
ومهما تكن عند امرى من خليفة وإن خالها تخفى على الناس تعلم
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم
وأعلم ما في اليوم والامس قبله ولكننى عن علم ما في غدعم
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطيء يعمر فيهرم

ويختتمها بتأكيد معروف السديد الممدوحين عليه فيقول :

سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم ومن يكثر التسأل يوما سيحرم

(١) المصانعة . المداراة . يضرس . يعضغ بالاضراس . المنسم . الخافر

(٢) يفره أى يصونه ويبقيه

معلقة عنتره

١ — وعنتره بن عمرو بن شداد العبسى م ٦١٥ م أحد فرسان العرب وأبطالها وشعرائها ، كان عبدا أسود . وكان لا يقول من الشعر إلا البيتين أو الثلاثة نخاصمه رجل وعيره بسواده وسواد أمه وسوى ذلك وأنه لا يقول الشعر فقال عنتره : والله ان الناس ليتراقدون الطعام فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك مرفد الناس قط وإن الناس ليدعون فى الغارات فيعرفون بتسويمهم فما رأيتك فى خيل مغيرة فى أوائل الناس قط ، وإن اللبس لىكون بيننا فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك خطة فصل . وإنى لأحضر الباس ، وأوفى المغنم ، وأعف عن المسألة ، وأجود بما ملكت يدى ، وأفصل الخطة الصماء ، وأما الشعر فستعلم . فغاب حيناً وعاد إليه فأنشده معلقته :

هل غادر الشعر من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم
وهى أجود شعره ، وكانت العرب تسميها الذهبية .

وشجاعة عنتره وبسالته دفعت أباه إلى أن يستلحقه بنسبه ، وإلى أن يزوجه عمه ابنته عبلة ، وكان فارس داحس والغبراء ، كما كان فارس عبس ، وأحد أغربة العرب المشهورين .

ب — تحليل ونقد للمعلقة :

١ — هى إحدى المعلقات السبع ، ومن روائع الشعر العربى القديم ، مطلعها :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

٢ — تمتاز بانسهوة واللين ، البادين فيها ، والذين قلنا يوجدان فى الشعرى النجدى القديم ، والذين لا يخلوان من نخامة وجزالة ، فهى واضحة

جلية ، سهلة اللفظ ، قريبة المعنى ، ليس بينها وبين النفس حجاب من هذه
الجزالة التي تكاد تبلغ الغرابة ، وإنما تسير في سهولة ويسر ، وترتفع عن
الأسفاف والابتذال دون تورط في الغلظة والاعراب .

وعنترة فيها رقيق في غزله والاشادة ببطولته ، بل هو رقيق في حديثه
عن أعدائه ، أليس هو الذي يقول :

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم
بل هو رقيق على فرسه ، يألّم لأمه ، ويشقى لشقائه ، ويرى بكاهه ،
ويسمع توجعه حين تعبث به رماح الأعداء :

فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتحمحم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلم مكلمى
وعنترة لا تنتهى به الرقة إلى الضعف ، كما لا تنتهى به الشدة إلى العنف ،
وكما لا ينتهى به السكّر إلى ما يفسد الأخلاق والمروءة ، أو الصحو إلى
التقصير والعيب والبخل . وهو مقدم إذا كانت الحرب ، عفيف إذا قسمت
الغنائم ، يحاول أن يصف من أخلاقه ما يشرف به الرجل العربي الكريم ،
مما يستغنى عن الابانة عنه فيقول هذه الكلمة الرائعة « وكما علمت شمائلى
وتكرمى ،

والمعلقة تصوير واضح لنفسية الشاعر ومشاعره وحياته وعواطفه
وبطولته وقوته وبأسه ونضاله للأعداء ، ولا عجب فهي تنبع من نفسه
وحياته وتصورهما تمام التصوير .

ولولم نعرف عنترة أو نسمع بأخباره وحياته ، لعرفناه من معلقته بطلا
مقداما ، وشجاعا فارسا ، وعربيا كريما الخلق ، رقيق العاطفة ، حار
الشعور ، يضع روحه في كفه ، ويذلّ هامضه في سبيل كرامته وشرفه وبطولته

٢ — وقد سار فيها على نهج غيره من الشعراء ، فذكر الديار كما

ذكروها ، ووصف الناقة كما وصفوها ، واقتخر بالسكرم والنجدة والبطولة
 وفيها معان قلما انتهى إلى مثلها غير عنتره من الشعراء ، ولم يخطئ ابن
 سلام حين قال إن هذه القصيدة نادرة ، فهي نادرة حقا ، وكأنها طائفة من
 الأنغام الموسيقية الكثيرة المختلفة فيما بينها أشد الاختلاف ، وفيها نغمة
 واحدة متصلة منذ بدء القصيدة إلى نهايتها ، تظهر واضحة حيناً وتحسبها النفس
 وإن لم تسمعها الأذن حيناً آخر ، وهذه النغمة التي تكون وحدة هذه
 القصيدة كما كانت الوحدة في معلقة لبید ، هي حديث الشاعر إلى صاحبه
 واستحضار صورتها في نفسه منذ بدء القصيدة ، ولكن بين هذه
 النغمة في قصيدة عنتره وقصيدة لبید فرقا واضحا جداً ، فهي في قصيدة عنتره
 حلوة رقيقة تمازج النفس فتمتزج بها لأن عنتره فيما يظهر كان حلو النفس
 رقيق القلب ، قوى العاطفة ، جاء ذلك من أنه عز بعد ذلة ، وتحرر بعد
 رق ، فهو قد شقى في صباه وطفولته ، واحتمل الأذى في شبابه ، والذل الذي
 يمتزج بالنفس فيصفي عواطفها ، ويلطف حديثها ، على حين تجد هذه النغمة
 عند لبید غليظة خشنة ، لبید يتحدث عن صاحبه في أول القصيدة ويذكرها
 أثناءها ولكنه ليس متهاكاً عليها ولا متحرجاً من الصد عنها ، فهو يبادل
 القطيعة بالقطيعة والهجر بالهجر ، أما عنتره فيقول :

ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم

٤ — وفيها عدة تشبيهات رائقة ، كتشبيه الظلم وقد تبعته النعمان بالعبد
 الأسود وقد ثابت إليه الأبل :

تأوى له قلص النعمان كما أوت حرق بجانبه لأعجم طمطم

ومثل هذا التشبيه الرائع الذي يعجب به النقاد من القدماء ويحبونه ،
 في الأبيات التي وصف فيها ثغر صاحبه بالجمال وطيب النشر ، فذكر فأرة
 المسك وذكر الروضة الأنف التي ألح عليها الغيث حتى زكاً نبتها وكثر فيها

الذباب مبتهجا نشوان مترنما :

و كأن فأرة تاجر بقسيمة سبقت عوارضها إليك من الفم
أو روضة أنفا تضمن نبتها غيث قليل الدمن ليس بمعلم
جادت عليه كل بكر حرة فتركن كل قرارة كالدرهم
سحا وتسكابا فمكل عشية يجرى عليها الماء لم يتصرم
وخلا الذباب بها فليس بيارح غردا كفعل الشارب المترنم
هزجا يحك ذراعه بذراعه قدح المسكب على الزناد الأجزم

هـ — وكثير جداً من أبيات هذه المعلقة قد ظفر بحظ كبير من الإيجاز والامتلاء والبراعة من اللغو والفضول حتى جرى مجرى الأمثال ، فأى الناس لا يتمثل قوله :

وإذا شربت فأنى مستهلك مالى وعرضى وافر لم يكلم
وإذا صحت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتسكرمى
أو قوله :

ينبئك من شهد الواقعة أننى أغشى الوغى وأعف عند المغنم
أو قوله :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابنى ضمضم
الشاتى عرضى ولم أشتمهما والناذرين إذا لقيتهما دى
ما احتذاه جميل فقال :

وليت رجالا فيك قد نذروا دى وهموا بقتلى بابئين لقوفى
أو قوله :

إن يفعلوا فلقد تركت أباهما جزر السباع وكل نسر قشعم
وجل هذه القصيدة يجرى مجرى المثل ، ويدشد على اختلاف العصور والبيئات والظروف ، فلا يمل انشاده . ولا تحس النفس نبوا عنه ، أو نفورا

مته ، وإنما تحس كأنها تجرى فيه أو كان هذا الشعور مرآة صافية صادقة لكل نفس كريمة ولكل قلب ذكى ولكل خلق نقي .

ذلك لأن عنبرة بحياته وشخصيته ومشاعره وعواطفه وآماله وآلامه كان كأنما يتحدث عن النفوس ، ويصف حياة الناس ، يأخذ من تجاربه وخبرته ومن فراسته وذكاؤه أساليبه وصوره ، ويستمد من إلمامه بالحياة ومعرفته ببيئته مادة بيانه وشعوره وشعره .

فعنبرة في معلقته شاعر يتحدث عن البطولة في البادية وعن المجتمع الذى كان يعيش فيه وعن الحياة التى كان يتأثر بها وعن عواطف الشاعر وعن دخائل نفسه حديث المصور الماهر والشاعر العبقرى .

وبعد فكل ما فى المعلقة جيد ، وكل أبياتها خليك أن نطيل الوقوف عنده والتفكير فيه والاعجاب به كما يقول الدكتور طه حسين .

ح - وفنون المعلقة كثيرة :

١ - بدأها عنبرة بالغزل فى ابنة عمه عبلة ومخاطبة دارها ذات الذكريات الجميلة ، قال :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم^(١)
يا دار عبلة بالجواء تسكلى وعمى صباحا دار عبلة واسلى^(٢)
وتحل عبلة بالجواء وأهلنا يا لحزن فالصمان فالمتلثم
حييت من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم^(٣)

٢ - واستطرد إلى وصف الروضة :

(١) غادر . ترك . متردم . شىء يصلح لم يكونوا أصلا حوه . التوهم . الوهم

(٢) الجواء . بلد فى نجد من أماكن عبس . عمى . أى انعمى .

أوروضة أنفأ تضمن نبتها غيث قليل الدمن ليس بمعلم (١)
جادت عليه كل بكر حرة فتركن كل قرارة كالدرهم (٢)
وخلا الذباب بها فليس بيارح غردا كفعل الشارب المترنم (٣)
هزجاً يحك ذراعاه بذراعاه قدح المسكب على الزناد الأجزم (٤)

٣ — ثم يصف ناقته في أبيات كأبيات طرفة تمتاز بالغرابة :

هل تبلغنى دارها شذنية لعنت بمحروم الشراب مصرم (٥)

٤ — ثم يفتخر بنفسه وشجاعته :

أثنى على بما علمت فأنى سهل مخالفتى إذا لم أظلم
فاذا ظلمت فان ظلمى باسل مر مذاقته كطعم العلقم
وإذا شربت فأنى مستهلك مالى ، وعرضى وافر لم يكلم
وإذا صحت فما أقصر عن ثدى وكما علمت شمائلى وتسكرمى

ويستمر فى التنويه بشجاعته إلى أن يقول :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى ويبض الهند تقطر من دى
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم
لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتذاكرون كررت غير مذمهم

(١) الأنف : التمام فى كل شيء . الدمن . المطر الخفيف . الغيث . المطر . المعلم . ذو العلامة

(٢) جادت . من الجود وهو المطر الكثير . البكر . السحابة فى أول الربيع والحرة . البيضاء . القرارة . القاع ، وكالدرهم . يعنى فى البياض والاستدارة

(٣) خلا : انفرد . بارح : تارك . غردا : مترنما

(٤) الهزج : السريع الصوت . قدح المسكب : أى الذى أكد على الزناد بقده . الأجزم : مقطوع اليد

(٥) تبلغنى : توصلنى . دارها : منزلها . شذنية : ناقة . لعنت : جف ضرعها .

محروم الشراب . أى ضرع لابلن فيه . مصرم : جاف

يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بر في لبان الأدهم^(١)
 ما زلت أرميهم بشجرة نحره ولبانه حتى تسربل بالدم^(٢)
 فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتحمحم
 لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى وليكان لو علم الكلام مكلمى
 ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها قيل الفوارس : ويك عنتر أقدم
 ه — ثم يختتمها بتهديد ابني ضمضم وكانا قد نذرا دمه وتربصا له لأنه
 قتل أباهما في الحرب ، قال :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم
 الشاتى عرضى ولم أشتمهما والناذرين إذا لم ألقهما دى
 إن يفعلوا فلقد تركت أباهما جزر السباع وكل نسر قشعم^(٣)

(١) أشطان : حبال . لبان : صدر . الأدهم : الفرس الأسود

(٢) الشجرة : الهزيمة التى فى الحلق . اللبان : الصدر . تسربل : لبس السربال

(٣) جزر السباع : أى طعمة لها . القشعم : الكبير من النسور

معلقة لييد

١ — ولييد بن ربيعة العامري من سادة العامريين القيسيين وأشرفهم وكان يقال لأبيه ربيعة المعترين ، وعمه ملاعب الأسنة عامر بن مالك أخذ أربعين مرباعا في الجاهلية .

كان لييد من شعراء الجاهلية وفرسانهم ، وقال الشعر في الجاهلية في كل غرض ، وأدرك الاسلام وأسلم وهجر الشعر ، وأقام بالكوفة إلى أن مات عام ٤١ هـ عن مائة وسبع وخمسين سنة .

« وسئل لييد من أشعر الناس ؟ فقال : الملك الضليل ، ثم الشاب القليل ثم الشيخ أبو عقيل يعني نفسه (١) » . وهو من أصحاب المعلقات ، وكان نظم لييد في الجاهلية فخم العبارة منضد اللفظ قليل الحشو مزدانا بالحكمة العالية والكلم الرائعات ، وهو أحسن الجاهليين تصرفا في الرثاء ، وأكثرهم قدرة على تصوير عواطف المفجوع الحزين بلفظ رائق وأسلوب مؤثرا ، وقدمه بعض النقاد « لأنه أفضل الشعراء في الجاهلية والاسلام وأقلهم لغوا في شعره (٢) » .

٢ — ومعلقة لييد تمتاز بقوة اللفظ ومتانة الأسلوب ، وبما فيها من تصوير للبادية والحياة والأخلاق فيها .

١ — بدأها لييد بذكر الديار وخلوها من أصحابها وتعرضها للرياح والأمطار تعبت بها وتمحو معالمها ، قال :

(١) ٢٩٧ ج ٢ المزهري . وراجع ٨٨ الشعر والشعراء

(٢) ٣٨ الجهرة وراجع ص ٣٩ من الجهرة أيضا

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها (١)
وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها (٢)
فوقفت أسألها ، وكيف سؤلنا صما خوالد ما يبين كلامها (٣)

ثم يصف رجيل أحبابه عنها حتى يقول :

بل ما تذكر من « نوار » ، وقد نأت وتقطعت أسبابها ورمامها (٤)
مرية ، حلت بفيد ، وجاورت أهل الحجاز ، فأين منك مرامها (٥)
وأخيرا يرى لا أن يتسلى ويتعزى حتى يصل إلى رجائه وأمله ، ولكنه
أن يقطع أمله منها ويترك رجاءه فيها ويقطع صلته بها ما دامت نوار قد
تغير وصلها :

فاقطع لبانة من تعرض وصله ولشر واصل خلة صرامها (٦)

ب — ثم يأخذ في وصف ناقته في لفظ غريب وتعبير بدوي مثنى ،
ويطيل في هذا الوصف ، ويشبهها بالأتان الوحشية وبالظبية الرؤوم المفجوعة
إلى أن يقول :

(١) عفت : درست . المحل والمقام : موضع الحلول والاقامة . منى : موضع
قريب من طخفة . تأبد : توحش . الغول : ماء معروف للضباب بجوف طخفة به
نخل . الرجام : جبال بقارة الحى حى ضرية
(٢) يريد أن السيول كشفت عن الطلول فظهرت كالكتب تجدد ظهورها .
والزبر جمع زبور وهو الكتاب

(٣) صم : جمع صماء . خوالد : بواق جمع خالدة . والصم البواقى هى الأثافي
يبين : يظهر

(٤) نوار : اسم حبيته . الروام : جمع رمة وهى القطعة من الحبل البالى . يريد
أن الوصل تقطعت به الأسباب

(٥) مرية : تنسب إلى مرة بن عوف . فيد : موضع فى طريق مكة . مرامها
منالها (٦) اللبانة : الحاجة . تعرض : تغير . الخلة : الصداقة .

فبتلك إذ رقص اللوامع بالضحي واجتأب أردية السراب أكامها (١)
أقضى اللبانة لا أفرط ريبه أو أن يلوم بحاجة لوامها (٢)
أو لم تكن تدرى نوار بأننى وصال عقد حبال جدامها (٣)
تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها

ح — ثم يتحدث عن نفسه وعزتها ، ولذات الراح التى شارك فيها ،
وشجاعته وبطولته فى مواقف النزال والنضال ، وكرمه وسخائه ونواله للجار
الفقير والضيف النازل والجار الغريب وللبائسين والمساكين .

وجزور أيسار دعوت لحتفها بمخالق متشابهة أعلامها (٤)
فالضيف والجار الغريب كأنما هبطا تبالة مخصبا أهضامها (٥)
تأوى إلى الأطناب كل رزية مثل البلية قالص أهدامها (٦)
د — ثم يفتخر بقومه وما آثرهم وشرفهم ومجدهم فيقول :

من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإمامها

(١) رقص : ارتفع . اللوامع بالضحي : يعنى الآل . اجتأب لبس . أردية :
جمع رداء . السراب : ما يتراءى للسان فى الصحراء من شبه الماء مما يكون لازقا
بالقيعان . آكامها : جمع أكمة

(٢) اللبانة : الحاجة . لا أفرط أى لا أترك . الريبه : الشك والخافة . أن
يلوم : أى أن لا يلوم . (٣) أى أصل وأقطع . وهذا مذهب لا يرتضيه
المتيمون فى الحب .

(٤) الأيسار . اللذين يحضرون القسمة ويضربون بالقداح . المخالق : جمع
مغلاق وهو السابغ من سهام الميسر . متشابهة : أى يشبه بعضه بعضاً
(٥) تبالة : قرية فى نجد مشهورة بالخصب . أهضام : جمع هضم وهى بطون
الأرض المظمتنة

(٦) الرزية : المرأة التى قد أرزها أهلها أى أهزلها . البلية ناقة الرجل تعقل
عند قتره حتى تموت . الاطناب : حبال الفساطيط . الأهدام . الخلقان . قالص :

قصير مرتفع

فبنوا لنا بيتا رفيعا سمكه
 فاقنع بما قسم المليك فإنما
 قسم الخلاق بيننا علامها
 وإذا الأمانة قسمت في معشر
 أوفى بأعظم حظنا قسامها
 فهم السعاة إذا العشيرة أفضعت
 وهم فوارسها وهم حكامها
 وهم ربيع للبحاور فيهم
 والمرمات إذا تطاول عامها

(١) أمثلة منتقاة من البحار والديوان

(٢) أمثلة منتقاة من البحار والديوان

(٣) أمثلة منتقاة من البحار والديوان

إلى آخر هذه القصيدة التي فيها من المعاني ما لا يحصى

تأمل في هذا البيت من البحار والديوان

فهذه راء وهبطها بلفظ زنه هذا أيضا بلفظ زنه

(٤) أمثلة منتقاة من البحار والديوان

(٥) أمثلة منتقاة من البحار والديوان

(٦) أمثلة منتقاة من البحار والديوان

(٧) أمثلة منتقاة من البحار والديوان

(٨) أمثلة منتقاة من البحار والديوان

(٩) أمثلة منتقاة من البحار والديوان

(١٠) أمثلة منتقاة من البحار والديوان

معلقة الحارث بن حلزة

١ — الحارث بن حلزة اليشكري من بكر ، كان سيدا في قومه ، وشاعرا مجيدا ، ارتجل معلقته ارتجالا في مجلس عمرو بن هند يستدني بها عطفه ويستجلب رضاه ويدود بها عن قومه ، وكان هوى عمرو بن هند مع تغلب ، فتحول إلى العطف على البكرين بسبب هذه القصيدة الرائعة . وليس للحارث إلا آثار قليلة من الشعر مع معلقته هذه .

٢ — وتمتاز هذه المعلقة بإحكام نسجها وتنوع أغراضها وبأنها أثر من آثار البديهة والارتجال :

١ — بدأها بالغزل في محبوبته أسماء .

أذنتنا بيننا أسماء رب ثاو يحمل منه الشواء (١)

بعد عهد لنا ببرقة شما . فأدنى ديارها الخلصاء (٢)

لا أرى من عهدت فيها فأبكي اليوم دلهما وما يحير البكاء (٣)

ب — ثم انتقل إلى وصف ناقته وكما يقول :

أتلهى بها الهواجر إذ كل ابن هم بلية عمياء (٤)

ح -- ثم يعاتب إخوانه من بني تغلب لصلفهم على قومه :

إن إخواننا الأراقم يغلو ن علينا في قيلهم إحفاء (٥)

(١) الايذان : الاعلام . البين : الفراق . الشواء : الإقامة

(٢) العهد : اللقاء . وبرقة شما : موضعان قريبان من دياره

(٣) يحير : يرد ، الدله : الحزن والتحير وذهاب العقل

(٤) الهواجر جمع هاجرة وهي لفح الحر وقت الظهيرة . عمياء : شديده

(٥) الأراقم : بطون من تغلب . الغلو : مجاوزة الحد . الإحفاء : الإلحاح

يخلطون البرىء منا بذى الذنب ولا ينفع الخلى الخلاء (١)
 أجمعوا أمرهم عشاء ، فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
 من مناد ، ومن مجيب ، ومن تصالخال خيل خلال ذاك رغاء
 أيها الناطق المرقش عنا عند عمرو ، وهل لذك بقاء ؟ (٢)
 فبقينا على غراتك إنما قبل ما قد وشى بنا الأعداء (٣)
 فبقينا على الشنأة تنميننا حصون وعزة قعساء (٤)
 ثم يمدح الملك عمرو بن هند حيناً ويستمر في عتاب إخوانه من تغلب
 حيناً آخر :

ملك مقسط ، وأفضل من يمشى ، ومن دون ما لديه الشنأ (٥)
 أيما خطة أردتم فأدوها إلينا تمشى بها الأملاء (٦)
 ويسير على هذا النهج من المدح والعتاب .
 ج - ثم يفتخر بقومه ومجدهم وأيامهم في صدق وجمال وقوة عاطفة :
 هل علمتم أيام ينتهب الناس غوارا لكل حي عواء (٧)
 إلى آخر هذه القصيدة الرائعة التي يصح لنا أن نعدّها ملحمة شعرية مصغرة
 تنطق بمجد بكر ومفاخرها في الحرب والسلم في الجاهلية

-
- (١) الخلى البرىء الخالى من الذنب
 (٢) الناطق المرقش : أى الواشى المنمق أكاذيبه ووشاياته وأباطيله
 (٣) الغرأة : اسم بمعنى الأغراء .
 (٤) الشنأة : البغضاء . تنميننا . ترفعنا
 (٥) مقسط : عادل
 (٦) الخطة : الامر العظيم الذى يحتاج الى المخلص منه . أدوها أى فوضوها .
 الأملاء : الجماعات من الاشراف
 (٧) الغوار المغاورة العواء : صوت الذئب وهو مستعار للضجيج والصياح

مصادر الشعر الجاهلي*

ومصادر الشعر الجاهلي كثيرة : كالمفصليات ، وحماسة أبي تمام الطائي وهي تحتوى سبعين وخمسمائة قطعة من الشعر قسمت إلى عشرة أبواب :

الحماسة - المراثى - الأدب - النسيب - الهجاء - الإضافات - الصفات - السير والملاح ومذمة النساء ، ولها شروح كثيرة .

ومنها حماسة البحتري ، وهي ذيل لحماسة أبي تمام وتحتوى على سبعين ومائة باب وفيها أكثر من ألف وأربعمائة قطعة .

ومنها ديوان الهذليين للسكري . وهو المجموعة الوحيدة التي وصلت إلينا من مجموعات أشعار قبيلة واحدة ، والنسخة الوحيدة منه محفوظة بمكتبة ليدن وتحتوى على الجزء الثانى منه فقط ، وقد طبع هذا المجموع فى لندره سنه ١٨٥٤ هـ

ومنها كتاب الأغاني للأصفهاني فى م ٣٥٦ هـ . وكتاب قراضة الذهب فى نقد أشعار العرب لابن رشيق م ٤٦٠ هـ

ومنها جهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى ، وتحتوى على تسع وأربعين قصيدة لشعراء الجاهلية والإسلام .

ومنها الأمثال للميداني ، والبيان والتبيين للجاحظ والعقد الفريد لابن عبد ربه ، والأمالى للقالى ، وسوى ذلك من مصادر الأدب والشعر العربى القديم . وخاصة دواوين الشعراء الجاهليين .

دواوين الشعراء الجاهليين

- ١ - لم تدون أشعار الجاهليين في عصر الجاهلية لأن الأمة كانت أمية ، و يروى أنه كان عند آل المنذر ديوان فيه أشعار الفحول وممدوح به هو وأهل بيته فصار ذلك إلى بني مروان ، ولا تعلم شيئاً عن هذه المجموعة هذا وإنما كان بعض الأشعار يحفظ بتواتر روايته وفي صدر الإسلام اهتم الأدباء برواية الشعر الجاهلي وجمعه وتدوينه وتفسيره مثل الأصمعي وأبي زيد وأب عبيدة وحماد الراوية وخلف الأحمر وقد حذا حذوهم من خلفهم ونظم هؤلاء وأولئك الشعر وأكثروا منه وأخذ الشعراء يدونون ما نظموا به أنفسهم غالباً
- ٢ - وما دون من أشعار الجاهليين كتاب العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين : النابغة الذبياني وعنترة العبسي وطرفة بن العبد وزهير بن أبي سلمى وعلقمة الفحل وامرئ القيس وقد طبع في مدينة غريفر ولد سنة ١٨٦٩ للميلاد . وديوان امرئ القيس السكندى المتوفى سنة ٥٢٩ للميلاد وبه ثلاثون قصيدة طبع في مصر سنة ١٢٨٢ للهجرة مع شرحه للوزير أبي بكر عاصم بن أيوب وأعيد طبعه سنة ١٣٠٧ . وديوان النابغة الذبياني وتوجد منه نسخة بالمكتبة الخديوية بخط محمود باشا سامي المصري الشهير بالبارودي . وديوان المتلمس المتوفى سنة ٥٥٠ للميلاد . وديوان علقمة الفحل المتوفى سنة ٥٦١ للميلاد وقد طبع بمدينة ليبسيك سنة ١٨٦٧ . وديوان زهير بن أبي سلمى المتوفى قبل الإسلام بنحو سنة وقد طبع مع شرح له منسوب للأعلم الشنتمري بمدينة ليدن سنة ١٣٠٦ للهجرة من ضمن مجموعة مسماة بالطرف العربية ومنسوبة إلى الشيخ عمر السويدي ولعله سويدي مستشرق . ومجموع مشتمل على خمسة دواوين لأربعة جاهلية وهم النابغة الذبياني وعروة بن الورد وحاتم طي وعلقمة الفحل والخامس إسلامي وهو الفرزدق ومع الديوان الأول شرحه للوزير أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي المتوفى سنة ٣٩٤ ومع الثاني والثالث

شرحهما لابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ وهذا المجموع طبع بالمطبعة الوهبية
بمصر سنة ١٢٩٣ ومجموعة المعلقات السبع وشرحها لعبد الله الزوزنى وعلى
الأولى منه أنه توفى سنة ٣٧٥ والزوزنى نسبة إلى الزوزن وهى بلدة كبيرة من
بين هراة ونيسابور وقد طبع بالاسكندرية سنة ١٢٨٨ . وطبعت بشرح
لابن النحاس الغريق فى النيل سنة ٣٣٨ . وبشرح آخر للشيخ عثمان التنوخى
جمع فيه بين الشرحين السابقين . وبشرح آخر للنعمانى الحلبي وقد طبع بمصر
عام ١٣٢٩ هـ . وجمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى المتوفى سنة ١٧٠ تكلم
فيها على الشعر والشعراء وجمع لهم تسعة وأربعين قصيدة مقسمة إلى المعلقات
والجمهرات والمنتقيات والمذهبات والمراثى والمشوبات والملاحمات وشرح
هذه القصائد بعض الشرح وقد طبع بالمطبعة الأميرية سنة ١٣٠٨ . وديوان
قيس بن الخطيم أدرك الاسلام ومات قبل الهجرة . وديوان الأعشى المتوفى
سنة ٧ للهجرة . وديوان الخنساء المتوفاة سنة ٢٤ للهجرة وقد طبع بمصر سنة
١٨٨٨ وببيروت سنة ١٨٨٩ لليلاد وأضيفت إليه مراث أخرى ، وديوان
حسان بن ثابت المتوفى سنة ٤٠ للهجرة وكان شاعر النبي عليه الصلاة والسلام
وديوان الخطيئة المتوفى فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وديوان
لبيد بن ربيعة المتوفى فى أول خلافة معاوية بعد أن عاش ١٤٠ سنة وهو مطبوع
بمدينة ويانة سنة ١٨٨٠ لليلاد .

وبعض هذه الدواوين وسواها مطبوع طبعات حديثة .

الشعر الجاهلي

بين الطبع والصنعة

١ — المطبوع من الشعراء كما يقول ابن قتيبة من سمح بالشعر واقتدر على القوافي وأراك في صدر البيت عجزه وفي فاتحته قافيته وتبينت على شعره رونق الطبع ووشى الغزيرة (١). والمصنوع هو المنقح المثقف من الشعر الذي قومه صاحبه بالثقاف ونقحه بطول التفتيش ولم يذهب فيه مذهب المطبوعين (٢) مما يظهر للنقاد مهما كان محكما (٣) وتجسد البيت فيه مقرونا بغير جاره ومضموما إلى غير لقفه (٤)، على أن أئمة الصنعة في الشعر العربي كانوا يجعلون قصائدهم نمطا واحدا مما يجعلها مستوية الشاعرية كالخطيئة وسواه ولذلك قال الأصمعي: الخطيئة عبد لشعره، قال الجاحظ: عاب شعره حين وجده كله متخيرا مستويا لمكان الصنعة والتكلف والقيام عليه (٥)، وقال الأصمعي أيضا: زهير والخطيئة وأشباههما عبيد الشعر وكذلك كل من يجود في جميع شعره ويقف عند كل بيت قاله وأعاد فيه النظر حتى تخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة (٦)، قال ابن رشيقي: يريد الأصمعي أنهما يتكلفان إصلاحه ويشغلان به حواسهما وخواطرها (٧)، وكان الأصمعي يقول: وإنما الشعر

(١) زيادة على المنهج الدراسي المقرر (٢) ٢٤ الشعر والشعراء

(٣) ١٦ المرجع (٤) ٢٢ المرجع

(٥) ٢٣ المرجع ولذلك أخذ النقاد القدماء كالصاحب والنعماني والبديعي على

المتنبى كثرة التفاوت في شعره

(٦) ١٥٠ ج ١ للبيان والتبيين

(٧) ٢٥ ج ٢ المرجع وتروى كلمة الأصمعي برواية أخرى هي: زهير والنابعة

وكان النقاد يمدون النابعة من المصنعين ويروى عن أبي غبيدة قال: سمعت أبا عمرو

يقول: زهير والخطيئة عبيد الشعر لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين

(١٠٥) إعجاز القرآن

المحمود كشعر الجعدي ورؤية ولذلك قالوا في شعره : مطرف بآلاف وخمار
بواف (١) ، وكان الأصمعي يفضلُه من أجل ذلك (٢) ، قال الجاحظ : وكان
يخالف في ذلك جميع الرواة والشعراء (٣) وأرى أنه مسبوق بذلك الرأي ،
فقد روى أنه قيل للرماح : لو أصاحبت شعرك لذكرت به ، فقال : إنما الشعر
كنبل في جفرك ترمي به الغرض فظالم وواقع وقاصد (٤) ، ورد بشار على
من عابه بالتفاوت في شعره بأن الشاعر المطبوع كالبحر يقذف مرة صدفة
ويقذف طوراً خرزة (٥) . وعلى هذا الرأي يسير بعض المحدثين ممن يرى أن
التفاوت في شعر الشاعر دليل على عبقريته وطبعه وهو الآية الناطقة على
شاعرية المتنبي عنده (٦) . وإذا كان الشاعر مصنعا بأن جيده من سائر شعره
كأبي تمام وإذا كان الطبع غالباً عليه لم يبين جيده كل البيئونة وكان قريباً من
قريب كالبحثري ومن شاكلة (٧)

ويرى بعض المحدثين أن الشعر إذا كان صادراً عن ذات نفس الشاعر كان
هو شعر الطبع أو شعر الفطرة (٨) فأينما وجدت النفس المتأثرة بما يزحمها
من بواعث الشعور فقد وجدت هنالك شعر الفطرة (٩) ، ويذهب إلى ذلك
العقاد حيث يرى أن شعور الشاعر بنفسه حد بين الطبع والشكف فإذا كان
الشعر صادقا مؤثراً فهو من شعر الطبع وإلا فهو متشكف (١٠) ، ويرى أن
الأديب المطبوع من كان غير مقلد في معناه أو في لفظه وأن يكون صاحب

(١) ١١٢ ج ١ العمدة

(٢) ١٥٠ ج ١ البيان

(٣) ٢٦ ج ٢ البيان . وكان الأصمعي مع كراهته للصنعة يستحسن التفاوت

في الشاعرية لأنه مظهر الطبع وخلق الشعر من آثار الصناعة (٧)

(٤) ٨٨ ج ٢ الأغاني (٥) ٢٧٥ ج ١ زهر (٦) ٢٧٦ مطالعات

العقاد (٧) ١١١ ج ١ العمدة (٨) ص ٧ الطبع والصنعة في الشعر

(٩) ١٦ المرجع (١٠) ٢٧٧ مطالعات

هبة في نفسه وعقله لافي لسانه فقط (١) وكذلك ذهب صاحب تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، الذي ذكر رأى ابن قتيبة وحلله بأنه يريد من الطبع في الشعر معنى الارتجال لا الطبع والشعور والمللثة الشعرية الموهوبة ثم بنى على ذلك نقده لابن قتيبة ورأيه (٢)

ورأى المحدثين إصطلاح جديد في الطبع والصنعة ومعناهما ، وهو لا ينقض الرأى الأول الذى ذهب إليه القدماء ، بل لعل القدماء قد لاحظوه واكتفوا في تعريفهم للطبع والصنعة بآثارهما الفنية فى الأدب والشعر .

ونحن نرى أن الأولى فى تحديد معنى الطبع والصنعة أن نجتمع بين الرايين فالطبع هو المللثة القادرة فى نفس الشاعر والأديب التى توحى إليه بفنه وأدبه وحي الفطرة والطبيعة واستجابة لعواطفه ومشاعره دون تكلف ودون تعب فى الصوغ أو استجداء لترف الأسلوب والصناعة ، فإذا جاء شئ من آثار هذا التكلف الفنى فى شعر المطبوعين من الشعراء فأنما يحىء عفووا وعن غير قصد إليه وتعمد له وإنما طلبه الذوق واستدعاه المعنى ونطقته به الشاعرية دون قصد ودون عناء ودون أن يطغى شئ على نفس الشاعر وشعوره وخليجات قلبه ونزعات عقله وإحساسه . والصنعة هى : إحساس الشاعر أو الأديب بآثار الجمال الفنى وترف الأداء وزخرف الأسلوب ، وحيه لهذا الجمال والترف والزخرف ، وهيامه الفنى بها وقصده إليها وتعمره لها فى شعره وأدبه ، حتى ليطلب الفن للفن ، ويستلهم الجمال للجمال ، ويستوحى الشعر من ملكاته الفنية التى غلبت عليه هذه النزعة واستبد بها هذا الأسلوب ، وكادت تكون فنا خالصا يطغى على نفس الشاعر وشعوره وعواطفه وإحساسه بالحياة ، ويستبد بالظهور والغلبة عليها فى الفن ، أو يشاركها فى تراث الشاعر والأديب الفنى فيقلل من ظهور نزعاته ووجداناته فيه ،

ولذلك عاب القدماء من النقاد الصنعة والتصنيع ، وكرهوا الصانعين والمصنعين ، ورأوا مذهبهم يحالف مذهب القدماء من الشعراء في الجاهلية والاسلام .

٢ - ولقد كان الشعر العربي أثراً للفطرة والقريحة ، واستجابة لمشاعر الشاعر وشعوره بالحياة في الجاهلية ، وكان أكثره ارتجالاً أو ما يشبه الارتجال ، ينظمه الشاعر على البديهة ويأتي به عفواً خاطر ، ترد إلى ذهنه المعاني وتتابع فتنبال عليه الألفاظ انثيالاً ، وتأتية الأساليب شعراً وشعوراً وسحراً وجمالاً ، كل ذلك في سهولة وتدفق وفطرة ودون تثقيف وتهذيب وتنقيح ، وقد يتفق للشاعر منهم في شعره من آثار الصنعة التي لم يقصدها البيت والبيتان في القصيدة ، « وربما قرئت » من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع ، وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى نادراً ، ويزداد حظوة بين الكلام المرسل ، (١) وليس متكلفاً تكليف أشعار المولدين ، وإنما وقع لهم عن غير قصد ولا تعمل لكن بطباع القوم عفواً ، فلم تكن العرب تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل فتترك لفظة لللفظة أو معنى لمعنى كما يفعل المحذثون ولكن نظرهما في فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى وإبرازه وإتقان بنية الشعر وأحكام عقد القوافي وتلاحم الكلام ببعضه ببعض (٢) ، فكل شيء للعرب فانما هو بديهة وارتجال وكأنه الهام ، وليس هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجمالة فكرة وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى جملة المذهب والعمود الذي إليه يقصد فتأتيه المعاني ارسالاً وتنثال عليه الألفاظ انثيالاً (٣) .

وفي العصر الجاهلي بدأ لون جديد من ألوان التثقيف والصنعة في الشعر على يد أوس وزهير وتلاميذهما ، كان أوس من أصحاب التنقيح وكان

يسمى محبرا لحسن شعره ^(١) وتتلذذ عليه زهير ^(٢) وكان طفيل كذلك وقد قيل إن زهير روى له ^(٣) وتتلذذ عليه ، وكذلك كان النمر بن تولب من أصحاب التثقيف والنهذيب وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس ^(٤) ، ومن أبرز رجال هذه المدرسة زهير ، وكان زهير يصنع الحوليات على وجه التثقيف والتنقيح ، يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفا من التعقب ، بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة ، وربما رصد أوقات نشاطه فتباطأ عمله لذلك ^(٥) ، ، وكان يعمل القصيدة في ستة أشهر ويهذبها في ستة أشهر ثم يظهرها فتسمى الحوليات ^(٦) ، ، وعمل سبع قصائد في سبع سنين وكان يسميها الحوليات ^(٧) ، وقيل كان ينظمها في شهر ثم لا يزال يهذبها حتى يمر عليها الحول ^(٨) ، قال الجاحظ : ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تسكت عنده حولا كريتا ^(٩) ، وزمنا طويلا يردد فيها نظره ويقلب فيها رأيه اتهاما لعقله وتتبعها على نفسه وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمنقحات والمحكمات والمقلدات ^(١٠) ، وقال : وكان زهير وهو أحد الثلاثة المتقدمين يسمى كبار قصائده الحوليات ^(١١) ، ولعل رأى النقاد في أنه كان يدع القصيدة عنده حولا يهذبها ويقوم ثقافها ويصبغها بصبغة من الصنعة والتنقيح مبالغة في إطالة نظره فيها وصنعتة لها . وقد احتج أصحاب مذهب الصنعة بأن

-
- | | |
|---|-----------------------------|
| (١) ١١٢ ج ١ العمدة | (٢) ١٧٢ ج ١ المرجع |
| (٣) ١١٢ و ١٧٤ و ١٧٥ ج ١ العمدة | (٤) ١١٢ ج ١ العمدة |
| (٥) ١٠٨ ج ١ العمدة | (٦) ١٣٤ صناعتين |
| (٧) ٢٦٦ سر الفصاحة | (٨) ٣٨ ج ٣ الرافعي |
| (٩) أي كاملا | (١٠) ٢١ ج ٢ البيان والتبيين |
| (١١) ١٤٩ ج ١ و ٢٤ ج ٢ البيان و ١٠٥ إعجاز القرآن | |

امراً القيس كان يشقف شعره ويعيد فيه نظره ويسقط رديته ويثبت جيده (١) وكان امرؤ القيس راوية أبي دؤاد الأيادي مع قوة غريزه ، وكان يلوذ به في شعره ويتوكأ عليه كثيراً (٢) . وقد سار تلامذة زهير على نهج أستاذهم فكان الخطيئة صانعا حاذقا يقوم على شعره وينقحه (٣) ، كان يحمل القصيده في شهر وينظر فيها ثلاثة أشهر ثم يبرزها (٤) ، وكان يقول خير الشعر الحولى المنقح (٥) أو المحكك (٦) ، ويشبهون طريقة الخطيئة في الشعر بطريقة زهير (٧) وكان الأصمى يعيبه من أجل (٨) صناعته ، وكان الخطيئة راوية زهير (٩) ، وكان الفرزدق يروى للخطيئة كثيراً وكان أبو حية النخري وهو من أحسن الناس شعرا وألطفهم كلاما مؤتما بالفرزدق أخذاً عنه كثير التعصب له والرواية عنه (١٠) ، كما كان هدبة بن الخشرم رواية الخطيئة وجميل راوية هدبة وكثير راوية جميل (١١) .

وهكذا استمر هذا المذهب مذهب التشقيف وطول التهذيب منهمجا فنيا يسير عليه بعض الشعراء حتى بعد العصر الجاهلي . وكان أساسا لمذهب البديع الذي نشأ على يد مسلم وأبي تمام من المحدثين .

(١) ١٧٤ ج ١ العمدة (٢) ١٧٢ ج ١ العمدة

(٣) ٦٠ من التصحيف والتحريف للعسكري

(٤) ١٣٥ صناعتين (٥) ١٤٩ ج ١ البيان

(٦) ٢٥ ج ٢ ، ١٧٥ ج ١ العمدة ، ويروى ذلك عن زهير (٢٦٦ سر الفصاحة)

(٧) ٢٦٧ سر الفصاحة

(٨) ١٥٠ ج ١ و ٢٥ ج ٢ البيان

(٩) ٧٨ ج ٧ الأغاني

(١٠) ١٧٢ و ١٧٣ ج ١ العمدة ، ٢٩٩ الشعر والشعراء

(١١) ٤٨ ج ٣ الرافعي ، ٣٠٠ الادب الجاهلي ، ١٧٢ ج ١ العمدة وكان كثير

راوية جميل ومفضلاً له (١٦ ج ٤ العقد)

رواة الشعر الجاهلي (١)

- ١ — أبو عمرو بن العلاء البصري م ١٥٤ . ولم يترك مؤلفات (٢)
- ٢ — حماد الراوية (٧٥ — ١٥٦ هـ) ، كوفي وليس له مؤلفات (٣) .
- ٣ — الخليل بن أحمد بصري (١٠٠ — ١٧٤ هـ) ، وهو مخترع علم العروض .
- ٤ — خلف الأحمر بصري م ١٨٠ هـ ، وليس له مؤلفات ، ونقل عن السيوطي أنه ألف كتاب « الجبال وما فيها من شعر » ، وله ديوان خاص ، قيل انه صاحب لامية العرب المنسوبة للشنفرى (٤) .
- ٥ — يونس بن حبيب البصري م ١٨٢ هـ .
- ٦ — المفضل الضبي م ١٨٩ هـ ، كوفي ، وهو أقدم من جمع المختار من شعر العرب في كتاب (المفضليات) . وأول من فسر الشعر بيتا بيتا ، ويقال انه أول من جمع أشعار الجاهليين .
- ٧ — أبو عبيدة بصري م ٢٠٩ هـ . وله مؤلفات في اللغة ، ومجاز القرآن والنقائض .

(١) زيادة عن المنهج الدراسي . وقد سبق الكلام على رواية الشعر الجاهلي (ص ١٩٥) وراجع بغية الوعاة - طبقات الادباء لابن الانباري - معجم الادباء لياقوت - وفيات الاعيان - فوات الوفيات - الاغانى - الفهرست .

(٢) ٤٢ فهرست

(٣) ١٣٤ فهرست . ويقول ابن سلام فيه : وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية وكان غير موثوق به (٢٣ طبقات الشعراء)

(٤) ٤ الصناعتين

٨ — الأصمعي البصري م ٢١٦ هـ ؛ وله مؤلفات في اللغة ، وكتاب الأصمعيات طبع أوربا ، وكتاب في الكروم والنخيل .

٩ — محمد بن سلام الجبجي م ٢٣١ هـ . له طبقات الشعراء ، وغريب القرآن (١) .

١٠ — النضر بن شميل م ٢٠٤ هـ .

١١ — مؤرج السدوسي م ١٩٥ هـ .

١٢ — ابن السكبي هشام بن محمد م ٢٠٤ هـ .

١٣ — الهيثم بن عدي كوفي رواية أديب وله مؤلفات وتوفي سنة ٢٠٦ هـ .

١٤ — أبو زيد الأنصاري م ٢١٥ هـ ، ثقة وله مؤلفات .

١٥ — أبو عبيد بن القاسم م ٢٢٣ هـ .

١٦ — ابن الأعرابي م ٢٣١ ، كوفي ثقة ، وله مؤلفات .

١٧ — قنطاري تليفه م ٢٠٨ هـ .

١٨ — من النحويين والحرفيين .

١٩ — تليفه م ٢٠٨ هـ .

٢٠ — تليفه م ٢٠٨ هـ .

٢١ — تليفه م ٢٠٨ هـ .

٢٢ — تليفه م ٢٠٨ هـ .

(١) فهرست ١٦٥

قداىى الشعر فى العصر الجاهلى (*)

هم كثيرون ، ومن أشهرهم :

- ١ - دويد بن زيد (١) بن نهى وله أبيات تروى قالها حين حضرته الوفاة
- ٢ - الأفوه الأوى (٢) ، ويزعم البعض أنه أول من قصد القصيد
- ٣ - عمرو بن قميئة صاحب امرئ القيس (٣)
- ٤ - تأبط شرا (٤)
- ٥ - الحارث بن همام بن مرة (٥)
- ٦ - قيس بن زهير العبسى (٦)
- ٧ - ثعلبة المازنى (٧)
- ٨ - الشنفرى توفى ٥١٠ م (٨)
- ٩ - زهير بن جناب الكلبى م ٥٠٠ هـ (٩)

(*) زيادة على المنهج الدراسى لمقرر (١) نلجث ن: رلث - ١٦

- (١) ٢٠ من المعمرين - ١١٤ المؤلف - ١٥٨ ج ١ البيان
- (٢) ٤١ ج ١١ الاغانى - ٤٢ ج ١ الخزانة - ١٥٠ ج ٢ معاهد التنصيص
- ١١٤ ج ١ زيدان - حماسة البعثرى - ٢٢٤ و ٢٢٨ ج ٢ الامالى ٨٥١ (٢)
- (٣) ٨٩ المعمرين - ٣٥ ج ١ أمالى المرتضى - الاغانى - ص ١٠ ج ١ الحماسة
- (٤) الكامل - ٣٨ ج ١ الحماسة - ١٠٥ و ١٠٧ ج ١ الامالى ٣٦١ (٣)
- (٥) الاغانى - الخزانة - الامالى - الحماسة . وهو جد مشهور ابن هذيل بن قيس بن زهير من المخضرمين
- (٦) ٥١٠ المفضليات - شرح أمالى القالى للبكرى - ٢٩٧ ج ٢ الحيوان للجاحظ
- (٧) المفضليات - ذيل الامالى - ٨٣ ج ٢١ الاغانى - ١٦ ج ٢ الخزانة و ١٨٧ ج ١ أيضا - ١١٩ ج ١ الميدانى و ٩٠ ج ٢ أيضا
- (٨) المعمرين - ١٣٠ المرزبانى - الحماسة - ١٥٨ ج ١ زيدان (٨)
- (٩) المرزبانى ٢٢٥ - ٦٣١ - ٧٥ ج ٢١ (٩) (م. ٢٠ الادب)

- ١٠ — الشداخ السكناني (١)
- ١١ — يزيد بن خذاق العبدى ، جاهلى قديم ، وأول من ذم الدنيا بشعره وأول من رثى نفسه قبل موته بقصيدته التى أولها دهل للفقى من بنات الدهر من واق ، (٢)
- ١٢ — جابر بن حنى التغلبى (٣)
- ١٣ — الصمة القشبرى (٤)
- ١٤ — الصمة الأصغر والد دريد بن الصمة (٥)
- ١٥ — ابن جذل الطعان (٦)
- ١٦ — المتلمس اليشكرى (٧)
- ١٧ — المسيب بن علس (٨)
- ١٨ — أبو دؤاد الأيادى توفى عام ٥٢٠ م وكان امرؤ القيس راوية له
- ١٩ — لقيط الأيادى (٩)
- ٢٠ — الفند الزمانى توفى عام ٥٣٠ م
- ٢١ — شهل بن شيبان (١٠)

-
- (١) ٥٩ ج ١ الحماسة
 - (٢) ١٥٨ ج ٢ العقد - ٨٠ ج ٢ الامالى و ٢٠٩ و ٢٥٦ - المفضليات
 - (٣) الحماسة - ١٩١ شواهد السيوطى على المغنى
 - (٤) ١٢٤ مؤتلف - الاغانى من ترجمة دريد بن الصمة
 - (٥) ١٢٤ المؤتلف
 - (٦) أديان العرب - الامالى الجزء الأول
 - (٧) ١٢٠ ج ٢١ الاغانى - ٧٣ ج ٣ الخزانة و ٢٧ و ٣٦٤ و ٤١٥ ج ١ الخزانة - ٢٧٠ الميدانى - ١٠٢ ج ٢ الحماسة - الشعر والشعراء
 - (٨) ٢٢٦ ج ٤ الخزانة و ٥٤٥ ج ١ - ابن سلام - الاغانى - الشعر والشعراء
 - (٩) مختارات ابن الشجرى - الاغانى
 - (١٠) الحماسة - ٥٧ ج ٢ الخزانة - ١٤٣ ج ٢٠ الاغانى

الشعراء الجاهليون*

ونحن لا يعنينا هنا إلا أن نسجل بعض أسماء الشعراء المجهولين
المسيين وهم :

الأخنس بن شهاب التغلبي (١)

أحيحة بن الجلاح (٢)

أربد بن قيس أخو لبيد لأمه (٣)

أسامة بن الحارث الهذلي وله أحسن طائفة قالتها العرب (٤)

الأسعر الجعفي واسمه مرثد بن مهران (٥)

الأسود بن يعفر النهشلي (٦)

(*) زيادة على المنهج الدراسي

(١) ١٦٧ - ١٦٩ ج ٣ الخزانة - المفضليات - الحماسة - ٩٩ ج ٢ الامالي -

٢٧ المؤلف

(٢) الاغانى : ١٦١ ج ٢ - ١٢٢ ، ٢٣ ج ٢ الخزانة ، ٣٦ و ٣٢١ و ٣٢٦

ج ٣ الخزانة (طبعة جديدة)

(٣) ١٣٠ و ١٣١ ج ١٥ الاغانى - ٢٥ و ١٣٢ و ٢١٠ المؤلف - ٧١ ج ٣

الخزانة (طبعة جديدة)

(٤) ٦٣ ج ٣ العيني - ١٨ و ١٤٥ ج ١ الامالي

(٥) ١٣٧ ج ٢ الخزانة - ٢٥ و ٤٧ و ١٣٢ و ١٤١ و ٢١٠ المؤلف - ١٢١

و ١٨٥ ج ١ الامالي

(٦) ١٩٥ ج ١ الخزانة - ٣٦٦ ج ١ الخزانة (جديد) - ١٢٨ ج ١١ الاغانى

- ١٨٨ شرح شواهد المغنى للسيوطى - ١٢٦ ج ١ الامالي - المفضليات - ٣٤ ج ٢

الخزانة - ٣٥ و ٣٤٩ ج ٣ الخزانة (جديد) - ١٦ و ٨٢ المؤلف - ٥٢٥ ج ٤

الخزانة

- الأشعر الرقبان الأسدي ، واسمه عمرو بن حارثة ، هجاء (١)
الأضبط بن قريع التيمي (٢)
أبي بن حمام العبسي (٣)
أفنون التغلبي (٤)
الآفوه الأودي (٥)
أدهم بن أبي الزعراء الطائي (٦)
أوس بن دني اليهودي القرظي (٧)
إياس بن قبيصة الطائي (٨)
أوفى بن مطر المازني : عداء (٩)
أهبان بن خالد بن نضلة الفقعسي (١٠)

- (١) ٤٧ و ١٢٣ و ٢١٠ المؤلف - ٢١٤ ج ٢ الامالي - ١٨٦ و ٢٣٤ و ٢٥٦ ج ٢ الميداني
(٢) ١٥٤ ج ١٦ الاغاني - المعمرين - الشعر والشعراء - ١٠٧ ج ١ الامالي - ١٦٩ ج ٣ البيان - ١٨٧ ج ١ معجم البلدان - ٥٨٩ ج ٤ الخزانة - ٤٣٤ ج ٤ العيني
(٣) ٩١ مؤتلف - ١٥٦ و ١٥٧ و ١٧٣ ج ١ الحماسة
(٤) ٤٥١ و ٤٥٦ ج ٤ الخزانة - ٥٣ شرح شواهد المغني للسيوطي - ١٥٤ ج ٢ الامالي - ١٥١ المؤلف
(٥) ٤١ ج ١١ الاغاني - ٤٢١ ج ١ العيني - ١٥٠ ج ٢ معاهد التنقيص - ١٢٤ ج ١ الامالي و ٢٢٤ و ٢٢٨ ج ٢ منه ١٥٠ - ٢٢٢ ج ٢
(٦) ٣١ مؤتلف - ٢٠٣ ج ٢ الحماسة
(٧) ٩٤ - ٩٧ ج ١٩ الاغاني
(٨) ١٣٤ ج ٢٠ الاغاني - ٢٤١ و ٢٤٦ و ٤٢٤ ج ١ حماسة
(٩) ٣١٥ ج ٣ الخزانة - ٤٦٨ مرزباني (معجم الشعراء)
(١٠) ٣٠ مؤتلف

- إياس بن الأرت الطائي (١)
 باعث بن صريم اليشكري (٢)
 البرج بن جلاس صاحب الحصين بن الحمام المري (٣)
 البرج بن مسهر الطائي (٤)
 بجير بن عنمة الطائي (٥)
 بجير بن عبدالله بن سلمة القشيري (٦)
 بسطام بن قيس الشيباني (٧)
 بشامة بن حزن النهشلي (٨)
 بشامة بن الغدير الذبياني ، خال زهير بن أبي سلمى (٩)
 بشر بن أبي خازم الأسدي (١٠)

- (١) ٤٢٣ ج ١ حماسة - ٨٩ و ٢٠٢ و ٣١٧ ج ٢ الحماسة .
 (٢) ١٧ ج ٣ الخزانة - ٢٢٥ معجم الشعراء البرزباني - ٧٣ ج ٣ العقد - ٢٠٢
 ج ٢ الأمل - ١٣٦ و ١٣٧ ج ٢٠ الأغاني
 (٣) ١٢١ و ١٢٢ ج ١٢ الأغاني
 (٤) ٦١ المؤلف - ٨٦ و ٣٥٠ ج ٢ الحماسة - ١٣٥ و ٢٤٤ ج ١ الحماسة
 (٥) ٥٨ مؤتلف
 (٦) ٥٩ مؤتلف - شرح نهج البلاغة ج ٣
 (٧) ٧١ ج ٧ الأغاني - ١٠٦ ج ١٧ الأغاني - ٦٤ المؤلف - العمدة ج ١ -
 ابن الأثير ج ١
 (٨) ٦٦ مؤتلف - ٥١٠ و ٥١٥ ج ٣ الخزانة - ٣٧٠ ج ٣ العيني - ١٤٩
 و ٢٥ ج ١ الحماسة
 (٩) ١٤٩ ج ٩ الأغاني - ٦٦ و ١٦٣ المؤلف - المفضليات - الشعراء والشعراء
 لابن قتيبة - طبقات الشعراء لابن سلام
 (١٠) ٢٦٢ ج ٢ الخزانة - ٣٧ ج ٣ الخزانة (جديد) - ٣١٦ ج ٤ الخزانة -
 ٢٩٧ ج ٣ الخزانة - ٣٣٦ ج ٤ الخزانة - ٤٧ ج ١ الحماسة - ٨٦ و ٥٩ المؤلف =

- بلعاء بن قيس الكناني (١)
 أبي بن حمام العبسي (٢)
 أدهم بن أبي الزعراء الطائي (٣)
 أسد بن ناعصة التنوخي ، وهو نصراني قديم (٤)
 أميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف (٥)
 أنيف بن زبان الطائي (٦)
 ثأبط شرا (٧) ، واسمه ثابت بن جابر
 توبة بن مضر س التيمي (٨)
 ثعلبة بن صعير المازني (٩)

- == المفضليات - الجهرة - مختارات ابن الشجري - ١٥٧ ج ٩ الأغاني - ١٣٧ ج ١٣
 و ٨٣ ج ١٥ و ٩٤ ج ١٦ و ٧٦ ج ١٩ الأغاني - ٦٠ و ٢٢٢ المرزباني (معجم
 الشعراء) - الشعر والشعراء - ٣٦٧ ج ٣ العقد - ٢٨٨ ج ٢ الحماسة - ٦١ و ٢٥٥
 ج ١ الامالي - ٣٤ و ٢١٣ و ٢٣٣ و ٣١٢ ج ٢ الامالي (١)
 (١) ١٣٠ ج ١٣ و ٧٧ و ٨٠ ج ١٩ الأغاني - ١٠٦ و ٣٥٧ المؤلف - ٢٠٢
 ج ٢ البيان - ١٣ و ١٨٩ ج ١ الحماسة و ٢٨٨ ج ٢ الحماسة (٢)
 (٢) ٩١ مؤلف - ١٦٦ حماسة البحري - ٥٦١ ج ١ (٣)
 (٣) ٣١ المؤلف
 (٤) ١٩٤ و ٢٠٩ المرزباني
 (٥) ٨٢ ج ١٩ الأغاني
 (٦) ٤٧ ج ١ الحماسة
 (٧) ٨١ ج ٤ أمالي المرتضى - ٢٩ نقد الشعر - ١٥٨ ج ٣ المرتضى - العقد -
 ٢٠٨ إلى ٢١٨ ج ١٨ الأغاني - ١٤٠ ج ١ و ١٣٩ ج ٢ الامالي - ٦٢ الشعر
 والشعراء - ٣٥٧ و ٥٤٢ ج ٣ الخزانة
 (٨) ٦٨ المؤلف - ٢٨ ج ٢ الامالي
 (٩) المفضليات - ١٤٧ ج ٢ الامالي - ١٠٧ المؤلف - ٢٠٨ ج ١ الاصابة

- جابر بن حريش الطائي (١)
 جابر بن حنى التغلبي (٢) صاحب امرىء القيس (٢)
 جارية ابن مر (أبو حنبل الطائي) (٣)
 جحدر بن ضبيعة (٤)
 جذع بن سنان الغساني (٥) شاعر قديم
 جساس بن مرة (٦)
 جميلة بنت مرة أخت جساس (٧)
 الجميح الأسدي (منقذ بن الطماح) (٨)
 جؤية بن النضر الجرمي (٩)

البراض بن قيس الكناني (١٠)
 ثواب بن النار اليشكري (١١)

(١) ٢٣٢ ج ١ الحماسة

(٢) ٢٠٧ المرزباني - ١٩١ شرح شراهد المغني للسيوطي (١)

(٣) ٩٩ مؤلف - ١٠٧ ج ١ الحماسة

(٤) ١٩٥ ج ١ الحماسة و ١٤٢ - ١٤٧ ج ٤ الاغانى (٢)

(٥) ٧ ج ٣ الخزانة

(٦) ١٣٩ - ١٥٠ ج ٤ الاغانى

(٧) ٤٨٩ معجم الشعراء - ١٤٠ و ١٤٩ ج ٤ الاغانى (٥)

(٨) ٢٩٦ ج ٤ الخزانة - المفضليات - ٩ ج ١ الامالى - ٢٦٣ ج ٢ الامالى -

٤٠٣ معجم الشعراء (٧)

(٩) ١٨٠ ج ٣ الاغانى - ٣٤٤ ج ٢ الحماسة - معاهد التنقيص

(١٠) ١٠ و ١٥ و ٨٠ و ٧٥ ج ١٩ الاغانى - ٢٩٥ ج ٦ معجم البلدان - تاريخ

ابن الاثير ج ١

(١١) ٧٠ مؤلف

حاتم الطائي^(١)

حاجز بن عوف الأزدي^(٢)

الحادرة أو الحويدرة الذيباني (قطن بن أوس)^(٣)

الحارث بن حلزة الإشكري^(٤)

الحارث بن زهير بن جذيمة العبسي^(٥)

الحارث بن ظالم المري^(٦)

- (١) ٢٥ مؤتلف - ٢٨٦ و ٣٠٩ و ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٧٤ ج ٢ الحماسة - ٨٤ ج ٢
 و ٤٧ ج ٥ و ٨٠ ج ٦ و ١٢٦ و ١٤٥ و ١٤٦ ج ٧ و ١٢١ و ١٠ ج ٢٧ و ١١ ج ١٥٩
 ج ١٢ و ٢٠ و ٤٦ و ٩٢ إلى ١٠٩ و ١٢١ ج ١٦ و ١٢٨ و ١٥٩ ج ١٩ الاغانى
 - ١٣٧٠ ج ١ العيني - ١٤٩ ج ٤ و ١٦٣ ج ٢ الخزانة - ١٤٦ ج ١ العقد - ٢٧٧
 ج ١ و ٦٤ و ٢٢ و ١١ و ١٥٤ ج ٣ و ١٧١ ج ٢ الامالى - ٣٩٤ ج ١ الخزانة - ٧٥
 شرح شواهد المغنى - ٣٣٣ ج ١ معجم البلدان - ٢٣٨ ج ٦ و ٣٢٦ و ٣٥٠ ج ٧
 المرجع - ٢٧ ج ١ و ١٧٥ ج ٣ البيان - الشعر والشعراء - بلوغ الارب -
 العرب وأطوارهم لعبد الجواد الاصمعي
 (٢) ٧٧ ج ٢ و ٤٧ إلى ٥١ ج ١٢ و ٢١٨ ج ١٨ الاغانى
 (٣) ٧٩ - ٨١ ج ٣ الاغانى و ٨٢ نقد الشعر - ٢٦١ ج ٧ معجم البلدان -
 ١٨١ ج ١ البيان

- (٤) ٧٧ و ٢٣٣ الموشح - ١٧٤ ج ١ و ٧٧ ج ١ العقد - ٩٠ و ٢٠٣ و ٣٠٢
 المؤتلف - الشعر والشعراء - ١٥٣ ج ٥ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٧١ إلى ١٧٤ ج ٩
 الاغانى - ١٢٢ و ١٦٢ و ٣٧٩ ج ٣ الخزانة (جديد) - ١٤٩ و ١٥١ و ٢٢٨
 و ٢٩٥ ج ٢ و ٢٩٥ ج ١ و ١٣٦ ج ٤ الخزانة - ٢٩٤ ج ٢ الحماسة - ٣٦٧ ج ٣
 العقد - ١٦٧ ج ١١ الاغانى - ٦٩ ج ٤ شرح الكامل - المفضليات - ٤٥ و ٨٩
 ج ٢ و ٣ و ١٧٤ ج ٣ البيان - وطبع ديوانه في بيروت عام ١٩٢٢
 (٥) ٨ - ١٥ ج ١ و ٣١ و ٣٤ ج ١٦ الاغانى - ١٥٠ ج ٢ الاصابه
 (٦) ١٨٥ ج ٣ الخزانة - ٥٢ و ٥٣ ج ٣ العقد - ٩٩ ج ١٩ و ٢٢ ج ٢٠
 الاغانى - بلوغ الارب - ٢٥٩ ج ٥ شرح الكامل - ١٤٣ و ٣١٩ ج ١ الحماسة

الحارث بن عباد البكري (١)

الحارث بن همام الشيباني (٢)

الحارث بن ويلة الجرمي (٣)

حبشية بنت عبد العزى الثعلبية الذبيانية (٤)

حجر بن خالد البكري (٥)

حجل بن نضلة الباهلي (٦) — صاحب البيت « جاء شقيق عارضاً ربحه »

حرملة بن حكيم الغساني (٧)

الحصين بن الحمام المري (٨)

(١) ١٤٢ - ١٤٩ ج ٤ الاغانى . ٢١٩ ج ٥ المكمل . ١٠٤ . الموشح - ١٤٢

و ٤٢٥ ج ١ الخزانة (جديد) و ٢٢٦ ج ١ الخزانة

(٢) ٢٠٨ مرزبانى - ٣٨ ج ١ الحماسة و ٩١ إلى ٩٣ ج ٥ الاغانى و ٢٨

ج ١٦ الاغانى

(٣) ١٩٦ و ٢٤٣ المؤلف . ٧٩ و ٨٠ ج ٣ المقدم . ١٣٩ إلى ١٤١ ج ١٦ و

٧١ إلى ٧٦ ج ١٥ و ١٣٢ ج ٢٠ الاغانى و ٢٦٤ شرح شواهد المغنى - ٢٢٦ ج ١

و ١٢٤ ج ٢ الامالى . ١٠ ج ٨ طبرى . ١٧٥ ج ٥ الكامل - ٣١٦ ج ١ معجم البلدان

و ٣٩٢ و ٤٤٤ ج ٢ المرجع و ٢١٣ ج ٣ المرجع و ٩٣ و ٣٦٢ ج ٦ المرجع

المفضليات

(٤) ٩٦ المؤلف - ٣٠ ج ١٦ الاغانى و ٢٩١ ج ٢ الحماسة

(٥) ١٣١ و ١٩٧ و ١٩٩ ج ١ الحماسة و ٢٩٤ ج ٢ الحماسة

(٦) ١ ج ١ معاهد التنصيص . ١٣٨ ج ٤ الاغانى و ٢٢١ ج ٣ الاصابة و ٨٢

مؤتلف و ١٥٨ ج ٢ الخزانة و ١٩٢ ج ٣

(٧) ١٢٧ المؤلف و ٢٣٠ ج ٤ الخزانة

(٨) ١٨ ج ٢ الاصابة و ٨٧ و ٩١ و ٤٧٢ مرزبانى . ١٢٢ ج ١٠ الاغانى و ١٨٧

ج ١١ و ٨٧ - ٨٩ ج ١١ و ١١٨ - ١٢٤ ج ١٢ الاغانى و ١٤٣ و ١٤٥ ج ١ الحماسة

٢٩٠ و ٢٩٤ و ٢٩٦ و ٢٩٨ ج ١ خزانة (جديد) - ٣٥٤ ج ٣ الخزانة و ٢٩٩ ج ١

معجم البلدان و ١٩ ج ٣ و ٥٢ ج ٤ و ٢٦٧ ج ٥ معجم و ٦٠ ج ١ الحماسة

- حضير الكتائب الأشهبى (ابن سماك) (١) ، وابنه أسيد بن حضير من
 جلة الصحابة وتوفى عام ٢٠ هـ ، وكذلك هند بنت حضير
 حطائط بن يعفر النهشلى أخو الأسود بن يعفر (أعشى بنى تميم) ، وهو
 القائل : أرى جوادا مات هزلا لعلى أرى ماترين أو بخيلا مخلدا (٢)
 حنظلة بن أبى عفراء - نصرانى (٣)
 خارجة بن سعد بن جديلة الطائى (٤)
 خارج بن جعفر بن كلاب (٥)
 خدأش بن زهير العامرى (٦)
 خراشة بن عمر العبسى (٧)
 ذو الخرق الطهوى (خليفة بن حمل) (٨)
 خرنق بنت هفان القيسية (٩)
 الخنساء بنت أبى سلى أخت زهير (١٠)

-
- (١) ١٥٦ و ١٥٩ ج ١٥ الأغاني - بلوغ الأرب - ج ١ ابن الأثير
 (٢) ١٣٣ ج ١١ الأغاني - ٣٤٢ ج ١١ الحماسة
 (٣) ٩٨ ج ٩ الأغاني - ٧٨ و ٨٨ ج ١٩ الأغاني
 (٤) ٦١ مؤتلف - ١٣٥ و ٢٤٤ ج ٢ الحماسة
 (٥) الأغاني - ١٥٢ ج ١ المرتضى - ٤٩ ج ٣ العقد
 (٦) الأغاني - الجهرة - الشعر والشعراء - ١٦٨ ج ٢ الامالى - ٧٣ و ١٠٧
 المؤلف - ٢٥٢ و ٢٥٥ ج ٣ البيان - ٥٠٤ ج ٢ الخزانة - ٥٧ و ٨٨ و ٨٩ ج ٣
 العقد - ١٠ ج ١ الحيوان - ٥٧ ج ٤ خزانة جديد - ١٤٨ ج ٢ الاصابة - ١٠٢
 و ٢٦٣ و ٤٥٧ ج ٣ و ٢٩٥ ج ٥ و ١٩٠ ج ٧ و ٣٧٩ ج ٨ معجم البلدان
 (٧) ٥٧ ج ٣ العقد - ١٧٧ ج ٣ معجم البلدان
 (٨) ٢٠ ج ١ و ٥٠ ج ١ خزانة - ١٠٩ و ١١٩ و ١٢١ ج ٢ الامالى
 (٩) ٣٠٦ ج ٢ الخزانة - ٦٠٢ ج ١ المعنى - ١٦٠ ج ٢ الامالى و ١٤٦ ج ١
 المرتضى و ١٥٨ ج ٦ كامل و ١٤١ ج ٧ معجم البلدان . و طبع ديوانها بيروت سنة
 ١٨٩٩ (١٠) ١١٠ مؤتلف و ١٥٠ ج ٩ الأغاني

- خزيمة بن نهد من قضاة شاعر قديم (١)
 ربيعة بن مقروم من ضبة (٢)
 سويد بن أبي كاهل الشكري (٣)
 عدى بن زيد العبدي (٤) من أصحاب المجمرات
 • • نوفل من قریش (٥) شاعر مقل
 عمرو بن براق شاعر قديم (٦)
 • • قبيصة (٧) من ربيعة
 لقيط بن معمر الأيادي شاعر جاهلي قديم (٨)
 الممزق العبدي (٩) م ٤٨٠ م وهو شاعر قديم
 الز بن تولب من أصحاب المجمرات (١٠)

- (١) ١٥٩ ج ١١ الاغانى
 (٢) ٩٠ ج ١٩ الاغانى والشعر والشعراء ٥٦٦ ج ٣ الخزائن
 (٣) ١٧١ ج ١١ الاغانى. الشعر والشعراء
 (٤) ١٨ ج ٢ الاغانى والشعر والشعراء والجمهرة
 (٥) ١٣٥ ج ٣ الاغانى
 (٦) ١٣٠ ج ٢١ الاغانى
 (٧) ١٦٣ ج ١٦ الاغانى و ٢٤٩ ج ٢ الخزائن ، الشعر والشعراء
 (٨) ٢٦ ج ١٥ الاغانى ، ٢٠٠ ج ١ الخزائن
 (٩) الشعر والشعراء
 (١٠) ١٥٧ ج ١٩ الاغانى ، الشعر والشعراء ، الجمهرة

شعراء الحماسة الجاهليون

- الفند الزماني : جاهلي ، شهد حرب البسوس
 بلعاء بن قيس الكنانى : جاهلي شهد الفجار الثانى
 تأبط شرا : جاهلي - وكان أبو كبير الهذلى الصحابى زوج أم تأبط شرا
 السموأل - جاهلي
 علقمة بن شيدان
 سلمة بن ذهل
 معدان السكندى
 سيار بن قصير : جاهلي
 رويشد الطائى
 أنيف بن زبان
 قيس بن الخطيم : جاهلي أدرك النبى
 الحارث بن همام الشيبانى
 عامر بن الطفيل ، وفد على رسول الله
 الحارث بن هشام توفى سنة ١٥ هـ ، وهو أخو الجاهل ، وفى غزوة بدر
 الغرار السلى مخضرم
 الشداخ الكنانى : جاهلي قديم
 الحصين بن الحمام المرى
 قيس بن زهير العبسى
 الحارث بن ولة الجرمى
 إياس بن قبيصة الطائى
 عمرو بن معدى كرب
 كبشة أخت عمرو بن معدى كرب

سبرة بن عمرو الفقعسي	أبي بن سلمي
عمرو بن مسعود	بغثر الأسدي
طفيل الغنوي	الأخنس بن شهاب
حيان بن ربيعة الطائي	قتادة الحنفي
أبو حنبل الطائي	عمرو بن شقيق
يزيد بن حمار	أم السليك بن السليكة
جساس بن نشبة	قسامة
هلال بن رزين	المسبحاح
حجر بن خالد	لييد
البرج بن مسهر : جاهلي قديم	أم قيس
طرفة الخزيمي	عصام الزماني
عنتره	حاتم
عبد الشارق الجهنى	حجبة
عمرو بن كلثوم	جران العود
الربيع بن زياد العبسي	نضر بن قيس
سعد بن مالك (جد طرفة)	قراذ
شماس الطهوي	عارق الطائي
المنخل اليشكري	العريان
الفضل بن الأخضر	عمرو بن الأطنابة
جابر بن حريش	حطائط
الوقاد بن المنذر	حكيم الضبي
حسيل الضي	رشيد بن رميض
عامر بن شقيق	المثلث بن رياح
باعث اليشكري	أبي العبسي

حفص الكنانى

مهمل

مسافع

أبو صعتر

مية الضبية

صخر أخو الخنساء

عمرو بن فيئة

مالك بن حريم

مضر بن ربيع

ورد الجعدى

ابن عجلان النهدي

طرفة

يزيد الطائي

جثامة

المثلث المرى

شريح

عروة بن الورد

بشر بن أبى العباس

المثلث التنوخى

الشنفرى

جحدر بن ضبعة

حجر بن خالد

الأخرم السنبسى

سنان بن الفحل

زيد الفوارس

شمعة بن الأخضر

محرز الضبي

أبو ثمامة الضبي

سليم بن ربيعة

المتلمس خال طرفة

مجمع بن هلال

عبد القيس البرجمي

النابعة الذبياني

شيرة بن عمرو بن الفضل بن حفص
أي بن سلى بن عمار بن قومه
الشعراء المتأهلون

طفيل الغنوي
والفسه
وهم كما يأتي :
قادة الحنفى
بن فغشلا

قس بن ساعدة الأيادي - زيد بن عمرو بن نفيل - رباب بن
رباب - سويد بن عامر المصطلقى - أسعد بن كارب الحميري -
عدى بن زيد - وكيع بن سلمة الأيادي - عمير بن جندب الجهني -
ورقاء بن نوفل - أبو قيس صرمه بن أبي أنس - عامر بن الظرب
العدواني - عبد الطابحة بن ثعلب - علاف بن شهاب التميمي .

طرفة الخزيمى
عنترة
عبد الشارق الجهني
عصام الزمانى
حاتم
حجبة

عمرو بن كلثوم
الربيع بن زياد العبسى
سعد بن مالك (جدرط لما لمنا
جران العوقلة رالف رسلنا
نضر بن قيس راكمه ر رومج
قراد
عارق العطارى

شهاب الطهوى
المنخل البشكرى
الفضل بن الأخضر
جابر بن حريش
الوقاد بن المنذر
حصيل الضى
عامر بن شقيق
باعتب البشكرى

المريان
عمرو بن الأظنابة
حطاط
حكيم الضى
رشيد بن رميض
المثلج بن رباح
أي العبسى

أي العبسى

الشعر الجاهلي بين الرجز والقصيد (*)

١ — علمت أن الجاهليين سبقوا فقالوا النثر في جمل صغيرة ، كما نرى في الأمثال العربية ؛ ثم صاروا يوازنون كل جملة من النثر بالآخرى حتى توصلوا رويدا رويدا إلى نظم البيت أو البيتين . وكان الشاعر في تلك الايات يعبر عن الاحساسات التي كان يشعر بها كالحب والغضب والحماسة وغير ذلك وكانوا يستعملون في ذلك الشعر بحر الرجز لسهولة وخفته ، ويسمون القطعة منها أرجوزة والجمع أراجيز ؛ وبعد ذلك صاروا يرتجلون منه أكثر من بيتين ، ويعبرون بها عن احساساتهم النفسية ويصفون الوقائع الحربية والخيال والإبل والصحراء وغير ذلك مما يقع تحت نظرهم ، وصاروا يستعملون عدا الرجز أوزاناً أخرى منها الطويل والكامل والوافر وغيرها من البحور ويصف الأغلب العجلى ^(١) الذي عاش قبل الرسول في أراجيزه محبوبته ويذكر آثار حبها ويتأسف على ما مضى من شبابه . ونرى في آخر الجيل الخامس أشعاراً في أرق نظم وأدق لفظ وأوسع معنى وأبدع صورة تدعى قصائد والواحدة قصيدة ، ويقال كما علمت ان أول من قال قصيدة هو المهلهل ابن ربيعة من بني تغلب قاتلها في قتل أخيه ، وذهبوا إلى أن الفرق بين الأشعار المرتجلة والقصائد هو أن الشعر المرتجل يعبر الشاعر فيه عن احساساته النفسانية حالما ينفع من شيء ويقول الشعر بدون تحضير وأكثر ما يكون

* زيادة على المنهج وقد سبق الكلام على الرجز في العصر الجاهلي في ص ١٩٧

(١) والعجاج أول من أطلال الرجز وكان الشاعر قبل ذلك يقول البيتين والثلاثة ، فهو في الرجز كما مرى القيس في الشعراء ، وهذا قول أبي عبيدة ، وقال غيره : أول من طول شعر الرجز الاغلب وهو قديم وزعم آخرون أنه أول من رجز وكان على عهد رسول الله (ص ٣٠١ المزهج ٢)

الشعر المرتجل من بحر الرجز ولا تتجاوز القطعة منه العشرة الايات وقيل بل السبعة ، والقصائد ترد من جميع الابحر ولا تسمى قصيدة الا اذا زادت عن السبعة الايات وكان نظمها مقصودا وقلها يقال مرتجلة بل ان أكثر الشعراء كانوا ينقحونها قبل انشادها

وكانت القصائد تبتدىء بالغزل ويلم الشاعر فيها بأغراض كثيرة ، قال ابن قتيبة :

وسمعت بعض أهل العلم يقول إن مقصد القصائد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار ، فشكا وبكى ، وخاطب الربع واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الطاعنين عنها ، إذ كان نازلة العمدة في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر ، لا تتجاعهم الكلاء ، وانتقالهم من ماء إلى ماء ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ، ثم وصل لك بالنسيب فشكا شدة الشوق وألم الوجد والفراق وفرط الصبابة ليميل تحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه ، ويستدعى به إصغاء الأسماع إليه ، لأن النسيب قريب من النفوس ، لا تظ بالقلوب ، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء ، فليس يكاد يخلو أحد من أن يكون متعلقا منه بسبب ، وضاربا فيه بسهم . فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه ، والاستماع له عقب بإيجاب الحقوق ، فرحل في شعره ، وشكا التعب والسهر وسرى الليل وإنضاء الراحة والبعير ، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وزمام التأمل ، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير ، بدأ في المديح ، فبعثه على المكافآت ، وهزه على السماح . . فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه الأقسام (١) .

وهكذا يفهم النقاد القدامى النهج الفني للقصيدة أو وحدة القصيدة عند الشعراء الجاهليين

والقصائد الجاهلية كثيرة بكثرة الشعراء أنفسهم ، ويعد الباحثون أكثر من مائتي شاعر عاشوا في الجاهلية عدا من ضاع ذكرهم ونسيت أشعارهم ، ولكن لم يصل إلينا من أشعار هؤلاء إلا القليل ، لأن جمع الشعر الجاهلي وتدوينه لم يبدأ إلا بعد سنة ١٥٠ هـ ، وأول مجموعة من مجموعات الشعر الجاهلي وصلت إلينا هي المفضليات .

ومن غير شك أن النهج الذي ذكره ابن قتيبة هو نهج أغلب القصائد الجاهلية ، وقبلنا تجد قصيدة في موضوع واحد ، وبما شذ عن ذلك قصيدة تأبط شرا :

إن بالشعب الذي دون سلع لقتيلا دمه ما يطل (١)
وبعض قصائد أخرى قليلة نادرة .

٣ — ومن الشعراء الذين جمعوا بين الرجز والقصيد : امرؤ القيس ، وطرفة ، ولييد ، أما زهير والنابعة والأعشى فليس لهم من الرجز شيء (٢)
ويقول الأغلب الراجز :

أرجزا سألت أم قصيدا لقد سألت هينا موجودا

(١) ويسمى بعضهم « نشيد الانتقام » ونقلنا إلى الألمانية جوته الشاعر ونقلنا إلى الفرنسية والانجليزية والإيطالية مرارا

(٢) ٢٥٩ ج ٣ البيان والتبيين

الشعر الجاهلي

في موازين النقد

— ١ —

وقد قامت معارك أدبية كثيرة بين خصوم وأنصار الشعر الجاهلي
تتكشف لنا عن جوانب الحق ، ومناحي الجمال في الشعر الجاهلي . ولذلك
رأيت أن أشير إليها هنا في إيجاز .

— ٢ —

ينقد كثير من النقاد الشعر الجاهلي ويعيبه ، لأنه « مضطرب الفكرة
مفكك المعاني ، ليست معانيه متصلة بعضها ببعض .

وهذا نقد غريب ، فليس كل الشعر الجاهلي مضطرب الفكرة مفكك
المعاني . وليس ما فيه من تناثر الأغراض الشعرية اضطرابا في الفكرة
وتفكيكا للمعاني ، إنما هي مظاهر الصحراء وألوان الحياة والشعور وضعها
الشاعر الجاهلي وصورها في قصائده .

ثم فيم الفرق إذا بين الأسلوب الفني والأسلوب العلمي . وحقائق المنطق ،
إن الشعر فن قبل أن يكون فلسفة ، وقديما حاول كثيرون إخضاع الشعر
للمنطق والفلسفة فأبى الشعر ، وأنف أن يقيد بقيود ثقيلة بعد أن عاش
حرا طليقا يخلق هو وسواه من ألوان القنون في أجواء الحرية والجمال .
ويقول الباحثون :

كفتمونا حدود منطقكم في الشعر ، يغني عن صدقه كذبه

ويقول جميل صدقي الزهاوي (١) :

« ... »

* زيادة عن المنهج الدراسي المقرر في المدارس الثانوية

(١) من مقال له نشر بالسياسة الأسبوعية ١٩٢٧ في ليبيا ٦ ٥٥٢ (٢)

وهناك شيء يستجبه الذين تشبعت ادمغتهم بالادب الغربى هو وجوب أن تكون القصيدة الواحدة خاصة بفكرة واحدة أو وصفاً لشيء واحد من غير خروج الى غير الموضوع ولو كان فى فصل منعزل عن الاول . وهذا ليس من الشعر فى أصله بل هو تابع للأذواق ولطريقة الشاعر فى شعره ولا ينوع الشاعر المبرز فى العربية الموضوع فى كل قصيدة فكثيراً ما يحصر شعره فى القصيدة الواحدة فى موضوع واحد وإذا نوع الموضوع فهو يتسلسل إلى الثانى بمناسبة وبعد فصله عن الاول مرئداً بذلك أن تكون قصيدته كالروضة الغناء محتوية على مختلف الأزهار .

وهذا أقرب الى الطبيعة وليس فيه ما يؤخذ عليه غير كونه ينافى ما يفعله شعراء الغرب . ولكل أمه سياق ونزعة ليست لاختها . واعتقد أن الكتاب الذين يزرون بشعر شعرائنا على الإطلاق لو اتبع لهم أن يكونوا شعراء لما خرجوا كثيراً عن النهج الذى يمشى عليه المبرزون من هؤلاء . والسبب هو ما قدمته من اختلاف ألوان الشعور عندنا عن ألوانه عند الغربيين من جهة وقيد القافية واعرابها عندنا وفقدانه عندهم من جهة أخرى .

وقد هم كثيرون من الشعراء المضطلعين من العلوم العصرية بتقليد الغرب فى شعره فلم يكن ما أتوا به غربياً ولا شرقياً ولم يوفقوا إلا فى ألوان من الشعور هى مشتركة بين الأمم جميعها

افرض أن العربية تتسع لألوان الشعور الغربى ولكن هل يوجد فى أذواق أكثرية القراء هذا المتسع . الشاعر لا يغنى لنفسه وحدها وإنما كل مكافأته أن يصعب شعبه الى الحان قيثارته . ومهما تورد الشاعر الكبير على الأساليب والتصورات فى أمته فهو لا يستطيع أن يطفّر مرة واحدة الى تصورات وأساليب تخالف ما ألفه شعبه فيقطع الوشائج القوية التى تربط الحال بالماضى

والحق أن كثيرا من الشعراء مع ما لهم من الاطلاع الواسع على آداب الغرب وعلومه مضطرون الى التطور داخل تطور اللغة وتطور أبنائها اللغة ، وقد يسبقونهم إلا أنهم لا يبعدون عنهم كل البعد وهذا التطور اليوم ليس بمفقود تماما : ولا يصح أن يحشر الشعراء جميعا في صعيد واحد ، كما لا يجوز الحكم على جميع الكتاب بالخطل لان الاكثريه منهم تركب الشطط في كتابتها ،

وفي الحق إن وحدة القصيدة ليست هي كل شيء في الشعر ، وأن الشعر الجاهلي صورة لحياة الصحراء وتفكيرها ونظرها إلى الأشياء وحكمها عليها ، والقصيدة في الشعر الجاهلي تربطها وحدة عامة ومنهج محدود من افتتاحها بالغزل ثم وصف مناظر الصحراء التي شاهدها الشاعر في طريقه ثم الامام بالغرض المقصود من القصيدة . وأعتقد أن أنفة الشاعر الجاهلي دعتة إلى أن يموه المدح بكثير من تصوير عواطفه ومناظر بيئته حتى لا يظهر خضوع نفسه لمطالب الحياة وحاجات العيش . وكل قصيدة من مشهورات القصائد الجاهلية تربطها وحدة عامة . وإن كان ميزان المنطق لا يتحكم في هذه الوحدة التي جاءت أثرا للبيئة وحياة الشاعر . ويقول نويد بك المستشرق الهولندي : « وفي أحوال كثيرة يحتفظ الشاعر الجاهلي بوحدة الفكرة في قصيدته بأن يجعل كلا من أقسامها خاصا بوصف مناظر وحوادث من حياة الشاعر نفسه أو الحياة العامة التي يحياها البدو في الصحراء »

— ٣ —

ويقول العقاد في نقد الشعر الجاهلي (١) :

« ليس الذي نرويه من قصائد الجاهليين بالنموذج الذي يقتدى به في النظم لأنه في الغالب أبيات مبعة تجمعها قافية واحدة ، يخرج فيها الشاعر من المعنى ثم يعود إليه ثم يخرج منه على غير وتيرة معروفة ولا ترتيب مقبول . وفي تلك القصائد — غير التفكك وضعف الصياغة — كثير من العيوب العروضية

والتكرير الساذج والاقتسار المكروه (١) والتجوز المعيب الذي يؤخذ من روايته أن الشعر لم يكن فنا استقل به صناعه الخبيرون به ، وإنما كان ضربا من الكلام يقوله كل قائل ، ويروى المحكم منه وغير المحكم على السواء ،

فإنه يذهب :

أولا : إلى أن في الشعر الجاهلي كثير من العيوب العروضية والتكرير الساذج المكروه والتجوز المعيب

وثانيا : إلى أن هذا الشعر بادي التفكك مهمل الصياغة لم تنظمه روح شاعرة قوية تعرف كيف ترتب المعاني وتوائم بينها ويدعى أخيرا أنه لم يكن فنا راقيا له رجاله ، بل نظمه الشاعر والشعور ،

وقاله كل قائل

وهو لهذا كله - في نظر الناقد - غير جدير بأن تتخذه مثلا نهج على نهجه

وعجيب جدا هذا الفهم والحكم والنقد ، فإن الشعر إنما هو نتاج العبقرية العربية الأولى ، التي أثلت مواهبها المجد والذكر للجزيرة العربية ، ولأبنائها من الشعراء الموهوبين

وهو التراث العتيق الذي أخذ من فم الرواة وبطون الأسفار فردده الخلف كما رده السلف ، وأحاطوه بالرعاية والتقدير ولا يزال منذ أجيال بعيدة مشرع الثقافة العربية الذي يردده كل صادم إلى فهم كتاب الله ، أو راغب في الأخذ من البلاغة العربية بنصيب

وهو على مظهره البدوي البريء من سمة التكلف والحضارة ، جميل الحاشية ، مشبوب الخيال ، أسر الأسلوب ، جزل اللفظ على غرابة فيه ، يخاطب العاطفة والوجدان قبل أن يخاطب الفكر والعقل ، وإن كانت تلك ميزة الفنون الجميلة ، في جميع عصورها ، وعلى شتى مذاهبها ، ومعانيه مطبوعة

بطابع السذاجة فهي قريبة المأخذ ، بسيطة الفكرة وثيقة الاتصال بالحياة العربية والجاهلية ، لانكاد نرى فيها غلوا أو تعقيدا ، ولا تمثل ثقافة واسعة أو فلسفة بعيدة فهو على كل حال صورة للعقلية العربية ، ولهذا الشاعر العربية التي فاض ينبوعها على لسان الشعراء الملمهمين الشادين لجمال الصحراء المطبوع ، والمترجمين عن أسرار العواطف وخليجات الوجدان وخطرات القلوب .

وان تعجب فعجب للحياة الحاضرة التي جمحت فضل الشعر الجاهلي ، وأعلنت الثورة عليه كما أعلنتها على كل قديم وان كان نافعا ؛ كما رأيت من تجنى هذا الناقد على الشعر الجاهلي هذا التجنى الغريب .

ولقد رددنا على الذين يعيبون الشعر الجاهلي ويرمون بالتفكك والاضطراب ، كالعقاد وغير العقاد فلا داعي إلى تكرار القول فيه .

وأما أن الشعر الجاهلي كثير العيوب العروضية ، فلا أدري ما هو دليل الناقد عليه ؟ أهو قصيدة عبيد أم بعض هذا الشواهد المروية لعيوب الشعر من الاكفاء والايطاء والتضمين والسناد الخ ؟ وأين تكون هذه كلها في الشعر الجاهلي ؟ ثم ما هذا التكرار الساذج ؟ أهو مثل قول مالك بن الريب :

لقد كان في أهل الغضا لودنا الغضا مزار ، ولكن الغضا ليس دانيا
أوفى مثل قول الخطيئة :

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأى والبعد
أوفى قول النابغة :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا نحيون من نوى وأحجار
اقوى وأقفر من نعم وغيره هوج الرياح بها بي الترب موار
وقفت فيها سراة اليوم أسألها عن آل نعم أمونا عبر أسفار
وقد أرائني ونعما لاهيين بها والدار لو كلمتنا ذات أخبار

أيام تخبرني نعم وأخبرها ما أكنتم الناس من حاجي وأسراري
رأين هو هذا الاقتسار المزعوم . ثم هل ما في الشعر الجاهلي من مجازات
وكنايات وتشبيهات وأخيلة - رغم قلتها وقربها من حقائقها - يدعو إلى
أن نهجر الشعر الجاهلي ونظره ظهر يا .

وأما ان الشعر الجاهلي لم يكن فناً^(١) يستقل به الخبIRON به ، فهذا خطأ
بعيد . وهل ننسى رجال المعلقات ، والناخبة وحكومتهم بين الشعراء في سوق
سوق عكاظ ، وهؤلاء الشعراء الذين خلد ذكرهم على مر العصور ؟
ولقد كان الناشء في الجاهلية يتلذذ على شاعر مشهور يروي شعره ويأخذ
عنه فنه الأدبي . وكان الشعراء يعرضون قصائدهم على غيرهم من الخبIRين
بفن الشعر وصناعته ، واستمر هذا إلى ما بعد الإسلام . ثم إن هذه المجازات
والأخيلة هي من خصائص البيان العربي وميزاته التي تسكبه روعة وجمالاً .

ان من العقوق للعربية أن نذهب مذهب الأستاذ العقاد من الغلو فيما
رمى به الشعر الجاهلي من التفكك وعدم اتساق الفكرة وارتباطها واتصال
معانيها ، وما أظن أن ذلك وإن كان موجوداً فيه مما يؤخذ عليه الشعر
الجاهلي إلى هذا الحد البعيد ، وفي الفرق إذاً بين الأسلوب الفني الجميل وبين
الأسلوب العلمي وحقائقه المنطقية المرتبة ، إن الشعر فن قبل أن يكون
فلسفة .

(١) وإذا أردنا أن نسكت من أعم العقاد المجدد برأى مجدد مثله هو « طه حسين »
فلا أكثر من أن نسوق إليه قول طه حسين في الأدب الجاهلي : « وأما مضر فكان
لها في الجاهلية شعراء يتخذون الشعر فناً يمثلون به نهضة فنية عقلية في هذا الاقليم
من جزيرة العرب (راجع ١٩٧ وما بعدها من الأدب الجاهلي

وأخيرا فللعقاد رأيه في عدم اتخاذ الشعر الجاهلي مثالا يحتذيه ، ولقد أخذ نفسه بذلك ، فلم يكن له حظ من الخلود في الشعراء . أما نحن فنقول : انه لا داعي لأن يملأ شعراؤنا المعاصرون شعرهم بالفاظ العقنقل والسجنجل والجنجل والخنظل كما فعل امرؤ القيس مثلا ، ولا بالأثمد والبرجد والمسرهـد كما فعل طرفة وليس من المناسب أن نرسم خطاهم في بكاء الأطلال ووصف الدمن وذكر محاسن الخيل وكلاب الصيد فلنا بدلا من ذلك كله - مجال فسيح لقول الشعر في عصر الهكرباء والذرة والآثير والطائرات . أما فيما عدا ذلك من الألفاظ والأغراض فالشعر الجاهلي أروع ما يحتذى في مذاهب النظم وجمال الصياغة وحسن الأداء

— ٤ —

ويشك أنصار الجديد في الأدب الجاهلي (١) بدعوى أن الكثرة المطلقة مما يسمى أدبا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء انما هي منتحلة بعد ظهور الاسلام ، فهي تمثل حياة المسلمين أكثر مما تمثل حياة الجاهلية ، وما بقي من الأدب الجاهلي الصحيح قليل جدا لا يمثل شيئا ولا يدل على شيء . والعصر الجاهلي القريب من الاسلام يمثله القرآن والأساطير (٢) . وعلى هذا فلا يصح الاستشهاد بهذا الشعر المنحول في تفسير القرآن بل يجب العكس (٣) والشعر الذي يضاف إلى الجاهليين يمثل حياة غامضة جافة بعيدة عن الدين ، والقرآن يمثل لنا حياة دينية وعقلية قوية مما كان عليه المستنيرون عليه من العرب ويمثل لنا القرآن الكريم أيضا اتصال العرب بغيرهم من الأمم المجاورة كما يضور حياة العرب الاقتصادية (٤) ، والأدب الجاهلي أيضا عندهم لا يمثل اللغة

(١) ٥٩ - ٦٤ الادب الجاهلي لطف حسين بك

(٢) ٦٤ و ٦٥ المرجع و ٧٠ وما بعدها

(٣) ٦٦٦ المرجع

(٤) راجع ٧٠ - ٨١ من المرجع

الجاهلية لاختلاف اللغة الحميرية عن اللغة العدنانية جد الاختلاف ، والمأثور من شعر الشعراء القحطانيين مروي باللغة العدنانية الفصحى مع أنهم لم يكونوا يتكلمون بها ولم يتخذوها لغة أدبية لهم قبل الإسلام كما حدث بعد الإسلام ، مما يدل على انتقال هذا الشعر وسواه من فنون الأدب على هؤلاء القحطانيين .

فهؤلاء المجددون ينسكرون ما يضاف إلى أهل الجنوب من شعر ونثر قيل بلغة أهل الشمال قبل الإسلام^(١) . كما أن اختلاف اللهجات العدنانية أمر ثابت لا شك فيه ولا نجد أثراً لهذا الاختلاف في الشعر الجاهلي المأثور مما يدل على انتقال هذا الشعر وأنه قد حمل حملاً على هذه القبائل بعد الإسلام . (٢)

ثم يحال الدكتور طه في الأدب الجاهلي أسباب انتقال الشعر كما يزعم ويرى ، فيذكر البواعث السياسية والدينية وأثر القصاص في الانتقال وأثر الشعوبية والرواة فيه (٣) .

ثم يذكر الشعر والشعراء ، ذاهباً إلى أن كثرة ما يضاف إلى الشعراء الجاهليين منحول ، وإلى رفض الشعر المنسوب إلى شعراء من اليمن ، لأن لليمن لغة تخالف لغة قريش ، وهجرة اليمنيين إلى الشمال مشكوك فيها أولاً وليس كل الشعراء هاجروا من اليمن ثانياً ، فالشعر الذي أضيف إلى جرهم وسواهم من الذين عاصروا اسماعيل منحول ، وليس لليمن في الجاهلية شعراء أما ربيعة — من عدنان وكانت تسكن في الشمال — فشعرها في الجاهلية دون شعر المضربين لأنها لم تكن تتكلم لغة قريش . وأما مضر فكان لها

(١) راجع ٨١ - ٩٥ من المرجع

(٢) ٩٦ وما بعدهما من المرجع

(٣) ١٢٢ - ١٨٦ المرجع

شعراء يتخذون الشعر فنا ، فالشعر أصل في مضر دون اليمن أو ربيعة ، فنظرية تنقل الشعر في القبائل غير صحيحة ، فالشعر إنما كان في مضر ، ثم انتقل إلى أقرب القبائل العربية إليها وهم ربيعة ثم إلى القبائل البعيدة كالين ثم إلى الموالي وليس كما يقولون من أنه كان في اليمن ثم انتقل إلى ربيعة ثم إلى قيس من مضر ثم إلى تميم . وشعراء المدينة ليسوا يمنيين بل هم مضر يون ^(١)

ثم درس هذا الناقد الشعراء :

١ - امرأ القيس فعبيد فعلقمة .

ب - ثم عمرو بن قميئة فهلهل فجذيلة .

ج - ثم عمرو بن كلثوم فالخارث بن حلزة .

د - ثم طرفة فالتملس .

هـ - ثم الأعشى .

وذلك على ضوء نظريته في انتقال الشعر ^(٢) . ثم علق على الشعر

المضرى على ضوء هذه النظريات ^(٣) . ووضع مقاييس لتمييز المنحول من

الشعر الجاهلى ^(٤) . ثم درس أوساو زهيرا والخطيئة وكعب بن زهير

والنابغة ^(٥) .

وبذلك ينتهى نقد الدكتور للشعر الجاهلى . وخلاصة آراء الدكتور أو

أهمها فى الشعر الجاهلى هي :

(١) راجع من ١٩٣ - ٢٠٨ من المرجع

(٢) » » ٢٦٦ - ٢٠٩ » »

(٣) » » ٢٦٧ - ٢٨١ » »

(٤) » » ٢٨٢ - ٢٩٥ » »

(٥) » » ٢٩٦ - ٣٤٢ » »

- ١ - أن الشعر الجاهلي أو أكثره منحول بدليل .
- أ - أنه لا يمثل الحياة الجاهلية
- ب - و . و . و اللغة
- ج - و . و . و اللهجات العربية
- ٢ - فلم يكن لليمن شعراء وما يروى من شعر للقطانين فاما هو منحول عليهم
- ٣ - وأكثر شعر الشعراء الذين ينتسبون إلى ربيعة منحول لأنه لا يمثل لهجاتهم التي كانوا يتكلمون بها
- ٤ - وليس صحيحا أن الشعر كان في اليمن ثم انتقل إلى ربيعة ثم إلى قيس من مصر ثم إلى تميم بل إنما كان في مصر ثم امتد إلى ربيعة فاليمن ثم إلى الموالي (١)
- ٥ - وكان للرواة (٢) والقصاص وللعوامل السياسية والدينية وللعصبية أثر في الانتحال
- وقد حدثت ضجة إثر نشر كتاب « الشعر الجاهلي » فنشره الدكتور باسم الأدب الجاهلي بعد أن حذف منه بعض فقرات مما يمس الشعور الاسلامي وألف في نقد هذا الكتاب عدة مؤلفات أهمها :
- أ - الشهاب الراصد للاستاذ محمد لطفي جمعة المحامي وقد طبعه عام ١٩٢٦
- ب - النقد التحليلي للاستاذ الغمراوي
- ج - نقض مطاعن في القرآن الكريم للاستاذ الكبير محمد عرفة
- د - نقض كتاب الأدب الجاهلي للشيخ الخضر حسين
- هـ - نقد الأدب الجاهلي للخضري بك

(١) راجع ٢٠٦ المرجع

(٢) وراجع أصول نظرية طه حسين عن الشعر الجاهلي وروايته في كتاب مقدمة لدراسة بلاغة العرب لطيف (ص ٥٠ - ٦٢)

ولا نجد بدا من التنويه بعناصر الرد على آراء الدكتور في كتابه في إيجاز بالغ فنقول :

أولا أما قصة انتحال الشعر الجاهلي ونفي وجود شعراء يمينيين والذهاب إلى عكس ما يراه الباحثون حول نظرية تنقل الشعر في القبائل فهو لا يعتمد على أكثر من الحدس ، ولا داعي للافاضة في نقده وتحليله (١) فقد سبق الكلام فيه .

ثانيا الشعر الجاهلي يمثل حياة الجاهليين ، ويرسم ألوان معيشتهم ، ويروي عاداتهم ويتحدث عن أديانهم ويصف بيئتهم ولون ثقافتهم . وهل هناك ريب في أن الشعر الجاهلي يصف البيئة الجاهلية وصفا دقيقا : من حيوان ونبات وأرض وجبال ووديان وقرى ومن جو ورياح وأمطار الخ ؟ . وهل هناك شك في أنه سجل لتاريخهم وأخبارهم وأيامهم ، ويقول : نيكلسون في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » : « ان الأدب الجاهلي المنظوم منه والمنثور يمكننا من تصوير حياة تلك الايام الجاهلية تصويرا أقرب ما يكون من الدقة في مظاهره الكبرى ، ويقول ثوريك الألمانية في كتابه عن شعراء الجاهلية : « لا نملك مصادر موثوقة منها لتدوين تاريخ تلك الغازات البدوية سوى القصائد والمقطوعات المحفوظة عن شعراء الجاهلية » وقال أيضا : يمكن تعريف الشعر الجاهلي بأنه وصف مزين بالشواهد لحياة الجاهلية وأفكارها فقد صور العرب أنفسهم في الشعر صورة منطبقة على الحقيقة بدون تزويق ولا تشويه » وقال نولديك المستشرق الهولندي في كتابه عن الشعر العربي القديم : « إن عادات عرب الجاهلية وأحوالهم معلومة لنا بالدقة نقلا عن أشعارهم وفي الشعر الجاهلي ما يفتن القارئ من أوصاف الحياة والعادات في البادية »

ويقول لطفي جمعه في كتاب الشهاب الراصد : « يدل الشعر الجاهلي في

(١) راجع في ذلك ١٥٨ — ٢٧٣ من الشهاب الراصد . وراجع آراء

المستشرقين الذين يؤيدون صحة الشعر الجاهلي في الشهاب الراصد (٢٩٩ - ٣٠٤)

جملة على نفوس ناظميه وحياتهم ، ثم قال : والشعر الجاهلي أشد ما يكون اتصالا بحياة القوم وتاريخهم وأكثر ما يكون تمثيلا ووصفا لبيئتهم بل أنه أصدق مثال لحياة العرب أنفسهم ، فأثر تلك البيئة الطبيعية والمحيط الاجتماعي ظاهر في شعورهم بجانب بلاغتهم النادرة ،

وهل هناك أكثر من الدلالة على الحياة الجاهلية أكثر من الشعر الجاهلي نفسه الذي هو ديوان العرب ومستودع تاريخهم وذاكرة حياتهم وصناعاتهم وعاداتهم .

والشعر الديني الذي يمثل الحياة الدينية عند الجاهليين كثير مبثوث في شتى الكتب ، وقد جمع منه الأستاذ لطفي جمعه الكثير (١) ، والذين يذهبون إلى ما يذهب إليه الدكتور طه حسين من أن الشعر الجاهلي خال من تصوير حياة الجاهليين الدينية كثيرون منهم مرجليوث (٢) .

ويرى جورجى زيدان أن منظومات العرب الجاهليين في الناحية الدينية قد « ضاعت في أثناء الأجيال لعدم تدوينها لاشتغالهم عنها بالحماسة والفخر بسبب الحروب التي كانت بينهم قبل الاسلام ، فلما جاء الاسلام أغضى الرواة عنها لأنها وثنية والاسلام يمحو ما قبله »

ويقول الأستاذ ادوار براونلش في رده على مرجليوث في مجلة الأدبيات الشرقية عام ١٩٢٦ : « لاحظ العلماء أن الشعر الجاهلي قلما دل على شيء من دين العرب قبل الاسلام وقد ذكر بعضهم في سبب ذلك أن علماء المسلمين يرفضون من الشعر ما خالف دين الاسلام ، وهذا مما يشق الانسان بوقوعه وأما أن الشعر الجاهلي لا يدل على اتصال العرب بغيرهم من الأمم

(١) راجع ص ٨٥ - ٩٢ من كتاب الشهاب الراصد

(٢) يقول مرجليوث : قلما نعث في الأشعار الجاهلية على شيء يتعلق بالدين

كما يزعم الدكتور طه حسين فهذا خطأ في الرأي . ألا تسمع لعمر و
ابن كلثوم يقول :
وكأس قد شربت بعلبك ،

أو لامرئ القيس وهو يصف رحلته إلى القسطنطينية حيث يقول :
بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
وهل شعر النابغة لا يمثل اتصاله بملوك الحيرة وغسان أتم تمثيل؟ وعدي
بن زيد واتصاله بديوان كسرى معروف ، ورحلات بني عبد مناف في البلاد
لتأمين طرق التجارة مشهورة ويقول الشاعر الجاهلي :

يأيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبد مناف
الآخذون العهد من آفاقها والراحلون لرحلة الأيلاف
ويقول الأعشى :

قد جبت ما بين بانقيا إلى عدن وطال في العجم تردادي وتسياري
ويقول :

وطوفت للبال آفاقه عمان فحمص فأورشليم
أتيت النجاشي في داره وأرض النبط وأرض العجم
ثالثا الشعر الجاهلي ولهجات العرب (١) :

١ — ويستدل الدكتور طه على انتحال الشعر الجاهلي بأنه لا يمثل اللغة
العربية ولهجاتها (٢) .

(١) راجع ص ١٠٠ - ١٥٩ من الشهاب الرائد في هدم آراء الدكتور طه
في هذا الباب

(٢) وراجع رد الاستاذ لطفي جمعة على رأي الدكتور طه وهو أن الشعر
الجاهلي لا يمثل لهجات القبائل حيث أثبت الاستاذ لطفي عكس هذه النظرية بأدلة
من الشعر الجاهلي الذي يمثل لهجات القبائل المختلفة (١٥٤ - ١٥٧ الشهاب الرائد)

ويظهر لنا من افراده كلمة اللهجات مرة وعطفها على اللغة أخرى أنه أنه لا يفرق بين اللغة واللهجة والفرق بينهما عظيم فاللهجة طريق أداء الكلام إلى السامع ويتمثل ذلك في التفخيم والترقيق والامالة وعدمها مما لا يؤثر في ذات الحرف ولا يقتضى العدول عنه أو عن الكلمة إلى غيرها فالجملة الواحدة تستطيع النطق بها مختلفة الهيئة مع بقاء حروفها وكلماتها في كل صورة من صور النطق كما في تلاوة القرآن بالقراءات المتنوعة التي لم تختلف فيها الكلمات إلا بما قدمنا . وبعد ذكرنا لهذا الفرق نقول ان اختلاف اللهجة لا يؤثر في وزن الشعر ولا في قوافيه فمثلا قفانبك الخ لا يحدث تفخيم الألف في قفا ولا امالتها في ذكرى شيئا في وزنه ، ونحن لا نخالف الدكتور في أن العرب كانوا في الجاهلية مختلفي اللغات واللهجات ولكننا لا نسلم بما استنبطه الدكتور من ذلك وهو أنه كان يجب أن نرى في الشعر اختلافا بين المروى عن القحطانيين والعدنانيين ، ذلك لأننا نؤمن مع ايماننا بهذا الاختلاف أنه كان بتقادم العهد واتصال العرب ورحلة أهل الجنوب إلى الشمال وقيام قریش بالسيادة على العرب قبل ظهور الاسلام والاشتغال بالتجارة بين الجنوب والشمال وقيام عكاظ ، كل ذلك قرب من هذه اللغات واستطاعت قریش أن توجد لها لغة مختارة من شتى لغات العرب وقد ارتضاها الخطباء والشعراء لغة لهم في المحافل العامة لأنها مختارة من شتى لغات القبائل فهي حبيبة لهم مفهومة عندهم وهي لغة قریش ذات السيادة ، أما اتصال القبائل الذي حاول الدكتور أن ينفيه بقوله « وثبت أن العرب كانوا متنابذين ليس بينهم من أسباب المواصلات المادية والمعنوية ما يمكن من توحيد اللغات » ، هذا الاتصال ثابت بالتاريخ فصلة المصاهرة كانت شائعة بين شتى القبائل يصهر القيسى إلى القرشى والربعى والتميمي والعدناني إلى القحطاني ، فزهير بن خزيمة العبسي سيده بن عبس أصهر إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة فقد زوجه ابنته المتجردة ، وكانت صلات الحلف تجمع بين القبائل العربية ، كما كان بين أسد وغطفان وبين قریش وثقيف .

ب — وما يذهب إليه الدكتور من اختلاف لغة حمير عن اللغة العدنانية جد الاختلاف مبالغ فيه وردنا عليه هو أن :

١ — ما ذكره الدكتور من الأمثلة للغة الحميرية يدل على علاقة العدنانية بالقحطانية وأن الأولى وليدة الثانية ، وأوجه الخلاف التي يمكن استنباطها من هذه الآثار هجائية ، ونحوية ولغوية ، وهذه الأنواع من الخلاف لا تجعل اللغتين متمايزتين كما استنبط الدكتور ، فانه حاصل في اللغة الواحدة ، كما انه يسلم معنا بأن في اللغتين ألفاظا متحدة في الصيغة والمعنى مثل أخ وأخت ونعمة وحلف ووثن وغير ذلك ، ثم ان هذه الآثار لا يعلم تاريخ كتابتها ، وبعض المؤرخين على أنها كتبت قبل الميلاد بخمسة عشر قرنا .

٢ — لو سلمنا بوجود الخلاف الكبير بين اللغتين العدنانية والقحطانية فلا يترتب على ذلك وجوب تمثيل القحطانية في شعر الشعراء القحطانيين المروى شعرهم ، لأن القحطانيين قسمان : سبئيون ، وحميريون ، فالسبئيون نزحوا من الجنوب إلى الشمال قبل الاسلام بعد سيل العرم ومنهم اللخميون ملوك الحيرة والقساسنة ملوك الشام والأوس والخزرج سكان المدينة وسواهم أما حمير فهم التي كانت بأرضها في ظفار وصنعاء وما جاورها ، وهي التي قال فيها أبو عمرو بن العلاء : « ما لسان حمير وأقاصى اليمن لساننا ولا عربيتهم عربيتنا » .

٣ — لا ننكر أن هناك اختلافا بين لغات العرب إلى جانب اختلاف لهجاتها ، ولكنه اختلاف لا يستوجب التباين الذي تصوره الدكتور ، وقد عرف العلماء هذا الاختلاف ودونوه ، فمن ذلك الترادف مثلا . وقد ذكرنا سابقا بعض وجوه الاختلاف بين اللهجات واللغات العربية فلا داعي لذكرها هنا الآن .

ويقول المرحوم الاستاذ محمد عبد المطلب في مقالة له نشرها في البلاع يرد فيها على الدكتور زكي مبارك في ذهابه إلى هذه النظرية الجديدة ، نظرية

اختلاف لغة أهل الجنوب عن لغة أهل الشمال :

يعتمد الدكتور في تأييد رأيه على الأدلة الآتية :

أولا — كان القدماء من مؤرخي اللغة العربية يفهمون حق الفهم أن اللغة العدنانية تختلف عن اللغة القحطانية في كثير من الألفاظ والتعابير وشواهد ذلك كثيرة .

ومن القدماء من صرح بأن لغة أهل اليمن غير لغة أهل الحجاز ومن هؤلاء أبو عمرو بن العلاء .

وليت شعري أترجع الدكتور عن شيء من دعواه ؟ فشتان ما بين « اختلاف اللغتين اختلافا جوهريا ، وبين أن « اللغة العدنانية تختلف عن اللغة القحطانية في كثير من الألفاظ والتعابير » . ساق الدكتور هذه العبارة دليلا أولا على مدعاه فهي فاتحة الكتاب في الاستدلال . وأنا أقول معه ومع المتقدمين نعم إن اللغة العدنانية تختلف عن اللغة القحطانية مع بقاء الوحدة بينهما لأن هذا هو اختلاف الحروف واللهجات الذي أثبتته في أصل دعواي وهل هذا يسمى بالاختلاف الجوهري ؟

وإذا مخرج البرهان العقلي الذي استأثرت به المدرسة الجديدة على القياس الآتي :

بين لغة اليمن ولغة العدنانيين خلاف جوهري — « أي في جوهر اللغة لا في اعراضها ، — وأول دليل لذلك أن المتقدمين كانوا يفهمون حق الفهم أن اللغتين تختلفان في كثير من الألفاظ والتعابير .

أهذا هو المسلك الذي تفرضه المدرسة الجديدة على أنصارها ؟ إن كان ، فعليها وعلى أنصارها السلام . على أني لا أعقد المذهب على القراء وأتمشي معك في مناقشة هذا الدليل .

فأي اللغتين يقصد المؤرخون بما قالوا ؟ أهى اللغة التي أثر عنها الأدب

العربي قبل الاسلام ؟ أم هي اللغة التي كانت قبل هذا ولم يصلنا من أديها شيء ؟ فإن كان الثاني فهو ممنوع ، لأن لغتين لم يصلنا شيء منهما لا يمكن باحثا ولا مؤرخا أن يدعى الخلاف بينهما . لأن وجود هذا الخلاف فرع عن وجود اللغتين . والعقل يقول باتحاد اللغتين في هذه الأزمان لا باختلافهما . وإذا كان الأول فانه لا يجوز لعقل أن يحمل ما قالوه على ظاهره كما حملته المدرسة الجديدة . أيحكم أبو عمرو وأمثاله بالتغاير بين اللغتين على المعنى الذي فهمه الدكتور واضرابه وهو يسمع شعراء مذحج وكندة وطيه والأزد حوله يقولون ما يقولون . فهذا عبد يغوث المذحجي يقول :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فما لي كما في اللوم خير ولا ليا

وهذا الأفوه الأودي المذحجي يقول أيضا :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهلهم سادوا
ويقول الكندي :

وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل
ويقول عمه شرحبيل بجواره :

تعلم أن خير الناس طرا قتيل بين أحجار الكلاب
ويقول حاتم الطائي :

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللثيم تسكرما
وكذلك يسمع حسانا وابن الخطيم وابن رفاعة يقولون ما يقولون مما هو معروف من شعرهم وهم ازديوه .

وإذا فكلام أبي عمرو ومن قال به لا ينصرف إلا إلى اختلاف اللهجتين لا إلى اختلاف اللغتين . وكأنني بالدكتور ينكر أن ما قدمت من الشعر لهؤلاء اليمانيين عدنانى الديباجة

اختلاف اللهجات أمر طبيعي لافى لغة العرب وحدها بل فى جميع اللغات

حتى لقد يصل الخلاف فيها إلى حد أن أحدهما لا يفهم الآخر. ومن المغالطة أن يأخذ الدكتور دليل خصمه فيجعله دليلا له على مدعاه. فانه لما قال « طبيعة الحياة تأبى أن يكون للعرب لغة واحدة في جميع أرجاء الجزيرة قبل الاسلام لأن الأسباب التي يذكرونها لا تكفي لتوحيد تلك اللغة » قدم لذلك شاهدا بديعا هو الامة الفرنسية وقال فيه مانصه « فهذه الامة التي توحدت سياسياً واجتماعياً وأديباً منذ زمن طويل لا تزال فيها عدة لهجات تتباعد تباعداً شديداً بحيث لا يستطيع بعض أهل الجنوب أن يتفاهم مع بعض أهل الشمال » إلى آخر ما ساق في هذا الشاهد البديع.

فالدكتور معى في هذا المثال البديع لا يخالفني لأنه صريح دعواى التي قدمتها آنفاً وفي مقالى السابق. اللغة الفرنسية واحدة تتعدد لهجاتها ويكثر الخلاف بل قد يشتد بين هذه اللهجات.

وإذا قال ان هذه اللهجات لغات في فرنسا مختلفة اختلافا جوهرياً فوق اختلاف اللهجات قلت للدكتور هل يستطيع أن يثبت أن الفرنسيين يجمعهم كما كان يجمع العرب أصل واحد قبل الاسلام وهل لهم في بلادهم هذه العزلة التي للعرب في بلادهم عن الامم الأجنبية مع اتحاد أصلهم فان أثبتته الدكتور كان هذا الاختلاف في لغة فرنسا في اللهجات لا محالة لا في الصميم. وان لم يثبته لم يستطع الفرار من أن هذه اللغات مختلفة في الأصل اختلافا ذاتياً ساعد على استمراره إلى اليوم عصبية كل قوم للغتهم مع اختلاف الاقليم، على أن الاستاذ أثبت في هذا الموضوع أيضاً ما ادعيه من آثار وحدة الحكومة في توحيد اللغة فقد اعترف « بأن الحكومة في تلك الديار تفرض اللغة الفرنسية فرضاً على البنين والبنات وأن لها في مداواته طرقاً عديدة منها المزج في الخدمة العسكرية بين الجنود ».

وذلك ما ادعيه أنا بعينه وهو أن اتحاد الحكومة في أرض من الأسباب

المؤدية إلى وحدة اللغة في هذه الأرض وإنما تختلف نتيجة هذا التأثير باختلاف الأمم التي يقع عليها فإن كانت من أصل واحد تتكلم في الأصل بلسان واحد منعزلة في بلادها انعزال العرب في جزيرتهم فحكم العقل هنا أن تتحد اللغة بهذا التأثير حتى في أخص لهجاتها .

والعرب كما قدمت شعب كله من أبناء سام بن نوح سكن أرضا واحدة تأثر بطبيعة بيئاتها واستأثر لتأثير اجوائها ووجوه حياتها المتشابهة تحت نير حكومة واحدة في أكثر الأحيان وفي أكثر الجهات ، مع العزلة الشديدة بينهم وبين غيرهم من الأمم .

وأما البروفنس الذين ذكرهم الدكتور في الطوائف الفرنسية فإن كانوا من الأصل الفرنسي فلغتهم لهجة إقليمية من اللهجات الفرنسية لا محالة وإن كانوا من أصل آخر كان اختلاف لغتهم مع الفرنسية ذاتيا ليس مما نحن فيه وإنما مثلهم كمثل اليهود الذين سكنوا بلاد العرب وكالأوربيين الذين يسكنون بلادنا اليوم يحافظون على لغتهم ويتعصبون لها مع تعلمهم لغة البلاد التي هم نزلواؤها وهذا النوع مما لا نزاع بيني وبين الدكتور فيه .

خلاصة ما بيني وبينه في دليله الأول أنه يثبت ما أدعيه ولا ينفيه إلا أن يستمسك هو بالعناد .

وقال في دليله الثاني ما نصه :

« ثانيا — النقوش التي اكتشفت في اليمن ودرسها المستشرقون تبين في وضوح تام ان اللغة الحميرية لغة مستقلة لا تتشابه مع اللغة العدنانية إلا في طائفة من الألفاظ أما أصولها من حيث النحو والتصريف وطرائق التعبير فتختلف عن اللغة العدنانية أشد الاختلاف ، إلى أن قال : « وتلك النقوش أوثق من الروايات الشفوية التي يعتمد عليها بعض الناس . والاستهانة بهذه النقوش تعد جرأة عجيبة لأن الأثر المنقوش أوثق من الأثر المكتوب

فى عرف أهل التاريخ وما يلجأون إليه من التشكيك فى قيمة النقوش لا يغنيهم فتيلا لأن تلك النقوش إليها المرجع حتماً فى درس أصول اللغات . .
وإلى القراء نظرة مع الدكتور فى النقوش وقيمتها وقيمة ما تؤديه من الخدمة للعلم .

النقش أثر على الأحجار إن صح كان أوثق الأدلة كما يقول وإنما يجب علينا الإيمان بالنقوش الحميرية إذا اجتمعت فيها الشروط الآتية :

(١) أن يثبت باليقين أنها نقشت فى الزمن الذى تتكلم بلغته ولم تصطنع اصطناعاً لأغراض سياسية أو اجتماعية أو نحو ذلك من الأغراض .

(٢) أن تكون بأيدي أهل تلك اللغة صنعت وبلغتهم نقشت .

(٣) أن تكون من الكثرة بحيث لا يحتمل الشك فيها .

(٤) ألا يعرض لها من الشبهة ما يوجب الشك فيها على فرض توفر الشروط السابقة .

إذا ثبتت هذه الاعتبارات للآثار النقشية ثبوت اليقين وجب المصير إلى ما تحكم به إذا ، لأنه يقين وإذا لم تثبت هذا الثبوت كان الحكم المبني عليها ظنياً أو مشكوكاً فيه فليست أولى من الرواية بشيء فى إفادة العلم وكان بناء اليقين عليها بناء متصدعاً أخشى أن ينهار على المدرسة الجديدة فيتصدع به بنيانها .

فأما الشرط الأول فإن أحداً من الناس لا يستطيع الجزم به فى تلك الآثار وفوق هذا فإن بين أيدينا ونحن بلاد الآثار ما يؤيد بقوة ، احتمال الصنعة فى تلك النقوش . فليذهب الدكتور إلى الأقصر أو إلى أسوان وإن عزت عليه نفقات السفر فلينتظر موعد وفود السياح على مصر ثم ليذهب إلى الأهرام أو إلى الأزبكية أمام « شبرد » أو « الكونتينتال » وهناك يرى بعينه إلى أى حد وصلت صناعة التقليد فى آثار المصريين من الإجماع

« الجعارين ، والدمى وغيرهما ثم لينظر كيف أحكم عليها نقش الهيروغليفية . فهل لدى الدكتور دليل واحد يمنعني أن أجوز هذا التقليد فيما ذكر هو من الآثار . ولعل الدكتور يعلم ولا ينكر هذا العلم أن بعض أهل العلم بالآثار يصطنعون بعض هذه الأحجار لبعض الأسباب ، كما افترض حضرته أن بعض الرواة قد اصطنعوا بعض الأخبار لبعض الأسباب ، أتحداك يا دكتور .

وأما عن الشرط الثاني فهل يستطيع الدكتور أن يدلنا على من كتب النقوش التي يستند إليها ويعتمد حتما عليها أكان من الحميريين أهل اللغة الحميرية أم هو من غيرهم من الأمم المجاورة لهم من أمم الآثار كالمصريين مثلا أو السكديانيين .

وهل يمكنه أن يثبت لي من طريق آخر ليزيل هذا الشك من نفسى أن لغة هذا النقش حميرية ، أو لا بد لي أن أومن بانها حميرية ولو لم يدل عليها دليل . ان أمرنى الدكتور بهذا الإيمان فعلت حتى أخرج في نظره من هذه الجراحة العجيبة ، ولكن هل يقبل العقل « وهو الذى يحكمه » هذا الإيمان

وأما عن الشرط الثالث فهل يدلنى أخى الدكتور على عدد من أحجار هذه النقوش يمنعني بكثرة واختلاف صانعيه وأمكنته عن الشك فيه فيكون ذلك عند المدرسة القديمة بمثابة الخبر الذى تتعدد فيه الروايات ؟ وإن قالى أن بضعة الأحجار التى فى طلل من الأطلال بعد ما قدمت له تفيد القطع باليقين ، فأنا السميع بذاتى دون عقلى لأن حكمه يقضى على ألا أوقن وقد وقد أمرنى أخى باليقين وهو الذى يعرف وحده كيف يحكم العقول .

وأما عن الشرط الرابع فاني أسائل الأستاذ - وعهدى به ألا يغالط أو ينكر العلم - ألم يسمع بأن بعض المشتغلين بالآثار من المستشرقين اصطنع بعض هذه الأحجار لبعض الأسباب كما سمع أن بعض الشعراء من

الرواة كان يصنع بعض الشعر ويدسه على المتقدمين لسبب من الأسباب أيضا؟ وهل هو لم يسمع أن بعض الملوك في أكبر أمة أثرية « مصر القديمة » محيا وأثبت في الآثار؟ وهل يجهل الدكتور أن من هؤلاء الملوك رمسيس؟

وبعد هذا وذاك فإنني ألقى معذرتي بين يدي المدرسة الجديدة في تشكيكي وتشكيكي في هذه النقوش وسواء صحت هذه النقوش أم كذبت فإنك من أى النواحي أتيتها وجدت الشك يحيط بها وقد قال علماء النقل من قبل « إذا تطرق الاحتمال بطل الاستدلال » فلست في حاجة بعد ما تقدم كله أن أعرض لما أورده الدكتور زكى عن الدكتور جويدى من النصوص المنقوشة على تلك الآثار فليقرب بها إلى العريضة أو ليبعد والأمر على حد سواء .

لست أقول بكذب هذه الآثار ولكنى أقول أن الثقة بها لا تزيد بشيء عن الثقة بما ينقله الرواة من الأخبار ما دام الشك قد دخل عليها من كل باب .

هذا وأرانى قد أطلت على القراء فلننتقل إلى ما أورده الدكتور من الدليل الثالث وفيه يقول « طبيعة الحياة تأبى أن يكون للعرب لغة واحدة في جميع أرجاء الجزيرة قبل الإسلام .

وأنا أناقض دليله هذا على الخط المستقيم فأقول إن طبيعة الحياة تأبى أن يكون للعرب لغات مختلفة ذلك الاختلاف الجوهري الذى يشير إليه .

طبيعة الأرض واحدة وبيئاتها متشابهة تشابها كليا ومؤهلات الاجتماع والطبيعة واحدة والحكومة فى أكثر الأحيان واحدة واللغة الأصلية واحدة والأمة فى عزلة تامة عن سواها فمن أين يحىء الاختلاف فى غير اللهجات ؟

ج — ويقول الدكتور في كتابه الذى صودر (١) : يقول القدماء :

إن أبناء إسماعيل تعلموا العربية من القحطانيين فسموا المستعربة كما سمي الأولون العاربة ، ثم تسامل كيف يحصل هذا التمايز العظيم بين اللغتين الذى أثبتته الآثار المكشوفة بأيدي المستشرقين ؟ ثم قال : فواضح جداً لمن له إلمام بالبحث التاريخي عامة وبدرس الأساطير والأقاصيص خاصة أن هذه النظرية متكلفة ومصطنعة في عصور متأخرة دعت إليها حاجة دينية أو اقتصادية أو سياسية . . ثم رأى أن قصة إسماعيل وورودها في الكتب الدينية لا يكفي لإثبات صحتها التاريخية ، قال نحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الإسلام واليهودية من جهة والقرآن والتوراة من جهة أخرى ، وأقدم عصر يمكن أن تكون قد نشأت فيه هذه الفكرة إنما هو هذا العصر الذى أخذ اليهود يستوطنون فيه شمال البلاد العربية ويبنون فيه المستعمرات فنحن نعلم أن حروباً عنيفة نشبت بين هؤلاء اليهود المستعمرين وبين العرب الذين كانوا يقيمون في هذه البلاد ، فليس يبعد أن يكون من هذا الصلح الذى تم بين المستعمرين وبين العرب أصحاب البلاد منشأ هذه القصة التى تجعل العرب واليهود أبناء عم لاسيما وقد رأوا أولئك وهؤلاء أن بين الفريقين شيئاً من التشابه غير قليل فأولئك وهؤلاء ساميون ولكن الشيء الذى لا شك فيه هو أن ظهور الإسلام وما كان من الخصومة بينه وبين وثنية العرب من غير أهل الكتاب قد اقتضى أن تثبت الصلة بين الدين الجديد والديانتين القديمتين ديانة النصراني واليهود .

أما الصلة الدينية فثابتة واضحة بين القرآن والتوراة والانجيل ، اشتراك في الموضوع والصورة والغرض كلها ترمى إلى التوحيد ولكن هذه الصلة

(١) هو كتاب الشعر الجاهلي « الذى ظهر في ثوب جديد هو الأدب الجاهلي »

الدينية معنوية عقلية يحسن أن تؤيدها صلة أخرى مادية ملموسة فما الذي يمنع أن تستغل هذه القصة قصة القرابة المادية بين العرب العدنانية واليهود وقد كانت قريش مستعدة كل الاستعداد لقبول مثل هذه الأسطورة في القرن السابع فقد كانت في أول هذا القرن قد انتهت إلى حظ من النهضة السياسية والاقتصادية ضمن لها السيادة في مكة وما حولها وبسط سلطانها المعنوى على جزء غير قليل من البلاد العربية الوثنية وكان مصدر هذه النهضة أسواق التجارة والدين فأما التجارة فنحن نعلم أن قريشا كانت تسافر إلى الشام ومصر وبلاد الفرس واليمن والحبشة وأما الدين فهذه الكعبة التي كانت تجتمع قريش حولها ويحج العرب إليها كل عام والتي أخذت تبسط سلطانها على نفوس هؤلاء العرب نوعا من السلطان قويا والتي أخذ هؤلاء العرب المشتركون يجعلونها رمزا لدين قوى كأنه كان يريد أن يقف في سبيل انتشار اليهودية والمسيحية من ناحية أخرى .

وعجيب هذا الرأي الذي لا يدعمه الدليل اللهم إلا « ليس ما يمنع » و « ليس ببعيد » و « أمر هذه القصة واضح » . ثم إنه يذهب إلى آراء هي من صنع المستشرقين ووليدة شكوكهم ، ويهدم من حيث لا مبرر للهدم ، ولا نجد ما نقوله له إلا أن نقول إن الدين في هذا الموضوع لم يصطدم بالعلم وإنما اصطدم بالهوى والهوى لا يثبت أن ينكسر عند أول صدمة على أن السبب الذي ذكره الدكتور لوضع اليهود الحديث واه لا يصلح أساسا لأنه إذا صح إنما يثبت القرابة بين الاسماعيلية وبنهم من العدنانيين وبين اليهود ، وأما العرب الذين أغار عليهم اليهود ثم صالحوهم فهم عرب يثرب وهم من القحطانيين لأنهم من غسان إحدى قبائل الأزد فالحديث لا يؤدي إلى المطلوب الذي يريده الدكتور .

ومن العجيب أن الدكتور يريد أن يتبع في ذلك رأي الدكتور مر جليوث فقد قال في مقاله « ذيل مقالة الاسلام » وحقيقة الامر في قصة إسماعيل أنها

كلمة أخيرة

وبعد ، فهذا الكتاب « الحياة الأدبية في العصر الجاهلي » هو السلسلة الأولى من تاريخ الأدب العربي التي أنوى إصدارها تباعا إن شاء الله ، وقد صدر متمماتها كتاب أعلام الشعر الجاهلي وكتاب شعراء الجاهلية ، هذا العام ، وستصدر باقي أجزاء السلسلة بالتوالي إن شاء الله .

وتاريخ الأدب العربي هو تاريخ لقومية الأمة العربية وأخلاقها وعاداتها وحياتها وآمالها وآلامها ولكل ما تأثرت به من مؤثرات حياتها الفكرية والاجتماعية والسياسية والأدبية .

وتاريخ الأدب ليس علما جافا بل أساسه الذوق ودراسة الفنون الأدبية في الأمة دراسة واسعة واسعة .

فعلى مؤرخ الأدب أن يدرس أسباب رقي الأدب وانحطاطه وتأثر الأدباء بها أو تأثيرهم فيها وأن يدرس صلات المحدثين بالقدماء أدباء وشعراء وكتابا وخطباء ونقادا ، وأن يتعمق في فهم المذاهب والمدارس الأدبية العامة وصلاتها ببعض والعوامل التي أدت إلى قيام كل مدرسة وميزاتها وخصائصها ومدى تأثيرها بما قبلها وتأثيرها فيما بعدها من المدارس والمذاهب الأدبية العامة . فهذه المدارس والحركات الأدبية كانت تلعب دورا هاما في الأدب ولها من الأهمية في دراسة تاريخ الآداب ما لا يقل شأننا عن دراسات كثيرة في الأدب ، ومن المؤسف أن الدراسات الأدبية بوضعها الراهن في كليتنا العزيزة لا تؤدي إلى هذه الغاية ، ومن الحرى أن نعمل على تلافي هذا النقص بكل ما يمكننا ، فتاريخ الأدب ليس سردا لنصوص أدبية وتراجم عامة وإنما يوضح لنا الصلات بين المذاهب الأدبية ويربط كاتبها بآخر وجماعة بجماعة ومدرسة بمدرسة كما يدرس أسباب الانقلابات الأدبية المختلفة

فى عصور الأدب وتأثير فحول الـكتاب فى نهضة الأدب والشعر وتوجيههما
وجهة جديدة .

هـذا كله فوق دراسة تاريخ الأدب للآثار الأدبية نظاما وشعرا
ولشخصيات الأدباء شعراء وكتابا وخطباء والامام بنشأتهم وحياتهم
ونزعاتهم وغير ذلك من مكونات شخصيتهم وطابع كل منهم وسماته التى
يتميز بها عن غيره ، فكل كاتب كبير أو شاعر عبقرى يأتى إلى هـذا العالم
بشئ جديد كل الجدة ذلك هو نفسه ، كما يقول بعض النقاد الغربيين ، وكثير
من الـكتاب الأفذاذ والشعراء الملهمين يخلقون ذوقا جديدا ومرحلة جديدة فى
الأدب وكما يتأثر الأديب بعصره فهو يؤثر فيه . فالأديب ابن عصره وبيئته ،
فكل ما يبعث اتجاهها جديدا فى الرأى أو فى منحى الحياة أو فى مجرى السياسة
والشعور العام يؤثر فى تكوين الآداب إلى حد كبير ويجب ألا ننسى ظروف
الزمان والمكان والبيئة عند دراستنا لآى نص أدبى ، كما أنه لا بد من معرفة
العوامل التى أثرت فى فن الشاعر والكاتب والأديب وذوقهم وإنتاجهم الفنى
وجعلت لهم طابعا خاصا فى أدبهم .

ومهما تكن شخصية الأديب بالغة متنهاها فان روح جنسه وعصره لا بد
من أن يظهر فيه . وعلى ذلك فتاريخ الأدب يتأثر بمؤثرات قومية كما يتأثر
بمؤثرات شخصية ، فظهور الاسلام مثلا له من الأثر البعيد فى الأدب العربى
ما لا يستطيع حصره .

هـذا ولا يقتصر تاريخ الأدب على دراسة المخلفات الأدبية لمختلف
الأدباء والشعراء ، كل كاتب على حدة ، بل لا بد فيه من دراسة أدب الأمة
جملة واحدة وإظهار مميزاته العامة باعتباره إنتاجا لعقلية هذه الأمة التى هى
جماعة واحدة ، لها تفكير خاص وشعور خاص وذوق خاص .

كل ما له أثر في تكوين الأمة له أثر في نسج أدبها ، فأدب الأمة هو تاريخها الذي دونته بقلوبها ليصور لنا رقيها العقلي والخالقي فوق تقدمها الأدبي وقد اعتاد مؤرخو الآداب أن يقسموا الأدب إلى عصور مختلفة ، ولم يلجأوا إلى ذلك لسهولة الدرس فحسب ، ومن قبيل تقسيم الموضوع المتشعب إلى أبواب وفصول ، ولكن هناك ما يبرر هذا التقسيم ، فالعصر التاريخي عبارة عن فترة زمنية يسود فيها نوع من الذوق العام ، وعلى ذلك فإن أدب ذلك العصر يتسم بصفات خاصة من حيث المادة والفكرة والأسلوب . وقد تختلف آثار الكتاب البارزين بقدر ما تختلف شخصياتهم ، ولكن تلك الصفات العامة تظهر فيهم جميعا ، ولا ينتهى عصر ويخلفه آخر . إلا بعد تغيير حاسم في الذوق العام .

ولكننا يجب أن لانضع الحواجز المتينة بين عصر وعصر ، فليس تاريخ الإنسان أبواباً وفصولاً ، ولكنه تيار واحد متدفق يسير حيناً ذات اليمين وحيناً ذات اليسار ، ليس له بداية معينة ولا نهاية محددة ، والعصور التاريخية في الواقع أخذ بعضها بتلايب بعض ، وقد يبدأ الرجل عمله في عصر من العصور ولا ينتهى منه إلا في عصر آخر ، كالمخضرمين بين الجاهلية والاسلام ، وكبشار وابن المقفع بين العصر الأموي والعصر العباسي .

ومع ذلك فإن لتقسيم الأدب إلى عصور أهميته الدراسية لأنه يوجه أنظارنا إلى المراحل التي اجتازها الأدب وتميز في كل مرحلة منها بميزة خاصة وهو أهم ما يعنى به مؤرخ الآداب . وحسبنا ذلك الآن وما توفيق إلا بالله .

خاتمة

وبعد فأحمد الله على توفيقه ، وعلى أن أعاننا على إخراج هذا الكتاب الجديد « الحياة الأدبية في العصر الجاهلي » .

وهو كتاب استغرق وقتاً طويلاً ، ومجهوداً ضخماً ومراجعات كثيرة . وقد خرجت منه بتحليل جديد عميق للحياة الأدبية في هذا العصر البعيد ، فوق ما تضمنته من الآراء الطريفة ، والبحوث الجديدة .

والعناية بالمراجعة ، والإشارة إلى المصادر ، وتنظيم البحث واستقصاؤه ، مع وضوح الأسلوب ، وجودة العرض ، وتبسيط الموضوعات وسهولة بحثها ، ومع العناية بتصوير الاتجاهات الأدبية والعوامل الكثيرة التي كان لها أثرها في الأدب الجاهلي شعراً أو نثراً ، ومع النصوص الكثيرة الواضحة والمشروحة ، ومع العرض لأهم آراء النقاد والمعاصرين في الأدب الجاهلي . كل ذلك بعض مميزات هذا الكتاب الجديد الذي أقدمه للقراء والباحثين والدارسين .

وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ؟

١٥ أغسطس ١٩٤٩ محمد عبد المنعم خفاجي

دراسة ونقد

هذه بعض ملاحظات صغيرة ، كنت قد كتبتها على هامش كتاب «الأدب العربي وقاريحه في العصر الجاهلي» أثناء مطالعتي له ، ولاتمام الفائدة أذكرها هنا :

١ — في ص ٥ من الكتاب ^(١) يقول الأستاذ : « وأحدث المستشرقون علم تاريخ الأدب ، فاستقلت هذه الكلمة (الأدب) حينئذ بمعنى المأثور من الشعر والنثر وأقول ان استقلال كلمة أدب بمعنى المأثور الجيد من المنظوم والمأثور لم يكن من بدء بحوث المستشرقين في القرن الماضي ، وإنما هو قديم من قبل القرن الرابع الهجري حين استقلت علوم العربية — كالنحو واللغة والنقد والأنساب والتاريخ — عن الأدب ، وكل المراجع الأدبية مجمعة على ذلك وإن شئت فراجع أول التوجيه الأدبي في تطور كلمة أدب ، وراجع الأدب الجاهلي ص ١٧ - ٢٦ وتاريخ الأدب للرافعي الجزء الأول ومقالات في الأدب للزيات ^(٢)

٢ — وفي ص ٥ أيضا يرى المؤلف أن كلمة أديب لم يعثر لها على نص صحيح قبل الاسلام وقبل مزاحم العقيلي وسالم بن وابصة

وأقول إن كتب الأدب كالبيان والتبيين وسواه فيها كثير من النصوص لكلمة أديب ولشعراء قبل مزاحم وصاحبه ، ومنها قول كعب بن سعد الغنوي حبيب إلى الزوار غشيان بيته جميل الحياشب وهو أديب ^(٣)

وراجع بسط ذلك في أول هذا الكتاب حيث تجد بعض النصوص الجاهلية أيضا

٣ — وفي ص ٢٠ يعد الأستاذ كتاب الكامل والبيان والأمل والأغاني من الكتب الجامعة بين القصص والأدب والأغاني يجوز أن نقول فيه ذلك لأنه كتاب قصص وأدب أما غير الأغاني وخاصة الكامل والبيان فمن كتب الأدب وحده

٤ — وفي ص ٥٤ يذكر الأستاذ أن الأحوص بن جعفر كان رحاهاوزن وشيخها

(١) الطبعة الثانية (٢) ويقول صاحب الأدب الجاهلي (ص ٢٤ الطبعة الثالثة) :

الأدب في القرن الثاني والثالث والرابع يدل على ما يؤثر من الشعر والنثر وما يتصل بهما لتفسيرهما وتقدمهما (٣) ١٢٦ ج ١ بيان طبعة ١٩٢٧

وأقول إنه من بنى جعفر بن كلاب العامري من قيس عيلان التي تعد هوزان

فرعا من فروعها فهو جعفري عامري قيسي وبعبارة أخرى هو من بنى عامر بن
ضعصة بن معاوية بن بكر من قيس عيلان فهو عامري أو قيسي أما أنه شيخ هوزان
فهذا موضع المؤاخذه

٥ — وفي ص ٩٠ يدخل في نقد الأسلوب « براءة المعاني من الاحالة أو الكذب »

والنقاد يعرفون أن الأسلوب غير المعاني وأن خصائص الأسلوب لا يدخل فيها
ما هو من أوصاف المعاني وحدها

٦ — ويذكر مثلاً كثيرة لفنون الشعر الجاهلي (ص ١٠٢ — ١١٢) دون أن

يفيّن شيئاً عن المدى الفني الجاهليين في فنون الشعر وأغراضه

٧ — وفي ص ١١٤ يعد بيتي عنزة « وخلا الذباب بها الخ » إشارة لبعض

أنواع الغناء عند العرب . وليس في بيتي عنزة إلا تشبيه تغريد الذباب في الروضة

يفعل المشارب المترنم . لم يعد بيتي عنزة

٨ — وفي ص ١٢٢ يجعل أبا اسحاق المتكلم من أصحاب الجاحظ

وأبو اسحاق هو النظام وهو أستاذ الجاحظ في الاعتزال وعلم الكلام .

٩ — وفي ص ١٤٩ يقول « لم يعرف أنه دخل في أسلوب الجاهليين شيء من
المحسنات البديعية .. كالجناس الخ »

فيخالف جميع النقاد ، أو ليس زهير هو الذي يقول في شعره « سال السليل بهم »

وأليس الأعشى هو الذي يقول « مثل شلول شلشل الخ » ؟ وأليس امرؤ القيس

هو الذي يقول « وقد طمع الطامح الخ » ؟ فضلا عن أنه يخالف هنا ما ثبته في ص

٣٢٦ من كتابه من ورود المحسنات البديعية في شعر الجاهليين ، ولو قال : « ولم

يعرف أن الجاهليين قصدوا شيئاً من المحسنات لشأن صوابا »

١٠ — وفي ص ١٧٢ ثبت البيت :

: (مثلاً) : والله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيقة الرجل (١)

لامرئ القيس بن حجر ، وهو لامرئ القيس بن عابس الصحابي (راجع

تلف والمختلف للأمدى)

١١ — وفي ص ١٨٤ يخالف النقاد الذين يوافقون أمجد بن جندب في حكومتها الأدبية التي فضلت فيها علقمة على امرئ القيس في وصف الخيل (١) ورأيه في ذلك لا يؤيده الفهم الأدبي الصحيح للقصيدتين الذي ينطق بأن علقمة أصاب الإصابة التامة في شتى أوصاف الفرس دون امرئ القيس الذي قصر في بعض هذه الأوصاف على أنه قد قلده فيه الرافعي ولم يدعمه بما دعمه به الرافعي (٢٢٥ — ٢٣٤/٣ الرافعي)

١٢ — وفي ص ١٨٥ يحمل نقد النقاد لبيت امرئ القيس :
أغرك مني أن حبك قاتلي وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل
على أن الاستفهام على وجهه . والنقاد لا ينقدون البيت إلا على أن الاستفهام فيه للانكار وليس على وجهه وحقيقته

١٣ — وفي ص ١٨٦ يوافق بعض النقاد في تقديم امرئ القيس في قوله :
« وحسبك من غنى شبع وري » ويرى أنه أشبه بشاعر سئول كالخطيئة ، وهذا غريب لأمرين :

أ — فهذه الحكمة لا عيب فيها لأن امرئ القيس إنما قالها بعد أن عركته الأيام وزهد في نعيم الحياة وترفها فهو إنما قالها زهداً لا كسلاً وخملاً ولا ضعة لنفسه
ب — وليس في هذه الحكمة شيء من الاستجداء حتى يستنتج المؤلف أنها أشبه بشاعر كالخطيئة

١٤ — وفي ص ١٨٩ يقول في النابغة « وكان يحدو على شعر زهير وأوس » وهذه عبارة لاستسيغها وكان الأولى « يحدو حدو زهير في شعره » وما ذكره من نقد أدبي لشعر النابغة (٢٠٠ — ٢٠٢) فمنقول من الموشح على أنه لم يذكر أى تحليل تفصيلي لفن النابغة في شعره ولا منزلة الأدبية بين الشعراء .

١٥ — ويفيض في ذكر مثل كثيرة ، لشعر الأعشى وتحليل حياته (ص ٢٢٠ — ٢٤٠) ثم لا يذكر من خمرياته إلا بيتين ، ولا يذكر شيئاً عن قيمتها الأدبية ، مع أنها أخص خصائص شاعرية الأعشى ، والذي عدّها أستاذ الأخطل وأبى نواس ،

والتي من أجلها قال فيه النقاد « إنه أشعر الناس إذا طرب »

١٦ — وفي ص ٢٤٩ يذكر بيتا لبيد :

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر نجد متونها أقلامها

ويشرحه بقوله : وهم يعتبرون هذا التشبيه لبقايا الأطلال في دقتها وتتابعها واستطالة أعلامها كأنها سطور في كتاب من التشبيهات العالية الطبقة .

وأقول : إن المشبه ليس هو بقايا الأطلال في دقتها وتتابعها واستطالة أعلامها وإنما هو الأطلال الدائرة التي غطى معالمها التراب ثم جاء السيل فأزال التراب وأعاد معالمها واضحة ظاهرة .

والمشبه به ليس هو سطور الكتاب فحسب وإنما هو سطور الكتاب الغير الواضحة التي يعيد الكاتب بقلمه توضيحها من جديد .

١٧ — وفي ص ٣٢٥ ينقد المؤلف رأى الدكتور طه حسين الذي شرحه في الأدب الجاهلي شرحا وافيا يبين بوضوح أن أوس بن حجر كان زعيم مدرسة أدبية لها خصائصها البيانية في الشعر الجاهلي من التشبيهات المادية وسواها ، والتي احتذاها زهير والحطيئة وسواها

هذا وأوس أستاذ زهير وسواها فلا بد أن فنه الأدبي قد تأثر به إلى حد كبير ، وأسلوب أوس مشهور بماديته في التشبيه وسواء وعلى هذا النمط سار تلاميذه ، أما أن أحدا يكون قد شاركه في هذه السمة أو لم يشاركه فهذا بحث آخر وحسبنا ذلك الآن .

منهج الأدب وتاريخه

للسنة الأولى بكلية اللغة العربية

الأدب : أدب اللغة . تاريخ أدب اللغة . علاقته بالتاريخ العام وتقسيمه إلى عصور العرب . وطنها . أصلها . أقسامها . مشهورات قبائلها . عظام أيامها ذوات الأثر في أدب اللغة . حياتها الاجتماعية والدينية والسياسية اللغة العربية : أصلها . نشأتها . خصائصها . عوامل نموها . اختلاف لهجاتها . أطوار تهذيبها . أثر الأسواق فيها . الخط العربي ونشأته . معارف العرب في الجاهلية الكلام العربي وتقسيمه إلى متثور ومنظوم . تقسيم المتثور إلى مرسل ومسجع ومزدوج

تاريخ الأدب في العصر الجاهلي . المتثور : الحكم والأمثال والخطب والوصايا والمحاورات وسجع الكهان . الخطابة وأشهر الخطباء . ميزات النثر الجاهلي في معانيه وأخيلته وألفاظه وأساليبه . الشعر : أوليته . فنونه . مميزاته في معانيه وأخيلته وألفاظه وأساليبه . المعلقات ومنزلتها من الشعر الجاهلي . صلة الشعر العربي بالتاريخ وتسجيله كثيرا من عادات العرب وأخلاقهم ومعارفهم وعقائدهم وسائر شؤونهم تأثير الشعر في النفوس . مكانة الشعراء . التكسب بالشعر . تنقل الشعر في القبائل . شياطين الشعراء . طبقات الشعراء . فحولهم

نشأة النقد الكلامي في هذا العصر وأمثلة منه . الموازنات الادبية وأمثلة منها .

رواية الشعر

دراسة تاريخ اثنين من الرجال الآتية أسماؤهم بعد ، دراسة استيعاب يعمد فيها إلى الوقوف على ما يستطيع من تفصيلات حياتهم الأدبية وكل ماله أثر فيها مع استنباط خصائص كل في أقواله : معانيه ومبانيه وأسلوبه وأخيلته وتشبيهاته ومبتكراته ، ونقد ما هو خليق بالنقد من ذلك ، مع الموازنة بينه وبين نظيره إن أمكن ، ومع الإبانة عن أثر كل في فنون الأدب ومنزلته من رجاله على ألا يتكرر واحد منهم في سنتين متواليتين

٢ — الأعشى . عبيد . طرفة . لبيد . الأفوه الأودى

٣ — مهلهل . عنتره . عدى بن زيد . بشر بن أبي خازم . قس . حاتم . أمية
ابن أبي الصلت . أوس بن حجر

دراسة تراجم ثلاثة رجال ممن لهم شهرة بالخطابة كأ كثم وحاجب بن زرارة
والحارث بن ظالم من خطباء النعمان
ويضاف إلى ذلك دراسة النصوص المقررة

منهج النصوص

١ — دراسة قطعة جيدة من فنون النثر الجاهلي قراءة وفهما ونقدا وموازنة
لما يستحق الموازنة بغيره منها ، وذلك مما دون في مثل أمالي القالي والعقد والبيان
والتبيين وكامل المبرد وأمثال الميداني

٢ — دراسة قصائد ومقطعات يختارها المدرس من فنون الشعر الجاهلي قراءة
وفهما ونقداً وموازنة لما يستحق الموازنة بغيره منه ، وذلك مما دون في مثل جمهرة
أشعار العرب والمفضليات وديوان الحماسة ودواوين الشعراء الجاهليين

على ألا يقل المقروء عن نحو مائتي بيت من فنون الشعر المختلفة وعشر قطعثرية
كذلك على أن يحفظ الطلبة من ذلك عشرين ومائة بيت من الشعر وخمسين سطراً
من النثر .

منهج الانشاء

١ - عشرون مقالا على الأقل في كل عام

٢ - مادة الانشاء تتألف من الخطابة والكتابة

الخطابة:

يلاحظ فيها العناية بتدريب الطلبة على الارتجال وحسن الالتقاء وتربية ملكتي النقد والجدل ومدھم بكثير من مفردات اللغة وبدائع أساليبها وكثير من شوارد الأدب العربي وشواھده مع الحرص على سلامة عبارة الطلبة من اللحن وسوء التركيب وأن تكون فصیحة مرتبة الفكر بعيدة عن الأغراق والحشو ، تسرى فيها روح الأدب وقوة البيان .

وموضوع الخطابة :

المسائل الدينية والاجتماعية والخلقية ، والمحاورة في موضوع له طرفان أو أطراف ، والمسائل الأدبية كيان رأى شاعر أو كاتب أو موازنة بين أدبيين أو إبداء رأى جديد في الأدب ، المسائل التاريخية ، نقد العادات ، الوصف ، مقامات قصيرة وقصص طريفة

الكتابة :

في موضوعات غير الموضوعات التي خطبوا فيها غالبا ، ومسائلها هي المسائل التي دونت مجملة للخطابة ، ويزاد عليها الرسائل في الفنون المختلفة من عتاب أو شكر أو رجاء أو غيرها .

مطبوعات المؤلف

- ١ — شرح البديع لابن المعتز نشر مطبعة مصطفى الحلبي ط ١٩٤٥
- ٢ — رسائل ابن المعتز في النقد والأدب والاجتماع نشر مطبعة مصطفى الحلبي ط ١٩٤٦
- ٣ — قواعد الشعر لثعلب شرح وتعليق المؤلف نشر مطبعة مصطفى الحلبي ط ١٩٤٨
- ٤ — التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي ط ١٩٤٨ — المطبعة الفاروقية
- ٥ — الشعر العربي أوزانه وقوافيه مقرر العروض للسنة الأولى الثانوية بالأزهر الشريف . نشر مطبعة مصطفى الحلبي ط ١٩٤٨
- ٦ — فن الشعر — مقرر العروض والقوافي لطلبة كلية اللغة العربية نشر مطبعة محمود صبيح بالأزهر ط ١٩٤٩ — جزءان
- ٧ — توبة شاعر البطولة ط ١٩٤٩ — دار الأنوار بالقاهرة
- ٨ — فصيح ثعلب والشروح التي عليه ط ١٩٤٩ — مكتبة التوحيد بدرب الجمايز
- ٩ — الحياة الأدبية في العصر الجاهلي نشر محمود توفيق ١٩٤٩
- ١٠ — أعلام الشعر الجاهلي — مكتبة الحسين التجارية ط ١٩٤٩ — بالاشتراك مع أستاذ
- ١١ — ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان — مكتبة الحسين التجارية ط ١٩٤٩
- ١٢ — شعراء الجاهلية — مكتبة الحسين التجارية ط ١٩٤٩
- ١٣ — أحلام الشباب ديوان شعر دار الأنوار ط ١٩٤٩
- ١٤ — وحي العاطفة ديوان شعر ط ١٩٣٦
- ١٥ — نشيد الصحراء ط ١٩٤٧
- ١٦ — شرح متن التلخيص — مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩
- ١٧ — حكومة القاضي الجرجاني في النقد — ط صبيح ١٩٤٩

تقدير ملكي كريم

كان المؤلف قد رفع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك
المعظم حفظه الله نسخة من كتابه « ابن المعتز وتراثه في الأدب
والنقد والبيان »

فتلقى من معالي كبير الأمناء الخطاب الآتي :

ديوان كبير الأمناء

حضرة المحترم الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي
أتشرف بإبلاغ حضرتكم أنني رفعت إلى السدة العلية الملكية
النسخة التي قدمتموها لحضرة صاحب الجلالة الملك من مؤلفكم « ابن
المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان »

فتفضل أعزه الله فأولاهها حسن القبول ، وإني أتشرف بإبلاغ
حضرتكم ذلك مع الشكر السامي

وتفضلوا حضرتكم بقبول وافر الاحترام .
تحريرا في ٢١ يوليو ١٩٤٩

كبير الأمناء
عبد اللطيف طلعت
(إمضاء)

وإني لأنتهز هذه الفرصة فأرفع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة
الفاروق المفدى حفظه الله أصدق آيات الولاء وأعظم شعائر الاجلال
والاخلاص والوفاء مع الدعاء لجلالته بأن يحفظ الله عرشه ويؤيد ملكه
ويكلاؤه ويرعاه لمجد الوطن والعروبة والشرق والاسلام ، وأن يديمه
ملاذا للثقافة والعلم والحضارة والانسانية .
محمد عبد المنعم خفاجي
الأستاذ بكلية اللغة العربية

فهرست الكتاب

صفحة	صفحة
٣	الاهداء
٤	تمهيد
٥	مقدمات
١٥	تاريخ أدب اللغة
١٧	علاقته بالتاريخ العام
١٨	تقسيمه إلى عصور
٢٠ - ١٠٥	الباب الأول : المؤثرات في الأدب الجاهلي
٢١	موطن العرب
٢٥	أصل »
٢٦	الشعوب العربية
٢٧	القبائل »
٣٢	حياة العرب الاجتماعية
٣٧	حياتهم السياسية
٤٤	» الدينية
٥٠	» العقلية
٥٤	الخط العربي
٥٩ - ٧٩	أيام العرب
٦١	حرب داحس
٦٨	» البسوس
٧٤	يوم بعث
٧٥	» حليلة
٧٥	» الزورين
٧٦	» شعب جبلة
٧٧	أيام الفجار
٧٧	يوم خزازی
٧٨	يوم ذی قار
٨٠ - ١٠٥	اللغة العربية
٨٠	أصلها
٨٤	نشأتها
٨٧	أطوار تهذيبها
٨٨ - ٩٦	أثر الأسواق
٨٩ - ٩٦	عكاظ
٩٦	محنة
٩٦	ذو المجاز
٩٦	اختلاف اللهجات العربية
٩٩	خصائص اللغة العربية
١٠٠	عوامل نمو »
١٠٣	فصاحة لغة قريش
١٠٤	اللغة العربية ومنزلتها بهـد
	نزول القرآن
١٠٦ - ١٥١	الباب الثاني : النثر الجاهلي
١٠٦	معنى الجاهلية
١٠٦	الشعر والنثر
١١٢	مميزات النثر الجاهلي
١١٤	أمثلة للنثر الفني
١١٨	أقسام النثر : الحكم والأمثال
١١٨	نماذج لهما
١٢٠	ماهى الحكمة

صحيفة		صحيفة	
١٢١	ماهو المثل	١٨٧	تسجيله للعقائد
١٢٢	الوصايا والنصائح : نماذج	١٨٨	معارف العرب في الشعر الجاهلي
١٢٥	ماهى الوصايا	١٩٠	الشعر والحياة الاجتماعية
١٢٥	الخطابة : نماذج	١٩٥	رواية الشعر
١٣٠	ماهى الخطابة	١٩٧	الرجز في العصر الجاهلية
١٣١	الخطابة عند الجاهليين	١٩٨	النقد الأدبي في الجاهلية
١٣٢	دواعيها - أغراضها	١٩٩	صور منه
١٣٤	المأثور منها	٢٠٢	فنون الشعر الجاهلي
١٣٤	الخطابة والخطيب	٢٠٦	معاني الشعر الجاهلي
١٣٥	أشهر الخطباء قس الأيادي	٢١٠	أخيلته
١٣٦	أكثم	٢١٤	ألفاظه
١٣٨	عمرو بن معد يكرب	٢١٧	ماهو الأسلوب
١٣٩	من خطباء العرب	٢١٩	خصائص أسلوب الشعر الجاهلي
١٤٣	المحاورات	٢٢١	نماذج من الشعر الجاهلي : المدح
١٤٨	سجع الكهان	٢٢٣	الهجاء
١٥٢	الباب الثالث الشعر الجاهلي	٢٢٤	الفخر
١٥٢	ماهو الشعر	٢٢٧	الرثاء
١٥٤	آراء في الشعر	٢٣٥	الحماسة
١٥٨	نشأة »	٢٣٩	العتاب
١٦٥	الشعر في الجاهلية	٢٤١	الاعتذار
١٦٦	تأثيره	٢٤٢	الحكمة
١٦٧	منزلة الشاعر	٢٤٤	الوصف
١٦٨	التكسب بالشعر	٢٤٦	النسيب
١٧٠	شاعرية العرب	٢٥٥	المعلقات ومنزلتها من الشعر الجاهلي
١٧١	لون الشعر الجاهلي	٢٦٥	معلقة طرفة
١٧٥	تنقل الشعر	٢٧٣	» امرئ القيس
١٧٦	شياطين الشعراء	٢٨١	» عمرو بن كلثوم
١٧٩	طبقات الشعراء	٢٨٥	» زهير
١٨٥	صلة الشعر العربي بالتاريخ	٢٨٩	» عنتره
١٨٥	تصوره للأخلاق	٢٩٦	» لبيد

صحيفة

صحيفة

٣٠٠

معلقة الحارث

٣٠٢

مصادر الشعر الجاهلي

٣٠٣

دواوين الشعراء الجاهليين

٣٠٥

الشعر الجاهلي بين الطبع والصناعة

٣١١

رواة الشعر الجاهلي

٣١٣

قدامى الشعراء في العصر الجاهلي

٣٢٥

شعراء الحماسة الجاهليون

٣٢٨

الشعراء المتألهون

٣٢٩

الشعر الجاهلي بين الرجز والقصيد

٣٣٢

» » في موازين النقد

٣٥٧

كلمة أخيرة

٣٦٠

خاتمة

٣٦١

دراسة ونقد

٣٦٥

مناهج الدراسة

٣٦٨

مطبوعات للمؤلف

٣٦٩

تقدير ملكي كريم

٣٧٠

فهرست الكتاب

٣٧٣

استدراك

استدراك

الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
٢٦	٢٢	أبيننا	أبيننا
٤٥	١٢	وصلته	وصلت
٤٦	٤	عمر	عمر و
٦٤	٥	جع ر	جفر
٦٤	١٧	أن	أك
٧٢	٦	مخبات	مخباة
٩٣	٣	فكا	فكان
١٠٨	٢٠	والصفة	والصنعة
١٠٩	٥	في	وفي
١١١	٨	ومغامرات	ومفاخرات
١٧	١٢	مات	ملت
١١٨	١٢	جمه	حممة
١١٩	٦	الدر	الدد
١١٩	٨	يسر	يسر
١٢٠	١٧	تسكيها	فكيها
١٢٢	١٧	البحرى	البرى
١٢٣	١٨	واختيار	واختبار
١٣٢	٦	شاعرا	خطيب
١٣٦	٢	بلغ	بليغ
١٣٨	١٨	يكن	يلن
١٣٩	٧	يترز	بمترز
١٥٠	١٣	بعجائبهم	وبعجائبهم
١٥٣	٩	المفصل	المفصل

الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
١٥٥	٢٢	في	في الشعر
١٦٦	١٦	ويستبد	ويستبد
١٦٨	٢	الأفراس	الأفراح
١٦٩	٦	عوف	بن عوف
١٧٤	٦	وخلودات	وخلودا
١٧٨	٣	لشيطان	كشيطان
١٧٩	١٩	أوجزا	أرجزا
١٨٨	٢٠	الغطاس	الغطاسي
١٩٢	٧	من الحيان	م الحيين
١٩٢	١٥	عافت	عافت
١٩٥	١١	بالشعر	بالشعب
١٩٧	٢٢	٢٤٥	٢٤
١٩٩	٢١	ما أتي	أتي
٢٠٢	١	فنون	فنون *
٢٠٨	٢٠	التنأى	المتنأى
٢١١	٢١	بحيوان	الحيوان
٢٢٣	٨	بنات	بناة
٢٣٦	٦	وافران	واقران
٢٣٦	٨	العلم	الحلم
٢٤٧	٨	مدلولها	مدلولهما
٢٤٨	٢٣	كلمتنا	لو كلمتنا
٢٥٣	١٢	نقى	نقى
٢٦٦	١٢	قع	وقع
٢٧٠	١٠	رأيتني	رأيت
٢٧٠	١١	أيها	أيها

الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
٢٧٥	٢١	ومسامعهم	وسامعهم
٢٧٨	.	زمنت	قد أزمنت
٢٨٣	٩	الأقوى	قوى
٢٨٤	١١	وقه مه	وقمه
٢٨٦	١٢	والاشارة	والاشادة
٢٩٤	٦	تبلغني	تبلغني
٢٩٤	١١	ثدي	ندي
٢٩٤	٢١	ألد . بقدحه	أكب . يقدحه
٢٩٦	١٢	مؤثرا	مؤثر
٣٠٥	٥	الغزيرة (١)	الغزيرة (٢)
٣١٣	١	الشعر	الشعراء
٣٣٢	١٠	وضعها	وصفها
٣٣٣	٢١	يصعى	يصفى
٣٣٥	٢٠	سماة	سمات
٣٣٨	٧	الهكرباء	الكهرباء
٣٣٦	٤	لجمال	بجمال
٣٠١	٤	انما	إنا
٣٠٨	١١	تكليف	تكلف
٣٤١	١٠	مقر	مضر
٣٤٦	١٤	والقسامنة	والغساسنة
٣٤٨	١١	يصلع	يصلح

ملاحظة : وقع خطأ مطبعي في ص ٦٧ و ٦٨ بتقديم بعض البحوث قبل موضعها فيحذف في ص ٦٧ من أول الصفحة إلى آخرها أما هامشها فيبقى ولا يحذف منه إلا الهامش (١) . وكذلك تحذف أول ص ٦٨ إلى أول « - ٣ - »

ابن المعتز

وتراثه في الأدب والنقد والبيان

تأليف محمد عبد المنعم خفاجي

نشرت جريدة المصري كلمة عن هذا الكتاب جا. فيها :

هذا سفر جديد ، ألفه محمد عبد المنعم خفاجي الأستاذ بكلية اللغة العربية ، ونشرته مكتبة الحسين التجارية لصاحبها محمود توفيق بالقاهرة ، في أربعائة صفحة من الحجم الكبير على ورق أبيض مصقول

تناول مؤلفه فيه ابن المعتز الخليفة العباسي الشاعر الأديب الكاتب والناقد العالم المؤلف المتوفى ٢٩٦ هـ ، وحياته وشعره وأدبه وآثاره في النقد والبيان بالدراسة والتحليل والنقد

وهو أول كتاب يؤلف وينشر في الأدب العربي عن ابن المعتز وآثاره الفنية والأدبية والعلمية

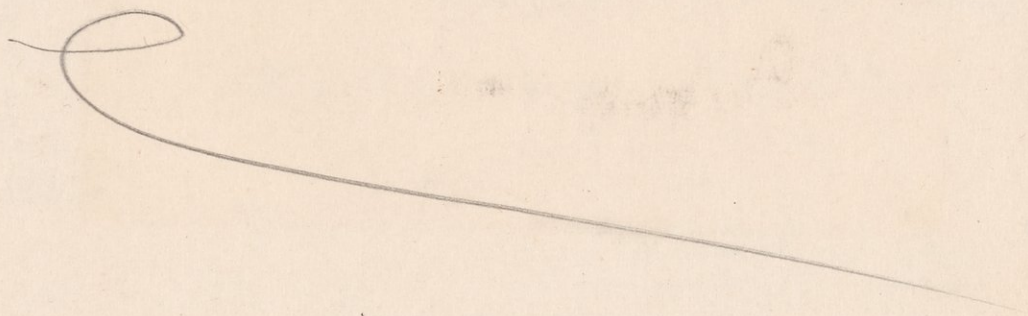
ويمتاز بدقة البحث ، وعمق الدراسة وتنوعها ، وتعدد ألوان التجديد في مناهج النقد الأدبي ، وبكثرة المصادر المخطوطة والمطبوعة وقد صدره مؤلفه بكلمة عن عهد الفاروق الزاهر ، وفيض رعايته وتشجيعه وعظمه على النهضة الفكرية والعلمية والأدبية

ولاشك أنه جهد كبير يستحق مؤلفه عليه الثناء والتقدير .

سيظهر قريبا للمؤلف كتاب :

شعراء الجاهليين

دراسة واسعة للشعراء الجاهليين وآثارهم الفنية ومذاهبهم وخصائصهم في الشعر العربي . ويقع في أكثر من ٢٠٠ صفحة ، وبطلب من مكتبة الحسين التجارية لصاحبها محمود توفيق



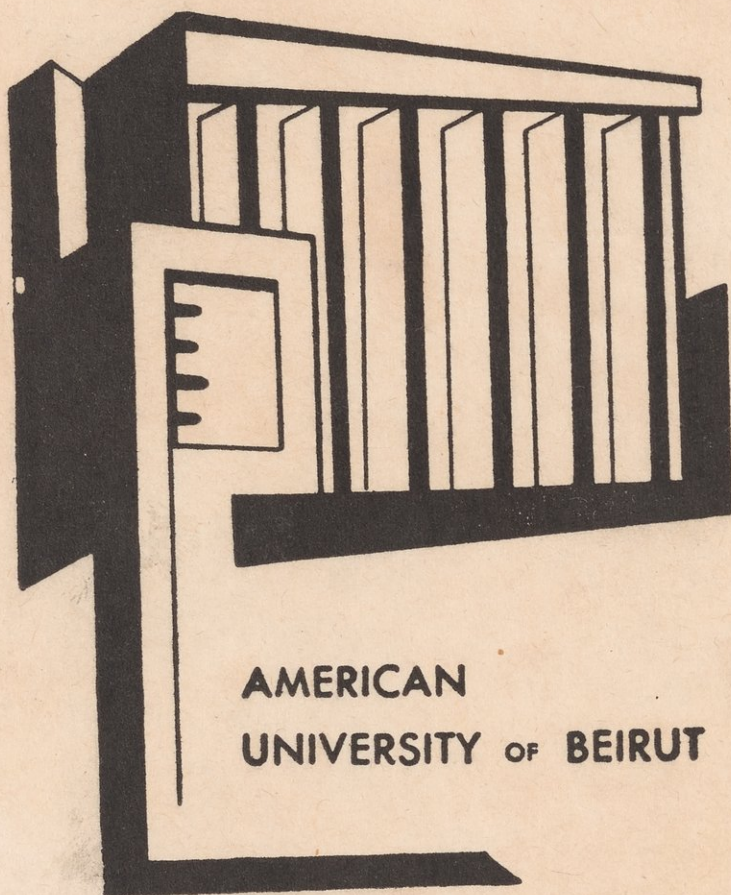
(۱) قسم ۱

خفاجي، محمد عبد المنعم
الحياة الادبية في العصر الجاهلي

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01032746



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

